باب مشرق من أبواب سيرة الرسول ﷺ

النبي الكريم ﷺ معلماً

أ.د. فضل إلهي


النبي الكريم ﷺ
معلما



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بسم الله الرحمن الرحيم

ح فضل إلهي ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

فضل إلهي

النبي الكريم ﷺ معلماً/ فضل إلهي .- الرياض، ١٤٢٤هـ.

٣١٢ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩ - ٨٩٢ - ١٠ - ٩٩٦٠

١ - السيرة النبوية

٢ - التربية الإسلامية أ - العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٢٤/٥٣٧٧

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٥٣٧٧

ردمك : ٩ - ٨٩٢ - ١٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

يطلب الكتاب داخل المملكة من :

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان - الرياض

ص ب : ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١

هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس : ٤٠٢٣٠٧٦

الناشر :

إدارة ترجمان الإسلام ، ججرانواله - باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

أما بعد:

فإن لسيرة رسولنا الحبيب الكريم ﷺ جوانب كثيرة، وما من جانب من تلك الجوانب إلا بلغ المنتهى من الكمال الموجود في الخلق، وكيف لا يكون ذلك، وقد جعل الباري العليم الحكيم سبحانه وتعالى فيه أسوة سنة للأمة. قال عز وجل:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء/ الآية الأولى.

(٣) سورة الأحزاب/ الآيتان ٧٠ و٧١.

(٤) سورة الأحزاب/ الآية ٢١. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره:''هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله''. (تفسير ابن كثير ٥٢٢/٣). وقال الشيخ ابن عاشور في تفسيره: والإسوة=

وإن من جوانب سيرته المشرفة المباركة أن الله عز وجل بعثه معلّماً استجابة لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام. وقد جاء ذكر دعائه في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

وقد أخبر النبي الكريم ﷺ أنه ثمرة دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام. فقد روى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت:''يا نبي الله ﷺ! ما كان أول بدء أمرك؟'' قال: **دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليه السلام**...الحديث[٢].

هذا، وقد ورد ذكر بعثته ﷺ معلماً في عدة آيات. ومنها ما يلي:

أ: قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

=بكسرة الهمزة وضمها اسم لما يؤتَسى به، أي يُقتدى به ويُعْمَل مثل عمله. وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة، ولذلك فحرف (في) جاء على أسلوب ما يسمَّى بالتجريد المفيد للمبالغة إذ يجرّد من الموصوف بصفة موصوف مثله ليكون كَذَاتَين كقول أبي خالد الخرجي:

وفي الرحمان للضعفاء كاف

أي: الرحمان كاف. فالأصل رسول الله إسوة، فقيل: (في رسول الله أسوة). وجعل متعلق الائتساء ذات الرسولﷺ دون وصف خاص يشمل الائتساء به في أقواله، والائتساء بأفعاله. (تفسير التحرير والتنوير ٣٠٢/٢١ باختصار؛ وانظر أيضاً: تفسير الكشاف ٢٥٦/٣؛ وروح المعاني للألوسي ١٦١/٢١).

(١) سورة البقرة/ الآية ١٢٩. وقال القاضي البيضاوي في تفسير الآية: ''(وَابْعَثْ فِيهِمْ) في الأمة المسلمة. (رَسُولاً مِنْهُمْ) و لم يبعث في ذريتهما-إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام-غير محمد ﷺ''. (تفسير البيضاوي ٨٧/١؛ وانظر أيضاً: التفسير الكبير ٦٦/٤). ونقل الحافظ ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بـ[الكتاب] القرآن وبـ[الحكمة]السنة. (انظر: زاد المسير ١٤٦/١؛ وانظر أيضاً: تفسير ابن كثير ١٩٧/١).

(٢) المسند ٢٦٢/٥. (ط: المكتب الإسلامي). وقال عنه الحافظ الهيثمي: ''رواه أحمد بإسناد حسن، وله شواهد تقويه، ورواه الطبراني''. (مجمع الزوائد ٢٢٢/٨).

(٣) سورة البقرة/ الآية ١٥١.

ب: وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١].

ج: وقال جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢].

وقد أخبر النبي ﷺ كذلك بهذا. فقد روى الإمامان أحمد والنسائي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**إن الله لم يبعثني معنِّفا، ولكن بعثني معلّماً ميسِّراً**"[٣].

وكل من أراد أن يتعلّم صنعة التعليم، ويرغب في الفوز بقدوة يَقْتَدِيْ بها في هذا المجال في اختيار أساليبه، وتعّلم وسائله، ومراعاة آدابه فلن يجد مثل ما يجد في سيرته المطهرة صلوات ربي وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

فرغبةً في التعرّف على سيرة النبي الكريم كمعلّم للاستفادة والإفادة سعيتُ بتوفيق ربي عز وجل جمع ما تيسر لي في هذا المجال. ولا أدّعي -وليس لي أن أدعي، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين- أنّني تمكّنتُ من جمع وذكر كلّ ما يستفاد من سيرته ﷺ معلّماً، ولكنني سعيت بفضل ربي عز وجل لذلك، وما تمّ في هذا الصدد فهو بفضله تعالى وحده، وما لم يتمّ فبذنوبي وتقصيري. وأسأل ربي الودود الرحيم العفو والغفران.

الأمور التي راعيتها في هذا البحث:

قد حاولتُ بفضل الله تعالى مراعاة الأمور التالية في هذا البحث:

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ١٦٤.

(٢) سورة الجمعة/ الآية ٢.

(٣) المسند، جزء من رقم الحديث ١٤٥١٥، ٣٩١/٢٢؛ واللفظ له؛ والسنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته هل يخيّر امرأته؟، جزء من رقم الحديث ٩١٦٤، ٢٨٠/٨. وقد أخرج نحوه الإمام مسلم في صحيحه. انظر تخريج الحديث في ص ٢٥٣ من هذا الكتاب.

١- كان المرجع الأساسي لهذا البحث كتاب الله تعالى والحديث الشريف.

٢- نقلت الأحاديث الشريفة من مراجعها الأصلية، وحرصتُ على بيان حكم العلماء عليها إلا ما نقلتها عن الصحيحين إذ الأمة أجمعت على تلقّيهما بالقبول[١].

٣- استفدتُ أثناء الاستدلال بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من تفاسير المفسرين وشروح المحدثين.

٤- عند الاستدلال بالشواهد الحديثية المتعلّقة بسيرته النبي ﷺ معلّماً لم أكن أقصد استقصاء جميع الشواهد، بل ذكرتُ بعضاً منها رغبةً في الاختصار.

٥- عند إيراد الشواهد الحديثية للدلالة على فائدة ما، أشرت إلى الفوائد الأخرى المستفادة منها، والمتعلّقة بسيرته ﷺ معلّماً.

٦- شرحتُ كلمات غريبة، وردتْ في متن البحث، رغبةً في إتمام الفائدة.

٧- سجّلتُ معلومات وافية عن المراجع والمصادر في قائمتها تسهيلاً لمن أراد الرجوع إليها.

خطة البحث:

وجاءت خطة البحث بفضل مولاي الكريم على النحو التالي:

صلب الكتاب: الحديث عن خمسة وأربعين أمرا مستفادة من سيرة النبي الكريم ﷺ معلّماً[٢]. وتمّ بيان كل منها تحت عنوان مستقل.

---

(١) انظر: مقدمة النووي لشرحه على صحيح مسلم ص ١٤؛ ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ص٢٩.

(٢) لا أدّعي حصرها في هذا العدد، ولكن هذا غاية ما توصلت إليه بتوفيق ربي عز وجل، وفوق كل ذي علم عليم.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث والتوصيات.

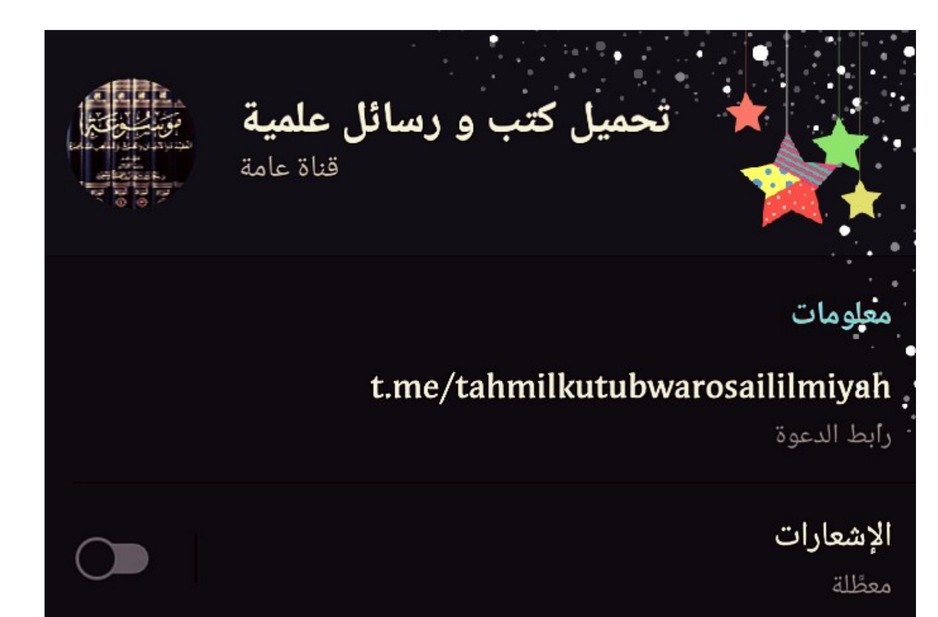
الشكر والدعاء:

والشكر من أعماق قلبي لمولاي الرؤوف الكريم الذي وفّق العبد الضعيف للكتابة في هذا الموضوع العظيم، فما فيه من صواب فمن الله تعالى وحده، وما فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان.

ثم الشكر والدعاء لوالدي الكريمين على بذلهما المستطاع لغرس حب النبي ﷺ في قلوب الأولاد﴿ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. والشكر والدعاء بالتوفيق والسداد لابْنَيَّ الحافظ حماد إلهي والحافظ سجاد إلهي ولابنتيّ العزيزتين على مساعدهم إياي في مراجعة هذا البحث، ولزوجتي وسائر أولادي على حسن مراعاهم أحوالي. وهبهم الله تعالى وأولاد المسلمين ونساءهم حب النبي الكريم ﷺ ورزقنا جميعاً شفاعته ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ومنَّ علينا بمرافقته ﷺ في جنات النعيم.

وأسأل ربي جل جلاله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبله قبولاً حسناً، وينفع به كاتبه، ووالديه، وقارئه، وكل من شارك فيه بشيء. وصلى الله تعالى على نبينا الكريم وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وبارك وسلم.

فضل إلهي



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

-١-

التعليم في كل وقت ملائم

لقد ثبت في سيرة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه أنّه لم يجعل التعليم محصوراً في وقتٍ دونَ غيرهِ؛ بل كان يقومُ بالتعليم والتوجيه في كل وقت وجده مناسباً لذلك. ومما يدلُّ على ذلك أنّه ﷺ إلى جانب قيامِهِ بالتعليم في النَّهار، كان يقومُ به في الليل. ومن شواهد ذلك ما يلي:

أ- التعليم بعد العشاء:

روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:''صلّى بنا النبي ﷺ العشاء في آخرِ حياتِهِ، فلما سَلّم قال:''**أرأيتكم ليلتكم هذه فإنّ رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرضِ أَحد**''[١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قام بالتعليم والتوجيه بعد ما صلّى العشاء. وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

{باب السمر في العلم}[٢].

قال الحافظ ابن حجر في شرحه:''السمر'' بفتح السين والميم، وقيل: الصواب: إسكان الميم لأنه اسم الفعل، ومعناه الحديث بالليل قبل النوم[٣]''.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث ١١٦، ٢١١/١.

(٢) المرجع السابق ٢١١/١.

(٣) فتح الباري ٢١١/١.

وقال العلاّمة العيني: وقد أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها فهذا يدلّ على المنع مطلقاً، والحديث المتقدم يدلُّ على جواز السمر في العلم والخير، فنخص العموم فيما عداهما[١].

ب- التعليم عند الاقتراب من نصف الليل:

روى الإمام البخاري عن أنس ﷺ قال: "نظرنا النبي ﷺ ليلة حتى كان شطر الليل يبلغه[٢]، فجاء فصلّى لنا، ثم خطبنا، فقال: **"ألاَ إن الناس قد صلُّوا، ثم رقدوا، وإنَّكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة"**"[٣].

ومما نجده في الحديث كذلك أنه ﷺ خطب أصحابه عندما اقتربوا من نصف الليل. وقد أورد الإمام البخاري هذا الحديث، والذي قبله في كتاب مواقيت الصلاة، وترجم عليهما بقوله:

{باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء}[٤].

وقال العلاّمة العيني مبيّناً ما يستفاد من الحديثين: "إن المنهي عنه بعد العشاء إنما هو فيما لا ينبغي، وكان ابن سيرين والقاسم وأصحابه يتحدّثون بعد العشاء يعني في الخير"[٥].

---

(١) عمدة القاري ١٧٧/٢ باختصار.

(٢) **(يبلغه)** أي قرب منه. (فتح الباري ٧٤/٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، رقم الحديث ٦٠٠، ٧٣/٢.

(٤) المرجع السابق ٧٣/٢.

(٥) عمدة القاري ٩٧/٥.

ج- التعليم بعد القيام من النوم في الليل:

روى الإمام البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: "**سبحان الله! ماذا أُنزل الليلة من الفتن! ماذا فُتِحَ من الخزائن**[1] **أيقظوا صواحبات الحجر**[2]**، فرُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا عارية في الآخرة**""[3].

ففي هذا الحديث نرى أنه ﷺ قام بالوعظ والتوجيه بعد ما قام من نومه في الليل. وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

{باب العلم والعظة بالليل}[4].

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه:(باب العلم): أي تعليم العلم بالليل، وأَراد المصنف التنبيه على أن النهي عن الحديث بعد العشاء بما لا يكون في الخير[5].

د- التعليم بعد ذهاب ثُلثي الليل:

روى الإمام الترمذي عن أبي بن كعب ﷺ قال: "كان رسول اللهﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام، فقال: "**يا أيها الناس! اذكروا الله! اذكروا الله! جاءت الراجفة تتبعها الرادفة**[6]**، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه**" الحديث[7].

---

(١) **(ماذا أُنزل الليلة من الفتن! وماذا فُتِحَ من الخزائن!)**: عبّر عن الرحمة بالخزائن كقوله تعالى: ﴿خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ وعن العذاب بالفتن لأنها أسبابه. (فتح الباري ١/٢١٠).

(٢) **(صواحب الحجر)**:بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة، وهي منازل أزواج النبيﷺ. (المرجع السابق ١/٢١٠).

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم، رقم الحديث ١١٥، ١/٢١٠.

(٤) المرجع السابق ١/٢١٠.

(٥) انظر: فتح الباري ١/٢١٠.

(٦) **(جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة)**: **(الراجفة)**: النفخة الأولى التي يموت بها الخلائق، و **(الرادفة)** النفخة الثانية التي يحيون بها يوم القيامة،وأصل الرجف الحركة والاضطراب.(المرجع السابق٧/١٢٩؛ وانظر أيضاً: شرح الطيبي ١١/٢٣٨٦).

(٧) جامع الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب، جزء من رقم الحديث ٢٥٧٤، ٧/١٢٩. وقال عنه =

ففي الحديث دلالة على أنه ﷺ كان يقوم بالتوجيه والإرشاد بعد ذهاب ثلثي الليل. فداه روحي وأبي وأمي. كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصاً على توجيه الأمة وتعليمهم. جزاه الله تعالى عنّا خير الجزاء، وجعلنا الكسالى على دربه، إنه سميع مجيب.

فائدة أخرى في الحديث:

ومما نجده في الحديث كذلك أنه ﷺ كرّر قوله: "**اذكروا الله**" وقوله كذلك: "**جاء الموت بما فيه**"[1].

* * *

- الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن". (المرجع السابق ٧/١٣٠)؛ وقال عنه العلاّمة المباركفوري: "وأخرجه أحمد، والحاكم وصححه". (تحفة الأحوذي ٧/١٣٠)؛ وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر صحيح سنن الترمذي ٢/٢٩٩).

(١) انظر: تفصيل استخدام النبي الكريم أسلوب التكرار في ص من ٧١ إلى ٨٤ من هذا الكتاب.

-٣-
التعليم في كل مكان مناسب

لم يجعل النبي الكريم ﷺ التعليم محصوراً في مكان دون غيره؛ بل كان يعلّم أصحابه في كل مكان وجد فيه فرصة ملائمة للتعليم. إلى جانب قيامه ﷺ بالتعليم في المسجد، فقد قام بذلك أيضاً في البيت، وفي منى، وفي السفر، وحتى في المقبرة.

وفيما يلي بعض الشواهد المتعلّقة بهذا الأمر.

أ- التعليم في المسجد:

روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قام في المسجد، فقال: ''يا رسول الله! من أين تأمرنا أن نهلّ؟''.

فقال رسول الله ﷺ: ''**يهلُّ أَهل المدينة من ذي الحليفة، ويهلُّ أَهل الشام من الجحفة، ويهلُّ أهل نجد من قرن**''[١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قام بالتعليم في المسجد. وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

{باب ذكر العلم والفتيا في المسجد}[٢].

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً عليه: ''أي إلقاء العلم والفتيا في المسجد، وأشار بهذه الترجمة الرد على من توقف فيه لما يقع من المباحثة من رفع الصوت، فنبَّه على الجواز''[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث ١٣٣، ١/٢٣٠.

(٢) المرجع السابق ١/٢٣٠.

(٣) فتح الباري ١/٢٣٠.

(ب) تعليم النساء في بيت إحداهن:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ''جاءت امرأة إلى رسول اللهﷺ فقالت: ''يارسول الله: ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلّمنا مما علّمك الله''.

فقال: ''**اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا**''.

فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلّمهن مما علّمه الله[١].الحديث.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قال لهنَّ: ''**اجتمعن يوم كذا كذا في مكان كذا وكذا**''. ووقع في رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ''**موعدكن بيت فلانة**''.

''فأتاهن فحدّثهن''[٢].

فخلاصة الكلام أن النبي ﷺ قام بتعليم النساء في بيت إحداهنّ.

ج- التعليم بمنى:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجل فقال: ''لم أشعر، فحلقت قبل أن أذبح''.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علّمه الله ليس برأي ولا تمثيل، جزء من رقم الحديث ٧٣١٠، ٢٩٢/١٣.

(٢) نقلاً عن فتح الباري ١٩٦/١.

فقال: ''**اذبح ولا حرج**''.

فجاء آخر، فقال: '' لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمي''.

قال: ''**ارم ولا حرج**''.

فما سئل النبي ﷺ عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلاّ قال: ''**افعل ولا حرج**''[١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أجاب من سألوه، وقد كان ﷺ آنذاك راكباً على دابته بمنى. وقد ترجم الإمام البخاري عليه بقوله:

{باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها}[٢].

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على قوله: (وهو واقف) أي المفتي، ومراده أن العالم يجيب سؤال الطالب، ولو كان راكباً[٣].

د. التعليم في السفر:

لم يغفل النبي الكريم ﷺ عن مهمة التعليم في السفر، بل كان يقوم به في أثناء الأسفار حينما وجد فرصة مناسبة لذلك. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه:

روى الأئمة أحمد وأبي داود والنسائي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ''كنت أقود برسول {لرسول} الله ﷺ ناقته في السفر، فقال لي: ''**يا عقبة! ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟**''.

قلت: ''بلى''.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث ٨٣، ١/١٨٠.

(٢) المرجع السابق ١/١٨٠.

(٣) فتح الباري ١/١٨٠.

قال: ''﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[١]''[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ علّم عقبة بن عامر رضي الله عنه المعوذتين في أثناء السفر.

فائدة أخرى في الحديث:

ونجد في الحديث كذلك اهتمامه ﷺ بجذب عناية المخاطب قبل تعليمه إذ ناداه باسمه[٣]، وأثار اشتياقه إلى ما سيعلّمه ببيان عظيم منزلته، وذلك بقوله: ''**يا عقبة! ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟**''.

٢- حديث عمران بن حصين رضي الله عنه:

روى الإمامان أحمد والترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه عنه قال: ''كنا مع النبي ﷺ في سفر، فتفاوت بين أصحابه في السير[٤]، فرفع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[٥]''.

---

(١) قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: وفي رواية: ''فعلّمني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. (انظر: سنن أبي داود ٢٣٦/٤).

(٢) المسند ١٥٣/٤ (ط: المكتب الإسلامي)؛ واللفظ له، وسنن أبي داود، أبواب قيام الليل، تفريع أبواب الوتر، باب في المعوذتين، جزء من رقم الحديث ١٤٥٩، ٢٣٦/٤؛ وسنن النسائي، كتاب الاستعاذة، ٢٥٢/٨-٢٥٣. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٢٧٥/١؛ وصحيح سنن النسائي ١١٠٦/٣).

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ٥٨.

(٤) (**فتفاوت بين أصحابه في السير**). وفي المسند: (**وقد تفاوت بين أصحابه السيرُ**). (المسند، جزء من رقم الحديث ١٩٩٠١، ١٣٤/٣٣. (ط: مؤسسة الرسالة).

(٥) سورة الحج / الآيتان ٢-٣.

فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي[١]، وعرفوا أنه عند قولٍ يقوله''[٢].

فقال: ''**هل تدرون أيّ يوم ذلك؟**''.

قالوا: ''الله ورسوله أعلم''.

قال: ''**ذلك يوم ينادي الله فيه آدم -عليه السلام-، فينادي ربه فيقول: ''يا آدم! ابعث بعث النار''.**

فيقول: ''**أي رب! وما بعث النار؟**''.

فيقول: ''**من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة**''.

فيئس القوم، حتى ما أبدوا بضاحكة[٣]. فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بأصحابه[٤]، قال: ''**اعملوا، وأبشروا، فو الذي نفس محمد ﷺ بيده! إنكم لمع خليقتين**[٥]**، ما كانتا مع شيء إلا كثّرتاه**[٦]**: يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم، وبني إبليس**''.

قال: ''فسُرِّي[٧] عن القوم بعض الذي يجدون''.

---

(١) (**حثوا المطي**): أي حضّوها، والمطي جمع المطية، وهي الدابة تمطو في سيرها أي تجد وتسرع في سيرها. (تحفة الأحوذي ٩/١٠).

(٢) (**عند قول يقوله**): أي يريد أن يقول قولاً: (المرجع السابق ٩/١٠).

(٣) (**حتى ما أبدوا بضاحكة**): أي ما تبسموا، والضواحك الأسنان التي تظهر عند التبسم. (تحفة الأحوذي ٩/١٠).

(٤) (**الذي بأصحابه**) أي من اليأس وعدم التبسُّم. (المرجع السابق ٩/١٠-١١).

(٥) (**إنكم لمع خليقتين**): أي: مخلوقين. (المرجع السابق ٩/١١).

(٦) (**إلاّ كثّرتاه**): أي التكثير. (المرجع السابق ٩/١١).

(٧) (**فسُرِّي**): أي كشف وأزيل. (المرجع السابق ٩/١١).

قال:"**اعملوا، وأبشروا، فو الذي نفس محمد ﷺ بيده! ما أنتم في الناس إلاّ كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة**"[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ علّم أصحابه ما يتعلّق بالآيتين في أثناء السفر.

فوائد أخرى في الحديث:

وإلى جانب ذلك، هناك أمور أخرى نجدها في هذا الحديث، ومنها ما يلي:

أ- جذب عناية الصحابة قبل إخبارهم بما يتعلّق بالآيتين، وذلك بقوله ﷺ لهم:"**هل تدرون أي يوم ذلك؟**".

ب- ملاحظته ﷺ آثار كلامه على الصحابة، ويدلّ على ذلك قول الرواي: "فلما رأي رسول الله ﷺ الذي بأصحابه"[(٢)].

ج- تكراره ﷺ قوله:"**اعملوا وابشروا**"[(٣)].

د- القسم لتأكيد القول، فقد أقسم ﷺ مرتين بقوله:"**فوالذي نفس محمد ﷺ بيده!**".

٣- حديث أبي أيوب ﷺ:

روى الإمام مسلم عن أبي أيوب ﷺ أن أعرابياً عرضٌ لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو زمامه، ثم قال:"يارسول الله! -أو يا محمد ﷺ-! أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار؟".

---

(١) المسند، رقم الحديث (١٩٩٠١)، ٣٣/١٣٤-١٣٥، (ط: مؤسسة الرسالة)؛ وجامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن، ومن سورة الحج،رقم الحديث ٣٣٨٢، (٩/١٠-١١)،واللفظ له. وقال عنه الإمام الترمذي:"هذا حديث حسن صحيح". (المرجع السابق ٩/١١)؛ وقال عنه العلاّمة المباركفوري: "وأخرجه أحمد والنسائي والحاكم". (تحفة الأحوذي ٩/١١)؛ وصحّحه الشيخ الألباني والشيخ شعيب الأرناؤوط ورفقاؤه: (انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/٧٩؛ وهامش المسند ٣٣/٣٥-١٣٦).

(٢) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٤١ إلى ص ٢٤٧.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٧١ إلى ص ٨٤.

قال: ''فكف النبيﷺ، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: ''**لقد وفق أو لقد هدي**''.

قال: ''**كيف قلت؟**''.

قال: ''فأعاد. فقال النبي ﷺ: ''**تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة**[1]''[2].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ سئل عما يقرب من الجنة ويباعد من النار، فأفاد ﷺ السائل والحاضرين معه، بالإجابة على سؤاله، وهو في السفر.

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في هذه القصة، ومنها ما يلي:

أ- تواضعه ﷺ مع السائل حيث لم يضجره بسبب أخذه خطام ناقته، وسؤاله في السفر[3].

ب- ثناؤه ﷺ على السائل إذ قال: ''لقد وفق أو لقد هدي''[4].

ج- جذبه ﷺ عناية الحاضرين من الصحابة قبل الإجابة على السؤال كي تعم الفائدة، وذلك بالثناء على السائل أمام الصحابة، ثم بأمر السائل بإعادة السؤال كي يعلمه الصحابة، ثم يسمعوا الإجابة منه ﷺ.

د- الاختصار في الإجابة إذ إن الإطالة فيها تكون غالبا سببا لنسيان معظمها، والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) **(دع الناقة)**: إنما قاله لأنه كان ممسكا بخطامها أو زمامها ليتمكن من سؤاله بلا مشقة، فلما حصل جوابه، قال: دعها. (شرح النووي ١/١٧٣).

(٢) صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي به يدخل الجنة، وأن من تمسك ما أمر به دخل الجنة، رقم الحديث ١٢/(١٣)، ١/٤٢-٤٣.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٩٠ إلى ص ١٩٤.

(٤) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٤١ إلى ص ١٤٧.

-٣-

تعليم فئات من الناس

إنّ مما ثبت في سيرة النبي الكريم ﷺ أنه لم يقتصر في تعليمه على فئة مخصصة من الناس، بل بذل جهوده المباركة لتعليم فئات عديدة من الناس. ومن شواهد ذلك ما يلي:

(أ) تعليم الأهل:

روى الإمام الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ''علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب: ''**اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفرلي**''[(١)].

وفي هذا تنبيه ودرس لكثير من معلمي عصرنا الذين يعلّمون الناس الخير وينسون أهلهم.

(ب) تعليم العم ﷺ:

روى الإمام الترمذي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: ''يا رسول الله ﷺ! علّمني شيئاً أسأله الله''.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الصلاة، ١/١٩٩. وقال عنه الإمام الحاكم: ''هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه''. (المرجع السابق ١/١٩٩)؛ ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ١/١٩٩).
تنبيه: وانظر أيضاً: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم الحديث ٧٩(٢٧٢٦)، ٤/٢٠٩٠، وذلك لإخبار النبي ﷺ أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها عظيم فضل: ''سبحان الله وبحمده، عَدَدَ خَلْقِهِ، ورِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ''.

قال: ''**سل الله العافية**''[١].

فمكثت أياماً، ثم جئت، فقلت: ''يا رسول الله! علّمني شيئاً أسأل الله''.

فقال لي: ''**ياعباس! ياعمَّ رسول الله! سل الله العافية في الدنيا والآخرة**''[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ علّم عمه الدعاء بالعافية في الدنيا والآخرة.

(ج) تعليم ابن العم:

روى الإمام الترمذي عن علي رضي الله عنه أن مكاتِباً جاءه، فقال: ''إنِّي عَجزت عن كتابتي فأعِنِي''.

قال: ''ألا أعلّمك كلماتٍ علّمنيهن رسول الله ﷺ؟ لو كان عليك مثل جبل صِيْرٍ[٣] ديناً، أدّاه الله عنك.

قال: قل: ''**اللهم اكفني بحلالِكَ عن حرامك واغْنِنِيْ بفضلك عمَّن سواك**''[٤].

---

(١) (**العافية**): معنى العافية دفاع الله عن العبد، فالداعي بها قد سأل ربه دفاعه عن كل ما ينويه. (انظر: تحفة الأحوذي ٣٤٨/٩).

(٢) جامع الترمذي، أبواب الدعوات، باب، رقم الحديث ٣٧٤٥، ٣٤٨/٩. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ١٧٠/٣).

(٣) (**صِيْر**): هو اسم جبل، ويروى: صور. (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ''صير''، ٦٦/٣).

(٤) جامع الترمذي، أحاديث شتى من أبواب الدعوات، باب، رقم الحديث ٣٧٩٨، ٦/١٠-٧. وقال عنه الإمام الترمذي: ''هذا حديث حسن غريب''. (المرجع السابق ٧/١٠)؛ وقال عنه العلاّمة المباركفوري: ''وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير والحاكم، وقال: ''صحيح''. (تحفة الأحوذي ٧/١٠)؛ وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ١٨٠/٣).

(د) تعليم ابنة العم:

روى الإمام أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضُباعة بنت الزبير ابن عبد المطلب رضي الله عنها أتت رسول الله ﷺ، فقالت:''يا رسول الله! إنِّي أريد الحج أشتَرِط؟''.

قال:''**نعم**''.

قالت:''فكيف أقول؟''.

قال:''**قولي:''لبيك اللهم لبيك ومَحِلّي حيث حَبَسْتَني**''[١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ، علّم ابنة عمه الزبير رضي الله عنها كيفية الاشتراط في الحج.

(هـ) تعليم الصاحب:

روى الإمام البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ:''علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي''.

قال:''**قل:''اللهم إنِّي ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفرلي مغفرة من عندك، وارحمني، إنَّك أنت الغفور الرحيم**''[٢].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب الاشتراط في الحج، رقم الحديث (١٧٧٣)، ٥/١٣٣-١٣٤. وقال عنه الشيخ الألباني:''حسن صحيح''. (صحيح سنن أبي داود ١/٣٣٢). وأصل الحديث في صحيح مسلم، كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه، رقم الحديث ١٠٤ (١٢٠٧)، ٢/٨٦٧ – ٨٦٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم الحديث ٨٣٤، ٢/٣١٧.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ علم أبا بكر الصديق رضي الله عنه دعاء يدعو به في صلاته.

(و) تعليم الشباب:

روى الإمام البخاري عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: ''أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة[١] متقاربون[٢]. فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رقيقا[٣]. فلما ظن أننا قد اشتهينا أهلنا[٤] أو قد اشتقنا – سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه''.

قال: **''ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم – وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها[٥] – وصلوا كما رأيتموني أصلي. فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم''[٦].**

ومما نجده في الحديث أن مجموعة من الشباب سعدوا بالتعلم لدى النبي ﷺ لمدة عشرين ليلة.

---

(١) **(شببة)**: جمع شاب، وهو من كان دون الكهولة. (انظر: فتح الباري ١٣/٢٣٦).

(٢) **(متقاربون)**: أي في السن والعلم والقراءة. (انظر: المرجع السابق ١٣/٢٣٦).

(٣) **(رقيقا)**: قال الحافظ ابن حجر: ''بقافين، وبفاء ثم قاف، ثبت ذلك عند رواة البخاري على الوجهين، وهما متقاربان في المعنى المقصود هنا''. (المرجع السابق ١٣/٢٣٦).

(٤) **(أهلنا)**: المراد بالأهل زوجته أو أعم من ذلك. (انظر: المرجع السابق ١٣/٢٣٦).

(٥) **(وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها)**: قائل هذا هو أبو قلابة راوي الحديث، وهو لِلتنويع، لا للشك. (انظر: المرجع السابق ١٣/٢٣٦).

(٦) صحيح البخاري، كتاب خبر الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، رقم الحديث ٧٢٤٦، ١٣/٢٣١.

(ز) تعليم الأطفال:

روى الإمامان أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ''كنت خلف النبي ﷺ يوما، فقال: ''**يا غلام! إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف**''[1].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قام بتعليم ابن عباس رضي الله عنهما، وكان آنذاك غلاما. والمراد بالغلام – كما بين الملا علي القاري – هنا الولد الصغير لا المملوك[2].

(ح) تعليم النساء:

١- روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ''أشهد على النبي ﷺ – أو قال عطاء: أشهد على ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج- ومعه بلال ﷺ، فظن أنه لم يسمع، فوعظهن وأمرهن بالصدقة.

---

(١) المسند، رقم الحديث ٢٦٦٩، ٢٣٣/٤؛ وجامع الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب، رقم الحديث: ٢٦٣٥، ١٨٥/٧-١٨٦؛ واللفظ له. وقال عنه الإمام الترمذي: ''هذا حديث حسن صحيح''. (المرجع السابق ١٨٦/٧)؛ وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر. (انظر: هامش المسند ٢٣٣/٤)؛ وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح الترمذي ٣٠٩/٢).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح ١٦٢/٩.

تنبيه: هناك شواهد أخرى لتعليم النبي الكريم الأطفال. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتاب: الاحتساب على الأطفال للكاتب.

فجعلت المرأة تلقي القُرْط[١] والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه''[٢].

وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

{باب عظة الإمام النساء وتعليمهن}.

وقال الحافظ ابن حجر: ''واستفيد الوعظ بالتصريح من قوله في الحديث: ''فوعظهنّ''، وكانت الموعظة بقوله: ''**إنِّي رأيتكنَّ أكثر أهل النار، لأنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**''. واستفيد التعليمُ في قوله: ''وأمرهن بالصدقة'' كأنه أعلمهن أنّ في الصدقة تكفيراً لخطاياهن''[٣].

٢- روى الإمامان أبو داود والترمذي عن خُمَيْصَة بنت ياسر عن جدَّها يُسَيْرَة رضي الله عنها، وكانت من المهاجرات، قالت: ''قال لنا رسول الله ﷺ: ''**عليكن[٤] بالتسبيح والتهليل والتقديس. واعقدن بالأنامل، فإنهن مسؤولات مستَنْطقات[٥]، ولا تغفلن[٦] فتنسين الرحمة[٧]**''''[٨].

---

(١) (القرط): بضم القاف وإسكان الراء، الحلقة التي في شحمه الأذن. (فتح الباري ١/١٩٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث ٩٨، ١/١٩٢.

(٣) فتح الباري (١/١٩٢-١٩٣).

(٤) (**عليكن**): اسم فعل بمعنى الزَمْنَ وأمْسَكْن. (تحفة الأحوذي ١٠/٣١). وفي رواية أبي داود: ''أمرهن أن يراعين''. (سنن أبي داود، تفريع أبواب الوتر، باب التسبيح بالحصى، جزء من رقم الرواية ١٤٩٨، ٤/٢٥٨).

(٥) (**مستنطَقات**): بفتح الطاء أي متكلمات بخلق النطق فيها، فيشهدن لصاحبهن أو عليه بما اكتسبه. (تحفة الأحوذي ١٠/٣١).

(٦) (**ولا تغفلن**): أي عن الذكر يعني لا تتركن الذكر. (المرجع السابق ١٠/٣١).

(٧) (**فتنسين الرحمة**): المراد بنسيان الرحمة نسيان أسبابها أي لا تتركن الذكر، فإنكن لو تركتن الذكر لحرمتن ثوابه، فكأنكنّ تتركن الرحمة. (المرجع السابق ١٠/٣١).

(٨) سنن أبي داود، تفريع أبواب الوتر،باب التسبيح بالحصى، رقم الحديث ١٤٩٨،٤/٢٥٨؛ وجامع الترمذي،=

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قام بتعليم معشر النساء. قالت يسيرة رضي الله عنها: ''قال لنا رسول الله ﷺ '' أي قال ﷺ لمعشر النساء.

٣- روى الإمام أبو داود عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: ''قال لي رسول الله ﷺ: ''**ألا أعلّمك كلمات تقولينهن عند الكَرْب**[١] **أو في الكَرْب**[٢]: **الله لله ربي لا أشرك به شيئاً**''[٣].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ علّم امرأة وهي أسماء بنت عميس رضي الله عنها دعاء الكرب.

هذا، وقد ثبت في حديث آخر أنّ النبي ﷺ وعد النساء يوماً، فاتاهنّ في بيت إحداهنّ فحدَّثهنَّ[٤]، وترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

{باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟}[٥].

(ط) تعليم الأعراب:

روى الإمام مسلم عن سعد رضي الله عنه قال: ''جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: ''علّمني كلاماً أقوله''.

=أبواب الدعوات، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم الحديث ٣٨١٧، ١٠/٣٠-٣١، واللفظ له. وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١/٢٨٠؛ وصحيح سنن الترمذي ٣/١٨٣).

(١) (**الكرب**) أي المحنة والمشقة. (عون المعبود ٤/٢٧٠).

(٢) (أو في الكرب) شك الراوي. (المرجع السابق ٤/٢٧٠).

(٣) سنن أبي داود، تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار، رقم الحديث ١٥٢٢، ٤/٢٧٠. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١/٢٨٤).

(٤) انظر تفصيل الحديث وتخريجه في ص ١٦ من هذا الكتاب.

(٥) صحيح البخاري، كتاب العلم، ١/١٩٥.

''قال: **قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**''.

قال: ''فهؤلاء لربي، فما لي؟''.

قال: ''**قل: اللهم اغفرلي وارحمني واهدني وارزقني**''[١].

فائدة أخرى في الحديث:

ومما نجده في الحديث أيضا لطف النبي ﷺ وشفقته حيث لم يضجر من سؤال الأعرابي بقوله: ''فهؤلاء لربي، فما لي؟''، بل أرشده إلى ما يطلبه لنفسه من ربه عز وجل. فصلوات ربي وسلامه عليه.

(ي) تعليم المسلمين الجدد:

روى الإمام مسلم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه ﷺ قال: ''كان الرجل إذا أسلم، علمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: ''**اللهم اغفرلي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**''[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ كان يعلم المسلمين الجدد.

* * *

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم الحديث ٢٣ (٢٢٩٦)، ٢٠٧٢/٤.

(٢) المرجع السابق، رقم الحديث ٣٥ (٢٦٩٧)، ٢٠٧٣/٤).

-٤-

انتهاز الفرص والمناسبات للتعليم

إنّ مما نجده في سيرة النبي الكريم أنه كان ينتهز الفرص والمناسبات لتعليم أصحابه، وتفقيههم أمور الدين. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- اغتنام رؤية البدر لبيان رؤية الله تعالى:

روى الشيخان عن جرير ﷺ قال: "كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامّون**[١] **في رؤيته، فإن استطعتم أنْ لا تغلبوا**[٢] **على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**[٣]**، يعني العصر والفجر**. ثم قرأ جرير ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٤]"[٥].

---

(١) (**لا تضامون**): بضم أوله مخففاً أي لا يحصل لكم ضيم حينئذ. وروي بفتح أوله والتشديد من الضم، والمراد نفي الازدحام. (فتح الباري ٢/٣٣).

(٢) (**فإن استطعتم أن لا تُغلبوا**): فيه إشارة إلى قطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة كالنوم والشغل، ومقاومة ذلك بالاستعداد له. (المرجع السابق ٢/٣٣).

(٣) وفي رواية البخاري: (**فافعلوا**). (صحيح البخاري ٢/٣٣). وقال إسماعيل (أحد رواة الحديث): (**افعلوا**): لا تفوتنكم. (فتح الباري ٢/٣٣)

(٤) سورة طه/ جزء من الآية ١٣٠.

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم الحديث ٥٥٤، ٢/٣٣؛ وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم الحديث ٢١١ (٦٣٣)، ١/٤٣٩.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ استفاد من فرصة رؤية القمر ليلة البدر، فعلّم أصحابه أنهم سيرون ربهم تعالى في الآخرة من غير ازدحام فيما بينهم كما يشاهدون القمر كلهم بغير ازدحام.

٢- الأمر بالاستعاذة من شرِّ خوف القمر عند رؤيته:

روى الأئمة أحمد وعبد بن حميد والترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نظر إلى القمر، فقال: "**يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب**"(١).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أمر عائشة رضي الله عنها بالاستعاذة من شر خسوف القمر عند النظر إلى القمر. قال الإمام الطيبي في شرح الحديث: "قوله (**الغاسق إذا وقب**): [**الغاسق**] الليل إذا غاب الشفق واعتكر ظلامه من (غسق يغسق) إذا أظلم، وأطلق هاهنا على القمر لأنه يظلم إذا كسف. و[وقوبه]: دخوله في الكسوف واسوداده، وإنما استعاذ من كسوفه لأنه من آيات الله الدالة على حدوث بلية، ونزول نازلة"(٢).

---

(١) المسند، رقم الحديث ٢٥٨٠٢، ٨/٤٣ (ط: مؤسسة الرسالة)؛ والمنتخب من مسند عبد بن حميد، رقم الحديث ١٥١٥، ٣٧٦/٢؛ وجامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن، ومن سورتي المعوذتين، رقم الحديث ٣٥٨٩، ٢١٣/٩؛ واللفظ له؛ والسنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا رفع رأسه إلى السماء، رقم الحديث ١٠٠٦٤، ١٢٢/٩. وقال عنه الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". (جامع الترمذي، ٢١٣/٩)؛ وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث ٧٩١٦، ١٣١١/٢؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول، رقم الحديث ٣٧٢)، وحسّن الشيخ شعيب الأرناؤوط ورفقاؤه إسناد المسند. (انظر: هامش المسند ٨/٤٣).

(٢) شرح الطيبي ١٩٢٠/٦.

٣- بيان رحمة الله تعالى عند مشاهدة شفقة المرأة على الصبيان:

روى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ''قدم على النبي ﷺ سبي[١]، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي[٢]، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها، وأرضعته''.

فقال لنا النبي ﷺ: **''أترون[٣] هذه طارحة ولدها في النار؟''**.

قلنا: ''لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه''[٤].

فقال: **''لله[٥] أرحم بعباده من هذه بولدها''**[٦].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ اغتنم مشاهدة الصحابة رضي الله عنهم شدة تعلق المرأة بالصبيان، وشفقتها عليهم لبيان رحمة الله تعالى على عباده.

فوائد أخرى في الحديث:

ومن الفوائد الأخرى في هذا الحديث ما يلي:

---

(١) **(سبي)**: ''هذا السبي هو سبي هوازن''. (فتح الباري ٤٣٠/١٠).

(٢) **(تحلب ثديها تسقي)**: (تحلب) بسكون الحاء وضم اللام، و(ثديها) بالنصب، و(تسقي) بفتح التاء وكسر القاف، وفي بعض الروايات: (قد تحلب) بفتح الحاء وتشديد اللام أي تهيأ لأن يحلب. (انظر: المرجع السابق ٤٣٠/١٠).

(٣) **(أترون)**: بضم التاء أي أتظنون؟. (انظر: المرجع السابق ٤٣٠/١٠-٤٣١).

(٤) **(لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه)**: أي لا تطرحه طائعة أبدا. (انظر: المرجع السابق ٤٣١/١٠).

(٥) **(لله)**: بفتح أوله، لام التأكيد، وصرح بالقسم في رواية الإسماعيلي فقال: **''والله! الله أرحم''**.(المرجع السابق ٤٣١/١٠).

(٦) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث ٥٩٩٩، ٤٢٦/١٠-٤٢٧؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب، رقم الحديث ٢٢ (٢٧٥٤)، ٢١٠٩/٤.

أ- استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام لجذب عناية المخاطبين لما بيّنه لهم[١].

ب- ضربه ﷺ المثل لبيان رحمة الله تعالى بعباده. قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث: "وفيه ضرب المثل بما يُدْرَك بالحواس لما لا يُدْرَك بها لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاد بحقيقته لأن رحمة الله لا تُدْرَك بالعقل، ومع ذلك فقرّبها النبي ﷺ بحال المرأة المذكورة"[٢].

٤- اغتنام كلام سعد ﷺ لبيان غيرة الله تعالى:

روى الشيخان عن المغيرة ﷺ قال: قال سعد بن عبادة ﷺ: "لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفِح عنه"[٣].

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "**أتعجبون من غيرة[٤] سعد ﷺ فوالله! لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش[٥] ما ظهر منها وما بطن[٦]، ولا شخص أحب إليه العذر من الله[٧]، من أجل ذلك بعث الله المرسلين**

---

(١) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

(٢) فتح الباري ١٠/٤٣١؛ وانظر أيضا بهجة النفوس ٤/١٥٢.

(٣) (**غير مصفح عنه**): هو بكسر الفاء أي غير ضارب بصفح السيف، وهو جانبه، بل أضربه بحده. (شرح النووي ١٠/١٣١).

(٤) (**غيرة**): قال العلماء: الغيرة بفتح العين، وأصلها المنع، والرجل غيور على أهله أي يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره، والغيرة صفة كمال. (المرجع السابق ١٠/١٣٢).

(٥) (**ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش**): يعني أن الله تعالى لما غار على عباده وإمائه الفواحش، شرع تحريمها، ورتب على مرتكبها العقاب في الدنيا والآخرة لينـزجروا عنها.(شرح الطيبي ٧/٢٣٥٩).

(٦) (**ما ظهر منها وما بطن**): أي ما أُعلن منها وما أُسر. وقيل: ظاهره الزنا في الحوانيت، وباطنه الصديقة في السر. (المرجع السابق ٧/٢٣٥٩).

(٧) (**ولا شخص أحب إليه العذر من الله**): ليس أحد أحب إليه الإعذار من الله تعالى، فالعذر هنا بمعنى الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة. (انظر: شرح النووي ١٠/١٣٢).

مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة[١]''[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لما سمع كلام سعد ﷺ الدال على شدة غيرته أخبر الصحابة عن غيرته وغيرة الله تعالى، وما حرّمه الله تعالى من أجل غيرته.

فائدة أخرى في الحديث:

ومن فوائد هذا الحديث كذلك أنه ﷺ استخدم أسلوب الاستفهام حيث قال: ''**أتعجبون من غيرة سعد** ﷺ؟''، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من أثر قوي في جذب عناية المخاطبين''[٣].

فخلاصة الكلام أن النبي الكريم ﷺ كان يغتنم الفرص والمناسبات لتعليم أصحابه وتفقيههم أمور الدين.

* * *

(١) (**ولا شخص أحب إليه المِدْحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة**): والمِدحة بكسر الميم، والمدح بفتح الميم، فإذا ثبتت الهاء كسرت الميم، وإذا حذفت فتحت. ومعنى (**من أجل ذلك وعد الجنة**): أنه لما وعدها ورغّب فيها كثر سؤال العباد إياها منه، والثناء عليه. والله أعلم. (شرح النووي ١٠/١٣٢-١٣٣).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: ''**لا شخص أغير من الله**''، رقم الحديث ٧٤١٦، ١٣/٣٩٩؛ وصحيح مسلم، كتاب اللعان، رقم الحديث ١٧(١٤٩٩)، ٣/١١٣٦؛ واللفظ له.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

-٥-

الترحيب بطالب علم

لقد ثبت من سيرة النبي الكريم ﷺ ترحيبه لمن جاء إليه يطلب علما. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الترحيب بصفوان المرادي رضي الله عنه:

روى الإمام الطبراني عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: "أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: "يارسول الله ﷺ! إني جئت أطلب العلم".

فقال: "**مرحبا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضا، حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب**"[(١)].

ففي هذا الحديث نجد أنه ﷺ رحب بصفوان رضي الله عنه لما جاءه طالبا للعلم، وبشره ﷺ أيضاً ببيان تكريم الملائكة لطالب العلم.

وفي رواية الحاكم عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه أنه جاء يسأله عن شيء، قال: "**ما أعملك إلي إلا ذلك؟**".

---

(١) نقلا عن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب العلم، باب في طلب العلم وإظهار البشر له، ١/١٣١. وقال عنه الحافظ الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح". (المرجع السابق ١/١٣١).
وقال الحافظ المنذري: "رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والحاكم. وقال: "صحيح الإسناد، وروى ابن ماجه نحوه باختصار". (الترغيب والترهيب ١/٩٥-٩٦)؛ وحسنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/١٠٦).

قال: ''ما أعملت إليك إلا لذلك''.

قال: **''فأبشر فإنه ما من رجل يخرج في طلب العلم إلا بسطت له الملائكة بأجنحتها رضى بما يفعل، حتى يرجع''**[١].

٢- الترحيب بوفد عبد القيس:

روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال: **''مرحبا بالوفد الذين جاءوا غير خزايا[٢] ولا ندامى[٣]''**.

فقالوا: ''يارسول الله! إنا حي من ربيعة، وبيننا وبينك مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بأمر فصل، فندخل به الجنة، وندعو به من وراءنا''.

فقال: **''أربع أربع: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا خمس ما غنمتم. ولا تشربوا في الدباء[٤] والحنتم[٥] والنقير[٦] والمزفت[٧]''**[٨].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، ١/١٠٠. وصحح الإمام الحاكم إسناده. (انظر: المرجع السابق ١/١٠٠)؛ ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ١/١٠٠).

(٢) (**غير خزايا**): أي أنتم مسعوفون في كل مطلوباتكم، لأن من لم يخز فقد أجيب وأسعف، لأن نفي الشيء يوجب ضده. (بهجة النفوس ١/٩٤).

(٣) (**ولا ندامى**): هذا إخبار لهم بالمسرة في الأجل لأن الندامة في الغالب لا تكون إلا في العاقبة. (المرجع السابق ١/٩٥).

(٤) (**الدباء**): بضم الدال، وتشديد الباء، والمد وهو القرع، وقال الإمام النووي: ''والمراد اليابس منه''.(نقلا عن فتح الباري ١/١٣٤).

(٥) (**الحنتم**): بفتح الحاء وسكون النون وفتح التاء، وهي الجرار الخضر، وعن عطاء: أنه كانت تعمل من طين وشعر ودم. (انظر: المرجع السابق ١/١٣٤).

(٦) (**النقير**): بفتح النون وكسر القاف، النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء. (المرجع السابق ١/١٣٤).

(٧) (**المزفت**): ما طلي بالزفت. (المرجع السابق ١/١٣٤).

(٨) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل: ''مرحبا''، رقم الحديث ٦١٧٦، ١٠/٥٦٢.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ رحّب بالقوم الذين جاءوا إليه سائلين عن أمور الدين.

قال الإمام ابن أبي جمرة في شرحه: ''(**مرحبا**) أي صادفتم رحباً وسعةً. وفيه دليل على التأنيس للوارد، وذلك بشرط أن يكون ما يأنسوا به مطابقاً لحال المتكلم لئلا يدرك الوارد طمعاً في المورود عليه فيما لا يقدر عليه، لأن الرحب والسعة التي أخبر بها عليه الصلاة والسلام كانت عنده حقيقة حساً ومعنى''[1].

قال الحافظ ابن حجر: ''فيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرّر ذلك من النبي ﷺ ففي حديث أم هاني رضي الله عنها: **''مرحباً بأم هاني''**؛ وفي قصة عكرمة ﷺ بن أبي جهل: ''**مرحباً بالراكب المهاجر**''؛ وفي قصة فاطمة ﷺ الله عنها: ''**مرحباً بابنتي**''؛ وكلها صحيحة. وأخرج النسائي من حديث عاصم بن بشير الحارثي عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ قال له لما دخل فسلّم عليه: ''**مرحباً وعليك السلام**''[2].

فوائد أخرى:

ومن الفوائد الأخرى في هذا الحديث ما يلي:

أ- إجماله ﷺ أولاً، ثم تفسيره الإجمال بعد ذلك حيث قال: ''**أربع أربع**''. ثم بين ذلك. وفي هذا الصدد قال الإمام ابن المنيِّر: ''فيه دليل على أنّ الفصيح من الكلام

(١) بهجة النفوس ١/٩٤؛ وانظر أيضاً: شرح النووي ١/١٩٥.

(٢) فتح الباري ١/١٣١؛ وانظر أيضاً عمدة القاري ١/٣١٠؛ وشرح النووي على صحيح مسلم ١/١٩٥، وقد جاء فيه: ''وفيه استحباب قول الرجل لزواره والقادمين عليه مرحبا ونحوه والثناء عليهم إيناساً وبسطاً''.

الإجمال أولاً، ثم التفسير للإجمال بعده، لأنه عليه السلام أجمل لهم أولاً، ثم بعد ذلك فسّر ما أجمل. والحكمة في ذلك أنه عند الإخبار بالإجمال يحصل للنفس المعرفة بغاية المذكور، ثم تبقي متشوّقة إلى معرفة معناه، فيكون ذلك أوقع في النفس، وأعظم في الفائدة''[١].

ب- وفيه -كما ذكره الإمام ابن المنيِّر- أيضاً ''دليل على فصاحته عليه السلام وإبلاغه في إيجاز الكلام مع إيصال الفائدة بالبيان، لأنهم سألوا عن الأشربة، وهي كثيرة، فلو ذكرها لاحتاج إلى تعدادها كلها، ووصفها، ولكنه عليه السلام أضرب عن ذلك، وأجاب عن الأواني المذكورة لا غير، فكأنه عليه السلام يقول:''الأشربة كلها حلال إلا ما نبذ في هذه الأواني، فكان هذا تصديقاً لقوله عليه السلام:''**أوتيت جوامع الكلام**''[٢].

٣- الترحيب برجال بني عامر:

روى الإمامان ابن أبي شيبة وابن حبان عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال:''دخلت على النبي ﷺ أنا، ورجلان من بني عامر، فقال:''**من أنتم؟**''.

فقلنا:''من بني عامر''.

فقال ﷺ:''**مرحباً بكم! أنتم مني**''[٣].

---

(١) بهجة النفوس ١/٩٧.

(٢) المرجع السابق ١/١٠١.

(٣) المصنف، كتاب الفضائل، ما جاء في بني عامر، رقم الحديث ١٥٥٣٥، ١٢/١٩٩؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب فضل الصحابة والتابعين، رقم الحديث ٧٢٩٣، ١٦/٢٨٢؛ واللفظ له. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر:صحيح موارد الظمآن ٢/٤٠٧).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ رحب بأولئك الثلاثة القادمين عليه. ما أسعد أولئك! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. اللهم لا تحرمنا من مرافقة نبيك ﷺ في جنات الخلد إنك سميع مجيب. هذا، وقد ترجم على الحديث الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر مدح المصطفى ﷺ بني عامر][1].

فائدة أخرى في الحديث:

ومن الفوائد الأخرى الموجودة في الحديث أنه ﷺ سأل القادمين عليه كي يتعرّف عليهم، فينزلهم منزلتهم[2].

هذا، وقد أمر النبي الكريم ﷺ أصحابه بترحيب طلبة العلم القادمين إليهم، فقد روى الإمام ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ''**سيأتيكم أقوام يطلبون العلم. فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: ''مرحباً! مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، واقنوهم''**.

قلت للحكم: ''ما اقنوهم؟''.

قال: ''علّموهم''[3].

* * *

(١) الإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان ٢٨٢/١٦.

(٢) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٢٢ إلى ص ٢٢٣.

(٣) سنن ابن ماجة، المقدمة، الوصاة بطلبة العلم، رقم الحديث ٢٢١، ٤٥/١. وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجة ٤٧/١؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الأول/ رقم الحديث ٢٨٠).

-٦-
إدناء المخاطبين

لا يخفى ما لدنو الطلاب من معلمهم من أثر في فهم الدرس واستيعابه. ولقد كان رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه مهتما بذلك، وثبت ترغيبه ﷺ أصحابه في الدنو منه أثناء الخطبة. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه:

روى الإمام أبو داود عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: **"احضروا الذكر، وادنوا[١] من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة، وإن دخلها"**[٢].

ففي هذا الحديث أمر ﷺ بالاقتراب من المتحدث أثناء الموعظة محذرا من الخسارة التي يجدها المتأخر. وقد ترجم عليه الإمام أبو داود بقوله:

[باب الدنو من الإمام عند الموعظة][٣].

وقال العلامة الطيبي في شرح الحديث: "أي لا يزال الرجل يتباعد عن استماع الخطبة، وعن الصف الأول الذي هو مقام المقربين حتى يؤخر إلى آخر صف

---

(١) (وادنوا): أي اقربوا قدر ما أمكن. (عون المعبود ٣٢١/٣).

(٢) سنن أبي داود، تفريع أبواب الجمعة، رقم الحديث ١١٠٤، ٣٢١/٣. وحسنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٢٠٦/١).

(٣) المرجع السابق ٣٢١/٣.

المتسفلين، وفيه توهين أمر المتأخرين، وتسفيه رأيهم حيث وضعوا أنفسهم من أعالي الأمور إلى أسافلها''[١].

٢- حديث أوس بن أوس رضي الله عنه:

روى الإمام الترمذي عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ''**من اغتسل يوم الجمعة وغسل[٢]، وبكر وابتكر[٣]، ودنا، واستمع، وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة، صيامها وقيامها**''[٤].

ففي هذا الحديث حث ﷺ على الدنو من الخطيب، وذلك ببيان أن ذلك أحد الأعمال الأربعة التي يجد صاحبها بها بكل خطوة يخطوها أجر صيام سنة وقيامها.

ومما يؤسف له أن عددا كبيرا من طلبة العلم يبتعدون عن المدرسين في قاعات الدرس، فيجلسون في الصفوف الأخيرة، رغم وجود الأماكن الفارغة في الصفوف المتقدمة. ولا يقف الأمر عند هذا، بل إن الكثيرين من المدرسين لا يطلبون من المتخلفين الدنو والاقتراب منهم. فإلى الله تعالى المشتكى وهو المستعان على ما يفعلون.

* * *

---

(١) شرح الطيبي ٤/١٢٧٧-١٢٧٨.

(٢) (**من اغتسل يوم الجمعة وغسل**): قال وكيع: ''**اغتسل هو، وغسل امرأته**''. ويروى عن ابن المبارك أنه قال في هذا الحديث: (**من غسل واغتسل**) يعني غسل رأسه واغتسل. (صحيح سنن الترمذي ١/١٥٤).

(٣) (**بكر وابتكر**): أي أسرع، وذهب إلى المسجد بالبكرة، فإن التبكير هو الإسراع في أي وقت كان. (شرح الطيبي ٤/١٢٧٦).

(٤) صحيح سنن الترمذي، أبواب الجمعة، باب في فضل الغسل يوم الجمعة، رقم الحديث ٤١٠-٥٠٠، ١/١٥٣-١٥٤. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: المرجع السابق ١/١٥٤).

-٧-

الإقبال على المخاطبين وإقبالهم على النبي ﷺ

إن من دواعي التأثير في التعليم إقبال المعلم على المخاطبين وإقبال المخاطبين عليه. ولقد ثبت في سيرة النبي ﷺ إقباله على المخاطبين أثناء التعليم والتوجيه والوعظ والنصح، كما ثبت إقبالهم عليه أثناء ذلك.

أولا: الإقبال على المخاطبين:

ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- حديث أبي موسى رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: "يا رسول الله! ما القتال في سبيل الله، فإن أحدنا يقاتل غضبا، ويقاتل حمية؟".

فرفع إليه رأسه قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما فقال: "**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل**"[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ رفع رأسه إلى السائل عند الإجابة على سؤاله. قال الإمام ابن أبي جمرة: "فيه دليل على أن السنة أن يواجه المسؤول السائل بوجهه عند الجواب، يؤخذ ذلك من قوله: "فرفع إليه رأسه"، ثم استعذر من رفع رأسه ﷺ بأن قال: "إنما رفع إليه رأسه لأنه كان قائما"[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالما جالسا، رقم الحديث ١٢٣، ١/٢٢٢.

(٢) بهجة النفوس ١/١٥٠.

وقال الحافظ ابن حجر: ''وفيه إقبال المسؤول على السائل''(١). وقال العلامة العيني: ''فيه إقبال المتكلم على الخاطب''(٢).

٢- حديث البراء رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: ''خرج النبي ﷺ يوم أضحى إلى البقيع، فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وقال: **''إن أول نُسكنا في يومنا هذا أن نبدأ بالصلاة، ثم نرجع فننحر ... الحديث''**(٣).

ومما نجده في الحديث أن البراء رضي الله عنه بيَّن هيئة رسول الله ﷺ أثناء خطبة عيد الأضحى بقوله: ''ثم أقبل علينا بوجهه''. وترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

[باب استقبال الإمام الناس في خطبة العيد](٤).

٣- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس،- والناس جلوس على صفوفهم-فيعظهم، ويوصيهم، ويأمرهم ...الحديث(٥).

---

(١) فتح الباري ٢٢٢/١.

(٢) عمدة القاري ١٩٧/٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العيدين، جزء من رقم الحديث ٩٧٦، ٤٦٥/٢.

(٤) المرجع السابق ٤٦٥/٢.

(٥) المرجع السابق، باب الخروج إلى المصلّى بغير منبر، جزء من رقم الحديث ٩٥٦، ٤٤٨/٢-٤٤٩.

ففي هذا الحديث بين أبو سعيد الخدري ﷺ هيئة رسول الله ﷺ أثناء خطبة العيدين بقوله: ''ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس''. وقال العلامة العيني في شرح قوله هذا: ''أي مواجها لهم''[١].

وقال رحمه الله تعالى أثناء ذكره ما يستفاد من الحديث: ''وفيه مواجهة الخطيب للناس، وأنهم بين يديه''[٢].

ثانيا: إقبال الصحابة على النبي ﷺ:

ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ:

١ - روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ عنه قال: ''إن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله''[٣].

وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

[باب يستقبل الإمام القوم، واستقبال الناس الإمام إذا خطب][٤].

قال الحافظ ابن حجر: ''وقد استنبط المصنف من حديث أبي سعيد ﷺ [أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله] مقصود الترجمة''[٥].

---

(١) عمدة القارئ ٦/٢٧٩.

(٢) المرجع السابق ٦/٢٨٠.

(٣) صحيح البخاري كتاب الجمعة، رقم الحديث ٩٢١، ٢/٤٠٢.

(٤) المرجع السابق ٢/٤٠٢.

(٥) فتح الباري ٢/٤٠٢.

ثم قال رحمه الله تعالى: ووجه الدلالة منه أن جلوسهم حوله لسماع كلامه يقتضي نظرهم إليه غالبا، وإذا كان ذلك في غير حال الخطبة، كان حال الخطبة أولى لورود الأمر بالاستماع لها والإنصات عندها. والله أعلم[١].

ثم بين الحافظ حكمة استقبال الصحابة رسول الله ﷺ بقوله: ''ومن حكمة استقبالهم الإمام التهيؤ لسماع كلامه، وسلوك الأدب معه في استماع كلامه، فإذا استقبله بوجهه، وأقبل عليه بجسده وبقلبه وحضور ذهنه كان أدعى لتفهم موعظته، وموافقته فيما شرع له القيام لأجله''[٢].

وقال العلامة العيني في هذا الصدد: ''الحكمة في استقبالهم للخطيب أن يتفرغوا لسماع موعظته، وتدبر كلامه، ولا يشتغلوا بغيره''[٣].

٢- حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

روى الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ''كان رسول الله ﷺ إذا استوى على المنبر، استقبلناه بوجوهنا''[٤].

---

(١) فتح الباري ٢/٤٠٢ باختصار.

(٢) المرجع السابق ٢/٤٠٢.

(٣) عمدة القاري ٦/٢٢٠.

(٤) صحيح سنن الترمذي، أبواب الجمعة، باب في استقبال الإمام إذا خطب، رقم الحديث ٤٢٠-٥١٣، ١/١٥٧. وقال الإمام الترمذي: ''والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم يستحبون استقبال الإمام إذا خطب، وهو قول سفيان الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق''. (المرجع السابق ١/١٥٧). وقال أيضا: ''ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء''.(المرجع السابق ١/١٥٧).
وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ١/١٥٧؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/١١٠-١١٧).

وقال ابن الملك: ''أي توجهناه، فالسنة أن يتوجه القوم الخطيب، والخطيب القوم''[١].

٣- حديث ثابت رضي الله عنه:

روى الإمام ابن ماجة عن عدي بن ثابت عن أبيه رضي الله عنه قال: ''كان النبي ﷺ إذا قام على المنبر، استقبله أصحابه بوجوهم''[٢].

ومما يلاحظ على بعض الطلاب أنهم لا يستقبلون المدرس في أثناء الدرس؛ بل يلتفتون يمينا ويسارا. لا يتركون أحدا يمر بجوار قاعاتهم الدراسية إلا وينظرون إليه. وأدهى من هذا وأمر أن بعض المعلمين لا يهمهم شأنهم هذا؛ بل همه رمي كلامه في القاعة. إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم اجعلنا جميعا على درب نبينا الكريم ﷺ أثناء القيام بواجب التعليم. آمين ياحي ياقيوم.

* * *

---

(١) نقلا عن مرقاة المفاتيح ٥٧/٣.

(٢) سنن ابن ماجة، أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في استقبال الإمام وهو يخطب، رقم الحديث ١١٢٣، ٢٠٤/١. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧/١؛ وانظر أيضا للتفصيل: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث ٢٠٨٠، ١١٠/٥-١١٧).

-٨-
إنصات الناس قبل التحدُّث

إن الإِنصات خطوة أساسية في مراحل التعليم. كيف يتمّ التعلُّم إذا لم ينصت الطلاّب لمعلّمهم؟

فقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه باباً بقوله:

[الإنصات للعلماء][١].

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: ''أي السكوت والاستماع لما يقولونه''[٢].

وقال الإمام ابن بطال: إن الإنصات للعلماء لازم للمُتعلّمين[٣].

ولقد كان رسول الله ﷺ شديد العناية بإنصات سامعيه. ومن أدلة ذلك ما يلي:

أولاً: التحذير عن الكلام أثناء خطبة الجمعة:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ''**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب، فقد لغوت**[٤]''.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، ٢١٧/١.

(٢) فتح الباري ٢١٧/١.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢١٧/١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب، رقم الحديث ٣٩٤، ٤١٤/٢.

قال العلامة العيني: ''ومما يستفاد منه أن فيه النهي عن جميع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه، لأنه إذا قال: ''أنصت''، وهو في الأصل أمر بالمعروف، وسماه لغوا، فغيره أولى''[١].

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **''من تكلم يوم الجمعة، والإمام يخطب، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا،والذي يقول له: ''أنصت'' ليس له جمعة''**[٢].

٣- حديث أبي هريرة ﷺ:

روى الإمامان مسلم وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **''ومن مس الحصى فقد لغا''**[٣].

وقد ترجم عليه الإمام ابن خزيمة بقوله:

[باب الزجر عن مس الحصى، والإمام يخطب يوم الجمعة، والإعلام بأن مس الحصى في ذلك الوقت لغو][٤].

---

(١) عمدة القاري ٦/٢٤٠.

(٢) المسند، رقم الحديث ٢٠٣٣، ٣/٣٢٦. وحسن إسناده الشيخ أحمد شاكر. (انظر: هامش المسند ٣/٣٢٦)؛ وقال عنه الحافظ الهيثمي: ''رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وقد ضعفه الناس، ووثقه النسائي في رواية''. (مجمع الزوائد ٢/١٨٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت للخطبة، جزء من رقم الحديث ٢٧ (٨٥٧)، ٢/٥٨٨؛ وصحيح ابن خزيمة، كتاب الجمعة، جماع أبواب الأذان والخطبة في الجمعة، جزء من رقم الحديث ٨١٨، ٣/١٥٩.

(٤) المرجع السابق ٣/١٥٩.

وقال الإمام النووي في شرح الحديث: ''فيه النهي عن مس الحصى وغيره من أنواع العبث في حالة الخطبة، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على الخطبة، والمراد باللغو الباطل المذموم المردود''(١).

ثانيا: أمر النبيﷺ بعض الصحابة بإنصات الناس قبل الخطبة:

ومما يدل على هذا ما يلي:

١- أمر جرير ﷺ بإنصات الناس:

روى الإمام البخاري عن جرير ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ''**استنصت الناس**''.

ثم قال: ''**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**''(٢).

والمراد بقوله ﷺ لجرير ﷺ: ''**استنصت الناس**'': أي اطلب منهم السكوت''(٣).

٢- أمر بلال ﷺ بإنصات الناس:

روى الإمام ابن المبارك عن أنس بن مالك ﷺ قال: ''وقف النبي ﷺ بعرفات، وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال: ''**يا بلال أنصت لي الناس**''.

فقام بلال ﷺ، فقال: ''أنصتوا لرسول الله ﷺ''.

فأنصت الناس، فقال: ''**معشر الناس! أتاني جبرائيل عليه السلام آنفا فأقرأني من ربي السلام**''(٤) الحديث.

---

(١) شرح النووي ١٤٧/٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم الحديث ١٢١، ٢١٧/١.

(٣) انظر: عمدة القاري ١٨٦/٢.

(٤) نقلا عن الترغيب والترهيب، كتاب الحج، الترغيب في الوقوف بعرفة، والمزدلفة، وفضل يوم عرفة،جزء من-

ومما نجده في الحديث الأول أن النبي ﷺ أمر جريرا ﷺ بإنصات الناس قبل بدئه ﷺ في الخطبة، كما أمر ﷺ بالأمر نفسه بلالا ﷺ كما جاء في الحديث الثاني.

ثالثا: الأمر بالسمع له ﷺ قبل التحدث:

روى الإمام ابن حبان عن خباب ﷺ قال: ''كنا قعودا على باب النبي ﷺ، فخرج علينا، فقال: ''**اسمعوا**''.

قلنا: ''قد سمعنا''.

قال: ''**اسمعوا**''.

قلنا: ''قد سمعنا''.

قال: ''**اسمعوا**''.

قلنا: ''قد سمعنا''.

قال: ''**إنه سيكون بعدي أمراء فلا تصدقوهم بكذبهم، ولا تعينوهم على ظلمهم، فإنه من صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم لم يرد علي الحوض**''[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ كرر قوله: ''**اسمعوا**'' لطلابه ثلاث مرات قبل التحدث معهم، وذلك – والله تعالى أعلم – ليسكتوا تمام السكوت ويتوجهوا بالكلية للاستماع لما سيخبرهم ﷺ به.

* * *

-رقم الحديث ٧، ٢/٢٠٣. وقال عنه الأستاذان محمد زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط: ''هذا إسناد صحيح''. (هامش شرح السنة للبغوي ٧/١٦٠).

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكر الزجر عن تصديق الأمراء بكذبهم ...، رقم الحديث ٢٨٤، ١/٥١٨-٥١٩. وحسن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط. (انظر: هامش الإحسان ١/٥١٩).

-٩-

مناداة المخاطب باسمه أو كنيته أو لقبه

لقد كان النبي ﷺ ينادي المخاطب باسمه أو بكنيته أو بلقبه. وإن لمثل هذه المناداة من قبل المعلم أثرا عظيما في التعليم. إنه أجمع لخاطر فيكون سببا لتحصيل جميع ما يلقى إليه، ويكون كذلك باعثا لإدخال السرور عليه، لأن النداء إذا وقع من الكبير للصغير يحصل له به فرح وسرور. قال الإمام ابن أبي جمرة مبينا حكمة نداء النبي ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه كما ورد في حديث:[١] ''والحكمة في ذلك تظهر من وجهين:

الأول: أن نداءه باسمه أجمع لخاطره، فيكون ذلك سببا لتحصيل جميع ما يلقى إليه، ومثل ذلك نداؤه عليه السلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه[٢] ثلاث مرات، وهو معه على الراحلة، ثم بعد الثلاث ألقى إليه ما أراد، كل ذلك ليأخذ الأهبة للإلقاء ويصغي لسمع الخطاب''.

الثاني: إن في ندائه باسمه إدخال سرور عليه لأن النداء أبدا إذا وقع من الفاضل إلى المفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، فكيف به وهو نداء سيد الأولين والآخرين ﷺ لتلك السادة المباركين الذين قد ثبت حبهم له بالتواتر[٣].

وقد ثبتت مناداته ﷺ المخاطبين عند التعليم والتوجيه مرة، ومرتين، وثلاث مرات. وفيما يلي بعض الشواهد لكل من ذلك:

---

(١) انظر: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ص ١٤١-١٤٢ من هذا الكتاب.

(٢) انظر: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في ص ٥٥-٥٦ من هذا الكتاب.

(٣) بهجة النفوس ١/١٣٤.

أولا: مناداة المخاطب مرة:

١- مناداة عبد الرحمن بن سمرة ﷺ:

روى الإمام البخاري عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''**يا عبد الرحمن بن سمرة! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك، وائت الذي هو خير**''[(١)].

٢- مناداة أبي ذر ﷺ:

روى الإمام مسلم عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''**يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد**[(٢)] **جيرانك**''[(٣)].

٣- مناداة عائشة رضي الله عنها:

روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ''**يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**''[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى:﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ الآية، رقم الحديث ٦٦٢٢، ٥١٦/١١-٥١٧.

(٢) (**تعاهد**): تفقد: (انظر: هامش صحيح مسلم ٢٠٢٥/٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم الحديث ١٤٢ (٢٦٢٥)، ٢٠٢٥/٤.

(٤) المرجع السابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث ٧٧ (٢٥٩٣)، ٢٠٠٣/٤-٢٠٠٤.

ففي كل واحد من هذه الأحاديث الثلاثة نادى ﷺ المخاطب باسمه قبل تعليمه وتوجيهه، ولا يخفى ما لهذا من أثر في المخاطب في استحضار فهمه، وشد انتباهه، وإحداث المؤانسة والتآلف بين المدرس والدارس.

ثانيا- منادة المخاطب مرتين

١- مناداة عباس رضي الله عنه:

روى الإمام أحمد عن العباس رضي الله عنه قال: "أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: "يا رسول الله! علمني شيئا أدعو به".

فقال: "**سل الله العفو والعافية**".

قال: "ثم أتيته مرة أخرى، فقلت: "علمني شيئا أدعو به".

قال: فقال: "**يا عباس! يا عم رسول الله ﷺ! سل الله العافية في الدنيا والآخرة**"[١].

ففي هذا الحديث نادى ﷺ عمه العباس رضي الله عنه مرتين: أولاهما بقوله: "**ياعباس**"، وثانيتهما بقوله: "**يا عم رسول الله ﷺ!**".

٢- منادة أبي بن كعب رضي الله عنه:

روى الإمام مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**".

قال: قلت: "الله ورسوله أعلم".

---

(١) المسند، رقم الحديث ١٧٨٣، ٥/٢١٤. وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ٥/٢١٤)؛ وصححه أيضا الشيخ الألباني. (انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث ٧٩٣٨-٣٠٣٢، ٢/١٣١٤).

قال: ''**يا أبا المنذر! أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**''.

قال: قلت: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

قال: فضرب في صدري، وقال: ''**والله! ليَهْنِكَ العلم**[١] **أبا المنذر!**''[٢].

ومما نراه في الحديث أنه ﷺ نادى أُبي بن كعب رضي الله عنه بكنيته مرتين.

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى تتعلق بسيرة النبي ﷺ معلّماً في هذا الحديث. ومنها ما يلي:

أ- تكريمه ﷺ تلميذه حيث ناداه بكنيته. قال الإمام النووي: ''فيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه، وتكنيتهم''[٣].

ب- إلقاؤه ﷺ السؤال على الطالب[٤].

ج- مسُه ﷺ بعض أعضاء الطالب[٥].

د- مدحه ﷺ الطالب. قال الإمام النووي: وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، و لم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى[٦].

---

(١) (**لِيَهْنِك العلم**): أي ليكن العلم هنيئاً لك. (هامش مسلم ٥٥٦/١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث ٢٥٨ (٨١٠)، ٥٥٦/١.

(٣) شرح النووي ٩٣/٦. وانظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٣٣ إلى ص ٢٤٠.

(٤) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٢٠ إلى ص ١٢٣.

(٥) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥٩ إلى ص ٦٣.

(٦) انظر: شرح النووي ٩٣/٦.

٣- مناداة نساء المسلمات:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "**يا نساء المسلمات! يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن[١] شاة**"[٢].

ففي الحديث كرر ﷺ نداءه الكريم للنساء بقوله: "**يا نساء المسلمات**" مرتين.

ثالثا: مناداة المخاطب ثلاث مرات:

١- مناداة معاذ بن جبل رضي الله عنه:

روى الشيخان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "كنت ردف[٣] النبي ﷺ، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل[٤]، فقال: "**يا معاذ بن جبل!**".

قلت: "لبيك[٥] رسول الله ﷺ وسعديك[٦]".

---

(١) (**فرسن شاة**): بكسر الفاء وسكون الراء وكسر السين صم النون: حافر الشاة. (انظر: فتح الباري ١٠/٤٤٥).

ومعنى الحديث- كما قال الحافظ ابن حجر - لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها، ولو أن تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب، ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمر بضده. وهو كناية عن التحابب والتودد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية، ولو حقرت".(انظر: المرجع السابق ١٠/٤٤٥).

(٢) الأدب المفرد، باب لا يؤذي جاره، رقم الحديث ١٢٣، ص ٥٨. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح الأدب المفرد ص ٥٤).

(٣) (**ردف**): بكسر الراء وإسكان الدال، وقيل: بفتح الراء وكسر الدال،والردف والرديف هو الراكب خلف الراكب. (انظر: شرح النووي ١/٢٣٠).

(٤) (**ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل**): أراد المبالغة في شدة قربه ليكون أوقع في نفس سامعه لكونه أضبط. وأما مؤخرة الرحل فبضم الميم بعده همزة ساكنة، ثم خاء مكسورة، وهي العود الذي يكون خلف الركب. (انظر: المرجع السابق ١/٢٣١).

(٥) (**لبيك**): معناها: إجابة بعد إجابة للتأكيد، وقيل: معناها: قربا منك وطاعة لك، وقيل: أنا مقيم على طاعتك، وقيل غير ذلك. (انظر: المرجع السابق ١/٢٣١).

(٦) (**سعديك**): أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة. (المرجع السابق ١/٢٣١).

ثم سار ساعة، ثم قال: "**يا معاذ بن جبل!**".

قلت: "لبيك رسول الله ﷺ وسعديك".

ثم سار ساعة، ثم قال: "**يا معاذ بن جبل!**".

قلت: "لبيك رسول الله ﷺ وسعديك".

قال: "**هل تدري ما حق الله على العباد**"(١).

قال: "قلت: "الله ورسوله أعلم".

قال: "**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**".

ثم سار ساعة، ثم قال: "**يا معاذ بن جبل!**".

قلت: "لبيك رسول الله! وسعديك".

قال: "**هل تدري ما حق العباد على الله**(٢) **إذا فعلوا ذلك؟**".

قال: "قلت: "الله ورسوله أعلم".

قال: "**أن لا يعذبهم**"(٣).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ نادى معاذاً رضي الله عنه ثلاث مرات قبل إخباره عن حق الله تعالى على العباد، ثم ناداه ﷺ مرة قبل إخباره عن حق العباد على الله تعالى. قال الإمام النووي مبينا حكمة ذلك: "وأما تكريره ﷺ نداء معاذ رضي الله عنه فلتأكيد الاهتمام بما يخبره، وليكمل تنبه معاذ رضي الله عنه فيما يسمعه"(٤).

---

(١) (**حق الله على العباد**): ما يستحقه عليهم متحتما عليهم. (شرح النووي ٢٣١/١).

(٢) (**حق العباد على الله**): أي أنه متحقق لا محالة. (المرجع السابق ٢٣١/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى، رقم الحديث ٦٥٠٠، ٣٣٧/١١؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، رقم الحديث ٤٨(٣٠)، ٥٨/١؛ واللفظ له.

(٤) شرح النووي ٢٣١/١.

وقال الحافظ ابن حجر؛ وفي رواية: ''ثم قال مثله ثلاثا'' أي النداء والإجابة، وهو لتأكيد الاهتمام بما يخبره به، ويبالغ في تفهمه وضبطه''[(١)].

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) تواضعه ﷺ[(٢)] حيث أردف تلميذه على دابته.

(ب) قيامه ﷺ بالتعليم في الطريق، ويتجلى في ذلك حرصه صلوات ربي وسلامه عليه على تعليم أمته.

(ج) توقفه ﷺ بعد كل نداء. ويدل على هذا ما جاء في الرواية: ''ثم سار ساعة''. قال الحافظ ابن حجر: فيه بيان أن النداء الثاني لم يقع على الفور، بل بعد ساعة[(٣)]. ويظهر في ذلك عظيم اهتمام النبي الكريم ﷺ بإثارة الشوق الشديد لدى معاذ رضي الله عنه إلى الاستماع لما سيعطى له.

(د) استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام، فقد قال ﷺ: ''**هل تدري ما حق الله على العباد؟**'' وقال: ''**هل تدري ما حق العباد على الله تعالى؟**''، وإن هذا الأسلوب يساعد على جذب عناية المخاطب. والله تعالى أعلم. قال الحافظ ابن حجر: وفيه استفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده، ويبين له ما يشكل عليه منه[(٤)].

٢- مناداة عقبة بن عامر رضي الله عنه:

روى الإمام النسائي عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: ''بينا أقود لرسول الله ﷺ راحلته في غزوة إذ قال: ''**يا عقبة! قل**''.

---

(١) انظر: فتح الباري ٣٣٩/١١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٣٣٩/١١.

(٣) انظر: المرجع السابق ٣٤٠/١١.

(٤) انظر : المرجع السابق ٣٤٠/١١.

فاستمعت[١]، ثم قال: ''**يا عقبة! قل**''.

فاستمعت، فقالها الثالثة، فقلت: ''ما أقول؟''.

فقال: ''﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقرأ السورة حتى ختمها، ثم قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقرأت معه حتى ختمها، ثم قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فقرأت معه حتى ختمها، ثم قال: ''**ما تعوّذ بمثلهن أحد**''[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ خاطب عقبة رضي الله عنه بقوله: ''**يا عقبة! قل**'' ثلاث مرات، وذلك قبل إخباره بما عليه أن يقوله. ولا يخفى تأثير ذلك كله في جذب عناية المخاطب.

فائدة أخرى في الحديث:

ومما نستفيده من الحديث أيضاً أن النبي الكريم ﷺ قام بالتعليم في أثناء السفر[٣].

فخلاصة الكلام أن النبي ﷺ كان ينادي المخاطب باسمه أو كنيته أو لقبه. ولمثل هذه المناداة أثر عظيم في التعليم والتوجيه.

* * *

---

(١) (**فاستمعت**): أي توجهت تلقاء كلامه ذلك، وما عرفت ما يريد. (حاشية السندي ٢٥١/٨).

(٢) سنن النسائي، كتاب الاستعاذة، ٢٥١/٨. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن النسائي ١١٠٥/٣).

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٧ إلى ص ٢١.

-١٠-

مسُّ أعضاء المتعلِّمين

لقد ثبت عن النبي الكريم ﷺ مسُّ أعضاء المتعلّمين عند تعليمهم، والحديث معهم. ولا يخفى ما لهذا من تأنيس وتنبيه وتأثير. ومن شواهد ذلك مايلي:

١- جعله ﷺ كف ابن مسعود ﷺ بين كفيه:

روى الإمام البخاري عن عبد الله مسعود ﷺ يقول: "علّمني رسول الله ﷺ، وكفي بين كفّيه، التشهُّدَ كما يعلّمني السورة من القرآن" [(١)].

ونشاهد في الحديث أنه ﷺ جعل كف ابن مسعود ﷺ بين كفّيه الشريفتين عند تعليمه التشهد. الله أكبر! ما أسعد كفَّ ابن مسعود ﷺ! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال الشيخ عبد الحي اللكنهوي:

"وآنچه در صحيح بخاري در باب مذكور از عبد الله بن مسعود ﷺ مروي است "علّمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد كما يعلمني السورة من القرآن، التحيات لله والصلوات والطيبات...الحديث".

بس ظاهر آنست كه مصافحه متوارثه كه بوقت تلاقي مسنون است نبوده بلكه طريقه تعليميه بوده كه اكابر بوقت اهتمام تعليم چيزى از هر دو دست ياكه دست دست اصاغر گرفته تعليم مى سازند[(٢)]".

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليد، جزء من رقم الحديث ٦٢٦٥، ٥٦/١١.

(٢) مجموعة فتاوى ١٥٣/٢ نقلا عن المقالة الحسنى في سنية المصافحة باليد اليمنى، للعلامة المباركفوري ص٥٧.

''الذي ورد في صحيح البخاري عن ابن مسعود ﷺ: ''علّمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد ...الحديث فالظاهر أنه ليس من المصافحة الواردة المسنونة عند التلاقي،بل كان أسلوباً تعليميا حيث يأخذ الأكابر عند الاهتمام بتعليم شيء بِيَدَيْهم الاثنتين يدَ الأصاغر وقت التعليم''.

٢- الأخذ بيد أبي هريرة ﷺ:

روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنّ أو يعلّم من يعمل بهن؟**''.

فقال أبو هريرة ﷺ: ''أنا يا رسول الله! ''ﷺ.

فأخذ بيدي، فعدّ خمساً، وقال: ''**اتقِّ المحارم تكن أعبدَ الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغني الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**'' [(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أخذ بيد أبي هريرة ﷺ عند التعليم. قال الملاّ علي القاري في شرح الحديث: ''**فأخذ بيدي**'' أي: تحقيقاً للقضية وتقريباً للخصوصية'' [(٢)].

---

(١) جامع الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث ٢٤٠٧، ٦/٤٨٦-٤٨٧. وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٢٦٦؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث ٩٣٠، ٢/٦٣٧-٦٤٠).

(٢) مرقاة المفاتيح ٩/٢٥. وقال العلاّمة المباركفوري في شرح الحديث: ''(**فأخذ بيدي**) أي لعدّ الكلمات الخمس، أو لأنه ﷺ كان يأخذ عند التعليم بيد من يعلّمه''. (تحفة الأحوذي ٦/٤٨٦).

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) جذبه ﷺ عناية السامعين، وإثارة التشويق لديهم، وذلك بقوله: "**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات ...إلخ**".

(ب) استخدامه ﷺ أسلوب ذكر العدد، ومعلوم ما لهذا الأسلوب من تأثير في ترسيخ المعلومات.

٣- الأخذ بيد معاذ بن جبل رضي الله عنه:

روى الإمام أبو داود وابن حبان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: "**يا معاذ! والله! إنّي لأحبّك**".

فقال: "**أوصيك يا معاذ! لا تدعنّ في دُبُر كل صلاة تقول: "اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**".

وأوصى بذلك معاذٌ رضي الله عنه الصنابحيَّ، وأوصى به الصنابحيُّ أبا عبد الرحمن"[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أخذ بيد معاذ رضي الله عنه عند التعليم.

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في هذا الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) مناداته ﷺ معاذاً رضي الله عنه باسمه مرتين، وذلك لجذب عنايته التامة لما يقال له.

---

(١) سنن أبي داود، أبواب قيام الليل، باب في الاستغفار، رقم الحديث١٥١٩، ٢٦٩/٤؛ واللفظ له؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، فصل في القنوت، ذكر الأمر بسؤال العبد ربه جل وعلا أن يعينه على ذكره وشكره وعبادته في عقب الصلاة، رقم الحديث ٢٠٢١، ٣٦٥/٥، ٣٦٦. وصحّح الإمام النووي إسناده. (انظر: عون المعبود ٢٦٩/٤)؛ وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٢٨٤/١).

(ب) إخباره ﷺ معاذاً ﷺ عن محبته له بالقسم، وذلك -والله تعالى أعلم- كي يتيقّن تمام اليقين أن هذا التعليم لم يكن منطلقه إلا النصح والحب له.

٤- الأخذ بمنكب ابن عمر رضي الله عنهما:

روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ''أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: ''**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**''الحديث[1].

ومما نجده في الحديث أنهﷺ أخذ بمنكب ابن عمر رضي الله عنهما عند التعليم. قال الحافظ ابن حجر: ''في الحديث مسّ المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم، والموعوظ عند الموعظة، وذلك للتأنيس والتنبيه، ولا يفعل ذلك غالباً إلا بمن يميل إليه''[2].

٥- وضع اليد على كتف ابن عباس رضي الله عنهما:

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي، أو على منكبه، شك سعيد، ثم قال: ''**اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل**''[3].

ومما نشاهده في الحديث أنه ﷺ وضع يده الشريفة على منكب ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: ''**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**''، رقم الحديث ٦٤١٦، ٢٣٣/١١.

(٢) فتح الباري ٢٣٥/١١.

(٣) المسند، رقم الحديث ٢٣٩٧، ١٢٧/٤. وقال عنه الحافظ الهيثمي: ''رواه أحمد والطبراني بأسانيد''. وقال رحمه الله تعالى أيضاً: ''ولأحمد طريقان، رجالهما رجال الصحيح''. (مجمع الزوائد ٢٧٦/٩)؛ وصحّح الشيخ أحمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ١٢٧/٤).

فائدة أخرى في الحديث:

ونجد في الحدث أيضاً أنه ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما، ولا يخفى مـــا لدعاء الشيخ لتلميذه من تشجيع وتأنيس له.

٦- مسح رأس أبي محذورة رضي الله عنه:

روى الإمام أبو داود عن أبي محذورة رضي الله عنه قال: قلت: "يا رسول الله! علّمـــني سنة الأذان".

قال: "فمسح مقدّم رأسي، قال: "تقـــول: **الله أكـــبر الله أكـــبر الله أكـــبر الله أكبر**. الحديث" [(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ مسح مقدَّم رأس أبي محذورة رضي الله عنه عند تعليمـــه الأذان. فياله من حظ أبي محذورة رضي الله عنه! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. اللهم إنا نسألك مرافقة نبيك الكريم ﷺ في جنات الفردوس. إنك سميع مجيب.

تنبيه: ولا يمسّ المعلم أعضاء المتعلمين إذا وُجد شيء من الشبهة أو التهمـــة، فإننا مأمورون بالابتعاد عن مواضع التهم.

* * *

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، رقم الحديث ٤٩٦، ٢/١٢٤-١٢٥. وصحّحه الشـــيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١/١٠٠).

-١١-
ضرب المتعلِّمين للتنبيه والتأنيس

لقد ثبت من ضرب النبي ﷺ باليد والرِجْل عند التعليم والتوجيه. و لم يكن ذلك منه ﷺ للصحابة إلا للتأنيس، والتنبيه، وجذب عنايتهم إلى ما يُعلَّمُون ويُخْبَرون به. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- ضربه ﷺ العباس ﷺ باليد على صدره:

روى الأئمة أحمد وأبو يعلى والحاكم عن أم الفضل بن عباس رضي الله عنهم قالت:''دخل رسول الله ﷺ على عمه، وهو شاك، يتمنّى الموت للّذي هو فيه من مرضه، فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدر العباس ﷺ، ثم قال:''**لا تتمنّ الموت يا عمَّ رسول الله! فإنك إن تَبْقَ تَزْدَدْ خيراً يكون ذلك، فهو خير لك. وإن تَبْقَ تستعتب**[1] **من شيء يكون ذلك خَيْراً لك**'' [2].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ ضرب بيده الشريفة على صدر العبلس ﷺ. و لم يكن ضربه هذا -معاذ الله تعالى- للإيلام أو الإهانة، بل كان للفت انتباه عمه ﷺ إلى ما أخبره به.

---

(١) (تَسْتَعْتِب):''والاستعتاب طلب الإعتاب، والهمزة للإزالة أي يطلب إزالة العتاب، (عاتبه) لامه، و (أعتبه) أزال عتابه''. (فتح الباري ٢٢٢/١٣).

(٢) المسند ٣٩٩/٦ (ط: المكتب الإسلامي)؛ ومسند أبي يعلى الموصلي، رقم الحديث ٦(٧٠٧٦)، ٤٠٣/١٢؛ واللفظ له؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز، ٣٣٩/١. وقال عنه الإمام الحاكم:''صحيح على شرطهما''. (المرجع السابق ٣٣٩/١)؛ وأقرّه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ٣٣٩/١). وقال عنه مُحقق مسند أبي يعلى:''إسناده جيد''. (هامش مسند أبي يعلى ٤٠٣/١٢).

٢- ضربه ﷺ علياً رضي الله عنه:

(أ) روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه يقول: ''لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: ''تبعثني وأنا رجل حديث السن، وليس لي علم بكثير من القضاء''.

قال: ''فضرب صدري رسول الله ﷺ، وقال: ''**اذهب، فإن الله عز وجل سيثبِّت لسانك، ويهدي قلبك**''.

قال: ''فما أعياني قضاء بين اثنين'' (١).

(ب) روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: ''مرّ بي رسول الله ﷺ، وأنا وَجِع، وأنا أقول: ''اللهمَّ إن كان أجلي قد حضر فأرِحْني، وإن كان أجلا فارْفعني(٢)، وإن كان بلاءً فصَبِّرني''.

قال: ''**ما قلتَ؟**''.

فأعدتُ عليه، فضربني برجله، فقال: ''**ما قلتَ؟**''.

فأعدتُ عليه، فقال: ''**اللهم عافه أو اشفه**''.

قال: ''فما اشتكيتُ ذلك الوَجَعَ بعد'' (٣).

ومما نجده في الحديث أن النبي ﷺ ضرب صدر علي رضي الله عنه، وفي الحديث الثاني نجد أنه ﷺ ضربه ﷺ برجله.

---

(١) المسند، رقم الحديث ١١٤٥، ٣٥٦/٢. (ط. مؤسسة الرسالة)؛ وقال عنه الشيخ شعيب ورفقاؤه: ''صحيح لغيره، وهذا سند رجاله ثقات رجال الشيخين غير جهالة الواسطة بين أبي البختري وبين علي رضي الله عنه''. (هامش المسند ٣٥٦/٢).

(٢) **(فارفعني)**: من الرفع ضد الوضع، كأنه يقول: ''قوِّني''. (هامش المسند للشيخ أحمد شاكر ٥٤/٢).

(٣) المسند، رقم الحديث ٦٣٧، ٥٤/٢. (ط: دار المعارف بمصر)؛ وصحّح الشيخ أحمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ٥٤/٢).

٣- ضربه ﷺ قيساً ﷺ بالرجل:

روى الإمام الترمذي عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما أن أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه.

قال: ''فمرّ بي النبي ﷺ، وقد صليت، فضربني برجله،وقال: ''**ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟**''.

قلت: ''بلى''.

قال: ''**لا حول ولا قوة إلا بالله**''[١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ ضرب برجله الشريفة قيساً ﷺ عند التعليم. و لم يكن ذلك إلا للتنبيه. قال العلاّمة المباركفوري في شرح الحديث: ''**فضربني برجله**'' أي للتنبيه''[٢].

فائدة أخرى في الحديث:

ونجد في الحديث كذلك أنهﷺ أثار اشتياق قيسﷺ إلى معرفة ما سيخبره بقوله: ''**ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟**''. فصلوات ربي وسلامه عليه، ما أحرصه على نفع طلابه! أين معلّمو عصرنا من هذا؟ اللهم اجعلنا برحمتك على صراط نبيكﷺ في التعليم، وفي كل شيء.إنك على كل شي قدير.آمين ياحي ياقيوم.

---

(١) جامع الترمذي، أحاديث شتى من أبواب الدعوات، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم الحديث ٣٨١٦، ١٠/٣٠. وقال عنه الإمام الترمذي: ''هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه''. (المرجع السابق ١٠/٣٠)؛ وقال عنه العلاّمة المباركفوري: ''وأخرجه أحمد والحاكم، وقال: ''صحيح على شرطهما''. (تحفة الأحوذي ١٠/٣٠)؛ وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٨٣؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة، الحديث ١٧٤٦، ٤/٣٢٧).

(٢) تحفة الأحوذي ١٠/٣٠.

فخلاصة الكلام أنه قد ثبت ضرب النبي ﷺ باليد والرجل لبعض الصحابـــة، ولم يكن ذلك للإيلام والعقاب والإهانة، بل كان للتنبيه والمؤانسة. والله تعالى أعلـــم بالصواب.

* * *

-١٣-

الوضوح والأناة في الكلام

ومما نجده في سيرة رسولنا الكريم ﷺ أنه لم يكن يعجّل في إرسال الحــروف، بل كان يلبث فيها، ويبيِّنها تبياناً يفهمها كل من سمعها. وقد جاء ذكر ذلك في عــدة أحاديث. وفيما يلي بعض منها:

١- حديث جابر رضي الله عنه:

روى الإمام أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال:"كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيــل أو [و] ترسيل" [١].

قال الإمام الطيــبي في شرح الحديث: [ترتيل وترسيل]: ترتيل القراءة التــأني فيها، والتمهل، وتبيين الحروف والحركات" [٢].

وقال الملاّ علي القارئ:"إن المراد منها أنـــه كــان لا يعجــل في إرســال الحروف، بل يلبث فيها، ويبيِّنها تبييناً لذاتها من مخارجها وصفاتها، وتميــيزاً لحركاتهــا وسكناتها. وخلاصة الكلام نفي العجلة وإثبات التؤدة" [٣].

---

(١) سنن أبي داود (المطبوع مع عون المعبود)، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، رقــم الحديــث ٤٨٢٨، ١٢٦/١٣. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٩١٧/٣).

(٢) شرح الطيــبي ٣٧٠٩/١٢.

(٣) مرقاة المفاتيح ٨٧/١٠.

٢- حديث عائشة رضي الله عنها:

روى الإمام أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت:''كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً [كلام فصل] يفهمه كل من سمعه'' (١).

والمراد بقولها:''كلاماً فصلاً'' أي مفصولاً بين أجزائه(٢).

٣- حديث عائشة رضي الله عنها الآخر:

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحدّث لو عدّه العاد لأحصاه'' (٣).

قال الحافظ ابن حجر في شرح قولها: [لو عدّه العاد لأحصاها]:''أي لو عدّ كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك، وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم'' (٤).

وجاء في رواية أخرى أنها قالت:''إن رسول الله ﷺ لم يكن ليسرد الحديث كسردكم'' (٥).

والمراد أنه ﷺ لم يكن يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض فيلتبس على السامع'' (٦).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، رقم الحديث ٤٨٢٩، ١٢٦/١٣؛ وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١٩٨/٣).

(٢) انظر: عون المعبود ١٢٦/١٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث ٣٥٦٧، ٥٦٧/٦.

(٤) فتح الباري ٥٧٨/٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، جزء من رقم الحديث ٣٥٦٨، ٥٦٧/٦.

(٦) انظر: فتح الباري ٥٧٨/٦.

ولا يخفى ما يجده الطالب من يسرٍ في استيعاب ما يقـــال إذا كـــان معلّمـــه كذلك. جعلنا الله عز وجل على درب قدوتنا رسول الله ﷺ آمين يا رب العالمين.

*　　*　　*



-١٣-
إعادة الكلام

ومما نجده في سيرة رسولنا الكريم ﷺ أنه كان يعيد الكلام أثناء التعليم. ولهذه الإعادة صور وأشكال عدة في سيرته الطيبة. ومنها ما يلي:

أولاً: إعادة الكلام بناءً على الطلب.

ثانياً: إعادة الكلام دون طلب في مجلس واحد.

ثالثاً: إعادة الكلام دون طلب في مجالس متعددة.

وفيما يلي بعض الشواهد لكل منها:

أولاً: إعادة الكلام بناء على الطلب

حديث أبي سعيد رضي الله عنه:

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**يا أبا سعيد! من رضي بالله رباً[1]، وبالإسلام ديناً[2]، وبمحمد ﷺ نبياً[3]، وجبت له الجنة**".

فعجب لها أبو سعيد رضي الله عنه فقال: "أَعِدْها عليَّ يارسول الله ﷺ".

---

(١) (رباً): تمييز أي: من رضي بربوبيته على وفق قضائه وقدره وخيره وشره وحلوه ومره. (مرقاة المفاتيح ٤١٢/٧).

(٢) (**وبالإسلام دينا**): أي: بشرائعه وأحكامه من المأمورات والمنهيات. (المرجع السابق ٤١٢/٧).

(٣) (**وبمحمد ﷺ نبياً**): أي: وبرسالته المورثة لمتابعته في أقواله وأفعاله وأحواله. (انظر: المرجع السابق ٤١٢/٧).

''ففعل''[١].

فوائد أخرى في الحديث:

ومن الفوائد الأخرى الموجودة في الحديث ما يلي:

أ: مناداته ﷺ أبا سعيد ﷺ باسمه. ولا يخفى ماله من أثر كبير في التوجيه والتعليم[٢].

ب: تواضع سيد الأولين والآخرين ﷺ فداه أبي وأمي لتلميذه[٣]، إذ لم يتردّد في إعادة الكلام بناءً على طلب تلميذه. وهذا على خلاف بعض المدرسين، فويل لطالب التمس منهم إعادة الكلام أثناء المحاضرات.

تنبيه:

هذا، وقد ثبت إعادة النبي ﷺ الكلام بناءً على الطلب في مجال الدعوة كذلك. فقد روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضِماداً قدم مكة، وكان من أزد شَنُوءة، وكان يرقي[٤] من هذه الريح[٥]. فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: ''إن محمداً -ﷺ- مجنون''.

فقال: ''لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يديّ''.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان ما أعدّه الله للمجاهد في الجنة من الدرجات، حزء من رقم الحديث ١١٦ (١٨٨٤)، ١٥٠١/٣.

(٢) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٣) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٩٠ إلى ص ١٩٤.

(٤) **(يرْقي)**: بكسر القاف، من الرقية، وهي العوذة التي يرُقَىَ بها صاحب الآفة. (انظر: هامش صحيح مسلم ٥٩٣/٢).

(٥) **(الريح)**: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن. (شرح النووي ١٥٧/٦).

فقال:فلقيه، فقال: ''يا محمد-ﷺ-! إني أرقي من هذه الريح. وإن الله يشفي على يديّ من شاء. فهل لك؟'' (١).

فقال رسول الله ﷺ:''**إن الحمد لله. نحمده ونستعينه. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأن محمداً عبده ورسوله -ﷺ- أما بعد.**''.

قال: فقال:''أعد عليَّ كلماتك هؤلاء''.

فأعادهن ﷺ عليه ثلاث مرات.

قال: فقال:''لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس البحر'' (٢).

قال: فقال:''هات يدك أبايعك على الإسلام''.

قال:''فبايعه'' (٣) الحديث.

ومما نجده في الحديث أن ضماداً رضي الله عنه طلب من رسول الله ﷺ إعادة الخطبة، فأعادها ﷺ عليه ثلاث مرات. فصلوات ربي وسلامه عليه.

---

(١) (**فهل لك؟**): أي فهل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل إليها؟ (هامش صحيح مسلم ٢/٥٩٣).

(٢) (**ناعوس البحر**): قال الإمام النووي: ضبطناه بوجهين أشهرهما [ناعوس] بالنون والعين، والثاني[قاموس] بالقاف والميم. قال أبو عبيد: [قاموس البحر] وسطه. وقال ابن دريد: لجته، وقال صاحب كتاب العين: قعره الأقصى. (شرح النووي ٦/١٥٧ باختصار).

ونقل الإمام ابن الأثير أن أبا موسى قال:''هكذا وقع في صحيح مسلم، يعني: [ناعوس البحر]، وفي سائر الروايات [قاموس لبحر]، وهو وسطه ولجته، ولعله لم يجوِّد كِتبته فصحّفه بعضهم. (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ''نعس''، ٥/٨١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، جزء من رقم الحديث ٤٦(٨٦٨)، ٢/٥٩٣.

ثانياً: إعادة الكلام دون طلب في مجلس واحد

لقد ثبت إعادة النبي ﷺ الكلام مرتين وثلاثاً وأكثر من ذلك من غير طلب من أحد في مجلس واحد.

أ- إعادة الكلام مرتين:

ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- تكرار الكلام (هي طابة).

روى الإمام أحمد عن البراء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من سمّى المدينة يثرب، فليستغفر الله عز وجل، هي طابة، هي طابة**"[(١)].

كرّر ﷺ قوله: "**هي طابة**" مرتين.

٢- تكرار الكلام: "وإذا غضبت فاسكت":

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**علّموا، ويسِّروا ولا تعسِّروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت**"[(٢)].

ففي الحديث كرّر ﷺ قوله: "**وإذا غضبت فاسكت**" مرتين.

٣- تكرار الكلام: "دياركم تكتب آثاركم".

روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "**إنّه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد**".

---

(١) المسند (ط: المكتب الإسلامي) ٢٨٥/٤. وقال عنه الحافظ الهيثمي: "رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات". (مجمع الزوائد ٣٠٠/٣).

(٢) المسند، رقم الحديث ٣٤٤٨، ١٥٠/٥. وصحّح إسناده الشيخ أحمد شاكر. (انظر: هامش المسند ١٥٠/٥).

قالوا: ''نعم يارسول الله! قد أردنا ذلك''.

فقال: ''**يا بني سلمة! دياركم تكتب آثاركم، ديارَكم تكتب آثاركم**''[(١)].

ومعنى قوله ﷺ: ''**دياركم تكتب آثاركم**'' الزموا دياركم، فإنكم إذا لزمتموها كُتِبتْ آثاركم، وخطاكم الكثيرة إلى المسجد[(٢)].

وكرّر ﷺ قوله هذا، وهو بلا شك يفيد التأكيد والتقرير[(٣)].

فائدة أخرى في الحديث:

استخدم النبي الكريم ﷺ في هذا الحديث أيضاً أسلوب النداء بالاسم، فقال ''**يا بني سَلِمة!**'' وللنداء بالاسم أيضاً تأثير على المخاطبين كما لا يخفى[(٤)].

ب- إعادة الكلام ثلاث مرات:

وفيما يلي بعض شواهده:

١- إعادة الكلام ''لا صام من صام الأبد'':

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المسجد، رقم الحديث ٢٨٠ (٦٦٥)، ١/٤٦٢.

(٢) انظر: شرح النووي ٥/١٦٩.

(٣) وهناك شواهد أخرى لإعادة النبي ﷺ كلامه مرتين. فمن ذلك:

(أ) قوله ﷺ: ''**يا أيها الناس! اذكروا الله! اذكروا الله** '' الحديث.

(ب) قوله ﷺ: ''**عليك بالصوم فإنه لا عدل له**'' مرتين.

(ج) قوله ﷺ: ''**ها إن الفتنة ها هنا، إن الفتنة ها هنا**''. (انظر: تخريج هذه الشواهد في كتابي: ''الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين، ص ٣٢-٣٣''.

(٤) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: ''بلغ النبي ﷺ أنّي أصوم أسرد، وأصلي الليل، فإما أرسل إليّ وإما لقيته، فقال: **''ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر، وتصلي الليل؟ فلا تفعل، فإن لعينك حظاً، ولنفسك حظاً، ولأهلك حظاً، فصم وأفطر، وصل ونم،وصُمْ من كل عشرة أيام يوماً،ولك أجر تسعة''**.

قال: ''إني أجدني أقوى من ذلك يا نبي الله! ﷺ''.

قال: **''فصم صيام داود عليه السلام''**.

قال: ''وكيف كان داود عليه السلام يصوم يا نبي الله -ﷺ-؟''.

قال: **''كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى''**.

قال: ''من لي بهذه'' يا نبي الله-ﷺ-؟''.

(قال عطاء: ''فلا أدري كيف ذكر صيام الأبد) فقال النبي ﷺ: **''لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد''** [(١)].

ففي هذا الحديث كرّر ﷺ قوله الكريم: **''لا صام من صام الأبد''**، ثلاث مرات، ولا يخفى أثر التكرْار من قبل مدرس كريم وناصح أمين في ترسيخ المعاني في ذهن المتعلم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرّر به، أو فوّت به حقاً، أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، رقم الحديث ١٨٦ (١١٥٩)، ٢/٨١٤-٨١٥.

٢- إعادة الكلمة ''ويل'':

روى الإمام أبو داود عن بهز بن حكيم قال: حدثني أبي عن أبيه[١] ﷺ قال: ''سمعت رسول الله ﷺ يقول: ''**ويل**[٢] **للذي يحدّث فيكذب**[٣] **ليضحك**[٤] **[فيضحك] به القوم، ويل له، ويل له**'' [٥].

فقوله ﷺ: ''**ويل للذي يحدث . . .**'' ثم قوله: ''**ويل له، ويل له**'' للتأكيد[٦].

٣- إعادة الكلمة ''تامة'':

روى الإمام الترمذي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''**من صلّى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلّى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة**''.

قال: قال رسول الله ﷺ: ''**تامة، تامة، تامة**'' [٧].

---

(١) (**عن أبيه**): هو معاوية بن حيدة القشيري ﷺ، له صحبة. (عون المعبود ٢٢٨/١٣).

(٢) (**ويل**): هلاك عظيم أو واد عميق في جهنم. (مرقاة المفاتيح ٥٨٠/٨).

(٣) (**فيكذب**): أي في تحديثه وإخباره. (عون المعبود ٢٢٨/١٣).

(٤) (**ليضحك**): أي بسبب تحديثه أو الكذب. (المرجع السابق ٢٢٨/١٣).

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب، رقم الحديث ٤٩٨٠، ٢٢٨/١٣. وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٩٤٢/٣)؛ وأخرجه أيضاً الأئمة أحمد والترمذي والحاكم. (انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ١١٩٩/٢).

(٦) انظر: عون المعبود ٢٢٨/١٣.

(٧) جامع الترمذي، باب ما ذكر مما يُستَحبّ من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، ٤٠٥/١-٤٠٦. وقال عنه الإمام الترمذي: ''هذا حديث حسن غريب''. (المرجع السابق ٤٠٦/١)؛ وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ١٨٢/١؛ وصحيح الترغيب والترهيب ٢٦٠/١).

فقدكرّر ﷺ قوله: ''**تامة**'' ثلاثاً للتأكيد، وهي صفة لحجة وعمرة[١].

هذا، وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه باباً بقوله:

[باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليُفْهم منه][٢].

وقال العلاّمة ابن المنيِّر في شرح العنوان: ''نبَّه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث، وأنكر على الطالب الاستعادة، وعدَّه من البلادة'' [٣].

ثم قال رحمه الله تعالى: ''والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح،فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذا لم يعد بل الإعادة عليه آكد من الابتداء، لأن المشروع ملزم'' [٤].

وقال العلامة العيني: ''إعادة النبي ﷺ ثلاث مرات إنما كانت لأجل المتعلّمين والسائلين ليفهموا كلامه حق الفهم، ولا يفوت عنهم شيء من كلامه الكريم'' [٥].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي: ٤٠٥/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، ١٨٨/١.

(٣) نقلاً عن فتح الباري ١٨٩/١.

(٤) المرجع السابق ١٨٩/١.

(٥) عمدة القاري ١١٥/٢.

وهناك شواهد أخرى لإعادة النبي ﷺ كلامه ثلاث مرات. ومن ذلك يلي:

(أ) قوله ﷺ: ''**الدين النصيحة**'' ثلاث مرات.

(ب) قوله ﷺ : ''**ألا هل بلّغت؟**'' وقوله ﷺ: ''**اللهم اشهد**'': ثلاثاً.

(ج) وقوله ﷺ : ''**والله! لا يؤمن، والله! لا يؤمن، والله! لا يؤمن**''.

(انظر: تخريج هذه الشواهد في كتابي: ''الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين ص ٣٤-٣٥).

ج: إعادة الكلام أكثر من ثلاث مرات:

و لم يقتصر النبي الرؤوف الرحيم ﷺ على إعادة كلامه ثلاث مرات، بل ثبت أنه كرّر كلامه أحياناً أكثر من ذلك. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- إعادة الكلام: '' أنذرتكم النار''.

روى الإمام الدارمي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: ''سمعت رسول الله ﷺ يخطب، فقال: ''**أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار**''.

فما زال يقولها[1] حتى لو كان في مكاني هذا، لسمعه أهل السوق، حتى سقطتْ خميصة كانت عليه عند رجليه'' [2].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لم يقتصر على إعادة قوله: ''**أنذرتكم النار**'' ثلاث مرات؛ بل أعاده أكثر من ذلك.

٢- إعادة الكلام ''ألا وقول الزور''.

وروى الإمام البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ''**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**(ثلاثاً)؟ ''.

قالوا: ''بلى يا رسول الله ﷺ!''.

قال: ''**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**''.

وجلس، وكان متكئاً، فقال: ''**ألا وقول الزور**''.

---

(١) (**فما زال يقولها**): أي يكرّر الكلمة المذكورة، ويرفع بها صوته. (مرقاة المفاتيح ٩/٦٥٥).

(٢) سنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في تحذير الناس، رقم الحديث ٢٨١٥، ٢/٣٢٧. وروى نحوه الإمام الحاكم، وقال: ''هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.'' (المستدرك على الصحيحين، كتاب الجمعة، ١/٢٨٧)؛ ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ١/٢٨٧).

قال: ''فما زال يكرّرها حتى قلنا: ''ليته سكت[١]''[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ كرّر قوله: ''**ألا وقول الزور**'' كثيراً، حتى قال الصحابة ''ليته سكت''.

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) إعادته ﷺ قوله للصحابة: ''**ألا أنبئكم؟**'' ثلاث مرات، وإنما كرّره -كما قال العلاّمة العيني- تأكيداً ليتنبَّه السامع على إحضار فهمه.

(ب) تركه ﷺ اتكاءه، وجلوسه عند قوله: ''**ألا وقول الزور**''،وذلك كي يتنبه السامعون إلى ما يبيّن لهم غاية الانتباه.

(ثالثاً) إعادة الكلام دون طلب في مجالس متعددة:

لقد ثبت أن النبي ﷺ حدّث ببعض كلامه مرات في مجالس متعددة. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- بيان الحديث سبع مرات:

روى الإمام الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ''لو لم أسمعه[٣] من رسول الله ﷺ إلا سبع مرّات ما حدَّثت به. قال: ''**إذا توضأ الرجل كما أمر ذهب الإثم من سمعه، وبصره، ويديه ورجليه**''[٤].

---

(١) (**حتى قلنا: ليته سكت**): ''أي شفقة عليه وكراهية لما يزعجه. وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ، والمحبة له، والشفقة عليه''. (فتح الباري ٥/٢٦٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم الحديث ٢٦٥٤، ٥/٢٦١.

(٣) (**لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ**): أي الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد سبق وأن ذكر الحافظ المنذري قبل هذا حديثا جاء فيه: عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ...الحديث". (انظر: الترغيب والترهيب ١/١٥٤).

(٤) نقلاً عن الترغيب والترهيب، كتاب الطهارة، الترغيب في الوضوء وإحسانه، رقم الحديث ٢٠، ١/١٥٦.-

ومما نجده في هذه الرواية أن أبا أمامة ﷺ سمع النبي ﷺ يحدِّث بهذا الحديث سبع مرّات.

٢- بيان الحديث أكثر من سبع مرات:

ومن شواهد ذلك ما يلي:

(أ) حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

روى الأئمة أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ''سمعت النبي ﷺ يحدِّث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين[1] حتى عدَّ سبع مرات، ولكني سمعته أكثر من ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ''**كان الكِفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله[2]، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها.**

فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال: ''ما يبكيك؟ أكرهتك؟'' [3].

قالت: ''لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة''.

فقال: ''تفعلين أنتِ هذا، وما فعلته، اذهبي فهي لك''.

وقال: ''لا، والله! لا أعصي الله أبداً''.

- وحسّن إسناده الحافظ المنذري والشيخ الألباني. (انظر المرجع السابق ١/١٥٦؛ وصحيح الترغيب والترهيب ١/١٥٤).

(١) (**لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدَّ سبع مرات**): وجزاؤه محذوف أي لم أحدث ذلك الحديث أحداً، و لم أذكره. (تحفة الأحوذي ٧/١٦٨).

(٢) (**لا يتورع من ذنب**): أي لا يحترز ولا يمتنع. (المرجع السابق ٧/١٦٨).

(٣) (**أكرهتك**): بحذف همزة الاستفهام. (المرجع السابق ٧/١٦٨).

فمات من ليلة، فأصبح مكتوب[١] على بابه، أن الله قد غفر لكفل''[٢].

ومما نجده في الحديث أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع النبي ﷺ يحدِّث بهذه القصة أكثر من سبع مرات.

(ب) حديث عمرو بن عبسة ﷺ:

روى الإمام مسلم عن أبي أمامة ﷺ قال: قال عمرو بن عَبَسة السُلَمي ﷺ: فقلت: ''يا نبي الله ﷺ! فالوضوء حدِّثني عنه''.

قال: **''ما منكم رجل يقرِّب[٣] وَضوءه[٤] فيتمضمض ويستنشق فينـثِر[٥] إلا خرّت خطايا وجهه[٦]، وفيه، وخياشيمه[٧]. ثم إذا غسل وجهه كما أمر الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء. ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء. ثم يمسح رأسه إلا خرّت خطايا رأسه من أطراف**

(١) (**مكتوب**): قال العلامة المباركفوري: كذا في النسخ الموجودة بالرفع، والظاهر أن يكون النصب، فإنه خبر [أصبح]، أو حال من ضميره''. (تحفة الأحوذي ١٦٨/٧).

(٢) المسند، رقم الحديث ٤٧٤٧، ٣٣٤/٦-٣٣٥ (ط: دار المعارف بمصر)؛ وجامع الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ٢٦١٤، ١٦٧/٧-١٦٨؛ واللفظ له؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة، ٢٥٤/٤-٢٥٥. وحسّنه الإمام الترمذي. (انظر: جامع الترمذي ١٦٨/٤)؛ وصحّح الإمام الحاكم إسناده. (انظر: المستدرك على الصحيحين ٢٥٥/٤)؛ ووافقه الحافظ الذهبي (انظر: التلخيص ٢٥٥/٤)؛ وصحّح الشيخ أحمد شاكر أيضاً إسناده. (انظر: هامش المسند ٣٣٤/٦).

(٣) (**يُقَرِّب**): بضم الياء وفتح القاف وكسر الراء أي يدنيه. (انظر: شرح النووي ١١٧/٦).

(٤) (**وضوءه**): بفتح الواو، وهو الماء الذي يتوضأ به. (المرجع السابق ١١٧/٦).

(٥) (**يستنشق فينثر**): أي يخرج الذي في أنفه، يقال: نثره وانتثر، واستنثر مشتق من النثرة وهي الأنف، وقيل طرفه. (المرجع السابق ١١٧/٦).

(٦) (**خرّت خطايا وجهه**): ومعنى خرّت سقطت. (انظر: المرجع السابق ١١٧/٦).

(٧) (**خياشيمه**): الخياشيم جمع خيشوم وهو أقصى الأنف. (المرجع السابق ١١٧/٦).

شعره مع الماء. ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء.

فإن هو قام وصلّى، فحمد الله وأثنى عليه، ومجّده بالذي هو له أهل، وفرّغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئة يومَ ولدته أمه''.

فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ -رضي الله عنه-، فقال له أبو أمامة رضي الله عنه: ''ياعمرو بن عبسة! انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟''.

فقال عمرو بن عبسة رضي الله عنه: ''يا أبا أمامة! لقد كبِرت سني، ورقّ عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسول الله ﷺ. لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا (حتى عدَّ سبع مرات) ما حدّثت به أبدا، ولكني سمعته أكثر من ذلك''[١].

ومما نجده في الحديث أنّ عمرو بن عبسة رضي الله عنه قد سمع النبي ﷺ يحدّث بهذا الحديث أكثر من سبع مرات.

تنبيه:

قال الإمام النووي في شرح قول عمرو بن عبسة رضي الله عنه: ''لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة ...الخ'': هذا الكلام قد يستشكل من حيث إن ظاهره أنه لا يرى التحديث إلا بما سمعه أكثر من سبع مرات، ومعلوم أن من سمع مرة واحدة جاز له الرواية، بل تجب عليه إذا تعين لها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه، جزء من رقم الحديث ٢٩٤ (٨٣٢)، ١/٥٦٩-٥٧١.

وجوابه أن معناه لو لم أتحققه وأجزم به لما حدّثت به. وذكر المـــرات بيانـــاً لصورة حاله،و لم يرد أن ذلك شرط. والله تعالى أعلم[١].

٣- بيان الحديث أكثر من عشرين مرة:

روى الإمام ابن ماجة عن ابن عمـــر رضـــي الله عنـــهما أن رســـول الله ﷺ قال:''ينشأ نشءٌ[٢] **يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم. كلما خرج قرن قطع**''.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول:''**كلما خرج قـــرن قطع**''[٣]، أكثر من عشرين مرة،''حتى يخرج في عِرَاضهم[٤] الدجال''[٥].

ومما نجده في الحديث أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع النبي ﷺ يقول:''**كلمـــا خرج قرن قطع**'' أكثر من عشرين مرة. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) شرح النووي ١١٨/٦.

(٢) **(نشء)**: جمع ناشئ أي جماعة أحداثا. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ''نشأ''، ٥١/٥).

(٣) **(كلما خرج قرن قطع)**: أي كلما ظهرت طائفة منهم أهلكت ودمِّرت. (انظر: إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجة ٥٩٨/١).

(٤) **(في عراضهم)**: أي في معارضتهم ومواجهتهم. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ''عـــرض''، ٢١١/٣). وفي بعض النسخ:''في أعراضهم'' جمع عرض بفتح وسكون، بمعنى الجيش العظيم، وهو المستعار من العرض بمعنى ناحية الجبل، أو بمعنى السحاب الذي يسدّ الأفق. (انظر: إنجاز الحاجة ٥٩٩/١؛ وسلســلة الأحاديث الصحيحة ٥٨٣/٥).

(٥) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب ذكر الخوارج، رقم الحديث ١٦٢، ٣٤/١. وقال عنه الحافظ البوصيري:''هذا إسناد صحيح احتج البخاري بجميع رواته''. (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ٦٧/١)؛ وحسّنه الشـيخ الألباني أيضاً. (انظر: صحيح سنن ابن ماجة ٣٥/١؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٨٢/٥-٥٨٣).

-١٤-

استخدام الإشارات

لقد كان النبي ﷺ يستخدم الإشارات الملائمة لكلامه أثناء تعليم الصحابة. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الإشارة بالأصابع الأربعة:

روى الأئمة أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن عبيد ابن فيروز قال: "قلت للبراء بن عازب رضي الله عنهما: "حدثني ما كره أو نهى عنه رسول الله ﷺ من الأضاحي؟".

قال: "فإن رسول الله ﷺ قال: هكذا بيده، ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ: "**أربعة لا يجزين في الأضاحي. العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقى**[1]"[2].

---

(١) (**لا تنقي**): التي ما بقي لها مخ من غاية العجف. (حاشية السندي ٧/٢١٥).

(٢) المسند (ط: المكتب الإسلامي) ٤/٣٠٠؛ وسنن أبي داود، كتاب الضحايا، باب ما يكره من الضحايا، رقم الحديث ٢٧٩٩، ٧/٣٥٧-٣٥٨؛ وجامع الترمذي، أبواب الأضاحي، باب ما لا يجوز من الأضاحي، رقم الحديث ١٥٣٠، ٥/٦٧؛ وسنن النسائي، كتاب الضحايا، العرجاء، ٧/٢١٥؛ واللفظ له؛ وسنن ابن ماجة، أبواب الأضاحي، ما يكره أن يضحى به، رقم الحديث ٣١٨٢، ٢/٢٠٧. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/٥٣٩؛ وصحيح سنن النسائي ٣/٩١٣؛ وصحيح سنن ابن ماجة ٢/٢٠٢).

وفي رواية عن البراء بن عازب رضي الله عنهما: قال: ''سمعت رسـول الله ﷺ، وأشار بأصابعه، وأصابعي أقصر من أصابع رسول الله ﷺ، يشير بأصابعـــه، يقـول: ...الحديث'' (١).

ففي هذا الحديث بيّن ﷺ أن أربعة من أقسام الأضاحي لا تجـــوز، وأشـار بأصابعه الأربعة المباركة مع نطقه ﷺ كلمة [أربعة]. ولا شك أنّ الـــدرس المقـرون بالإشارة أعمق تأثيراً، وأكثر رسوخاً من الكلام المجرد. والله تعالى أعلم بالصواب.

٢- الإشارة بالتشبيك بين الأصابع:

روى الإمام البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: قال رســول الله ﷺ: **''المؤمـن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً''**. ثم شبّك بين أصابعه(٢).

ففي هذا الحديث شبَّه ﷺ صلة المؤمنين فيما بينهم بالبنيان، ثم بيَّـن وجـه التشبيه بتشبيك أصابعه. قال الحافظ ابن حجر في شرح قول الراوي: ''ثم شبَّك بـين أصابعه''. هو بيان لوجه التشبيه أيضاً أي يشدّ بعضهم بعضاً مثل هذا الشد'' (٣).

ثم قال رحمه الله تعالى: ''ويستفاد منه أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع'' (٤).

---

(١) سنن النسائي، كتاب الضحايا، العرجاء، ٧/٢١٥-٢١٦؛ وصحّحها الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن النسائي ٣/٩١٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم الحديث ٦٠٢٦، ١٠/٤٥٠-٤٥١.

(٣) فتح الباري ١٠/٤٥٠؛ وانظر أيضاً شرح الطيبي ١٠/٣١٧٦؛ ومرقاة المفاتيح ٨/٦٨٦.

(٤) فتح الباري ١٠/٤٥٠.

٣- الإشارة بالأصبعين:

روى الإمام البخاري عن سهل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**بعثت أنا والساعة كهاتين**"، ويشير بأصبعيه فيمدّهما" [١].

ففي هذا الحديث بيَّن ﷺ قرب مجيء الساعة من زمن بعثته بالإشارة بأصبعيه. قال الإمام القرطبي: "حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها" [٢].

٤- الإشارة بوضع اليد على القفا ثم بسطُها:

روى الإمام الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**هذا ابن آدم وهذا أجله**".

ووضع يده عند قفاه، ثم بسطها، فقال: "**وثَمَّ أملُه وثَمَّ أملُه**"[٣].

ففي هذا الحديث بيّن ﷺ قرب أجل الإنسان منه، وطول أمله بالإشارات. قال الملاّ علي القاري في شرح الحديث: "**هذا ابن آدم**": الظاهر أن هذا إشارة حسية إلى صورة معنوية، وكذا قوله: "**هذا أجله**": وتوضيحه أنه أشار بيده إلى قدامه في مسافة الأرض أو في مسافة الهواء بالطول أو العرض، وقال: "**هذا ابن آدم**"، ثم أخرّها وأوقفها قريباً مما قبله، وقال: "**هذا أجله**". (ووضع يده) أي عند تلفظه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: "**بعثت أنا والساعة كهاتين**"، رقم الحديث ٦٥٠٣، ٣٤٧/١١.

(٢) نقلاً عن فتح الباري ٣٤٧/١١).

(٣) جامع الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، رقم الحديث ٢٤٣٧، ٥١٦/٦. وقال عنه الإمام االترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". (المرجع السابق ٥١٧/٦)؛ وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٢٧٢/٢).

بقوله:''**هذا ابن آدم، وهذا أجله**'' (عند قفاه) أي في عقب المكان الذي أشار بــه إلى الأجل.

(ثم بسط) أي نشر يده على هيئة فتح ليشير بكفه وأصابعه، أو معنى (بســـط) وسَّع في المسافة من المحل الذي أشار به إلى الأجل. (فقال:''**وثَــــمَّ**'' (بفتــح المثلثــة وتشديد الميم أي: هنالك، وأشار إلى بعد مكان ذلك (**أمله**) أي مأموله)[١].

ثم قال رحمه الله تعالى: ''وخلاصة العبارات والاعتبارات أن هذه الإشــــارات المؤيدة بالبشارات المؤكدة بالحركات والسكنات القولية والفعلية، المطابقة لما سبق مــن التصورات الصورية إنما هو للإشارة المعنوية المنبهة من نوم الغفلة المبينة أن أجل ابن آدم أقرب إليه من أمله'' [٢].

*　*　*

---

(١) مرقاة المفاتيح ٩/١٢٨.

(٢) المرجع السابق ٩/١٢٨. وقد شرح الإمام الطيــبي الحديث بقوله:''ووضع يده'': الواو فيه للحـــــال. وفي قوله: (وهذا أجله) للجمع مطلقاً، فالمشار إليه مركب، ''فوضع يده على قفاه'' معناه: أن هذا الإنسان يتبعه أجله هو المشار إليه، وبسط اليد عبارة عن مدّها إلى قدام''. (شرح الطيــبي ١٠/٣٣٢٤).

-١٥-
استخدام الرسم والشكل

ومما نجده في سيرة حبيبنا المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه أنه استخدم الرسم لتوضيح الأمر لأصحابه الكرام. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- رسم الخطوط لبيان سبيل الله وسُبُل الشيطان:

روى الإمامان أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ''خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: ''**هذا سبيل الله**''.

ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: ''**هذه سبل**''.

قال يزيد[1]: ''**متفرقة**''.

على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[2] ''[3].

ففي هذا الحديث استخدم ﷺ خطوطاً لتوضيح ما أراد بيانه لأصحابه. قال الإمام الطيبي في شرح قول عبد الله بن مسعود ﷺ: ''خطّ لنا خطاً'': أي خطّ لأجلنا تقريباً وتفهيماً لنا، لأن التصوير والتمثيل إنما يُسْلَكُ ويُصار إليه لإبراز المعاني

---

(١) (يزيد): أحد رواة الحديث.

(٢) سورة الأنعام/ جزء من الآية ١٥٣.

(٣) المسند، رقم الحديث ٤١٤٢؛ ٨٩/٦-٩٠؛ واللفظ له؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، ٣١٨/٢. وقال عنه الإمام الحاكم: ''هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه''. (المرجع السابق ٣١٨/٢)؛ وصحّح إسناده الشيخ أحمد شاكر. (انظر: هامش المسند ٨٩/٦).

المحتجبة، ورفع الأستار عن الرموز المكنونة، لتظهر في صـــورة المشـــاهد المحســـوس، فيساعد فيه الوهم العقل، ويصالحه عليه'' [١].

٢- رسم الخطوط لبيان طول أمل الإنسان وقرب أجله:

روى الإمام البخاري عن عبد الله ﷺ قال:''خطّ النبي ﷺ خطـــاً مربعـــاً[٢]، وخطّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخطّ خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط مـــن جانبه الذي في الوسط، وقال:''**هذا إنسان**[٣]، **وهذا أجله محيط به**[٤]-**أوقد أحـــاط به-وهذا الذي هو خارج أمله**[٥]، **وهذه الخطوط الصغار الأعراض**[٦]، **فإن أخطـــأه هذا نهشه**[٧] **هذا، وإن أخطأه هذا، نهشه هذا**[٨]'' [٩].

ومما نجده في الحديث أن النبي الكريم ﷺ استخدم الشكل لبيان طـــول أمَـــل البشر، وأنه محاط بالمصائب، وأنه لا يسلم من الموت.

هذا، وقد رسم الإمام الطيـــبي صورة الرسم على النحو التالي:

---

(١) شرح الطيـــبي ٦٣٥/٢؛ وانظر أيضاً:مرقاة المفاتيح ٤١١/١.

(٢) (**خط النبي ﷺ خطاً مربعاً**): الخط: الرسم والشكل، والمربع: المستوي الزوايا. (فتح الباري ٢٣٧/١).

(٣) (**هذا إنسان**): إشارة إلى النقطة الداخلة.(انظر: المرجع السابق ٢٣٨/١١).

(٤) (**هذا أجله محيط به**): إشارة إلى المربع. (انظر: المرجع السابق ٢٣٨/١١).

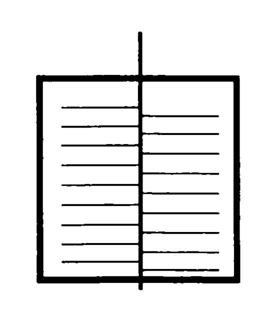
(٥) (**وهذا هو خارج أمله**): أي الخط المستطيل المنفرد. (المرجع السابق ٢٣٨/١١).

(٦) (**الأعراض**): جمع عَرَض بفتحتين، وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر. (المرجع السابق ٢٣٨/١١).

(٧) (**نهشه**): أصابه. (المرجع السابق ٢٣٨/١١).

(٨) (**فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**): أي فإن سلم من هذا، لم يسلم من هذا، وإن سلم من الجميع، و لم تصبه آفة من مرض أو فقد مال، أو غير ذلك بغته الأجل، والحاصل أن من لم يمت بســـبب مات بالأجل''. (المرجع السابق ٢٣٨/١١).

(٩) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم الحديث ٦٤١٧، ٢٣٥/١١-٢٣٦.



.(١)

٣- غرز الأعواد لبيان طول أمل الإنسان وقرب أجله:

روى الإمامان أحمد والبغوي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ غرز عوداً بين يديه، وآخر إلى جنبه، وآخر أبعد، فقال:''**أتدرون ما هذا؟**''.

قالوا:''الله ورسوله أعلم''.

قال:''**هذا الإنسان، وهذا الأجل**-أراه قال-: **وهذا الأمل، فيتعاطى الأمل، فلحقه الأجل دون الأمل**''(٢).

وفي رواية الإمام أحمد:''**هذا الإنسان وهذا أجله، وهذا أمله، يتعاطى الأمل، يختلجه دون ذلك**''(٣).

ومما نراه في الحديث أنه ﷺ صوّر قرب أجل الإنسان منه، وطول أمله مستخدماً ثلاثة أعواد.

---

(١) انظر: شرح الطيبي ١٠/٣٣٢١.

(٢) المسند (ط: المكتب الإسلامي) ٣/١٨؛ وشرح السنة، كتاب الرقاق، باب طول الأمل والحرص، رقم الحديث ٤٠٩٢، ١٤/٢٨٥؛ واللفظ له؛ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط:''رجاله ثقات، وأخرجه أحمد ٣/١٨، وإسناده حسن''. (هامش شرح السنة ١٤/٢٨٥).

(٣) المسند ٣/١٨.

قال الملاّ علي القاري في شرح الحديث:(أن رسول الله ﷺ غرز): أي أدخل في الأرض (عوداً) أي خشباً طويلاً (بين يديه وآخر إلى جنبه) أي وغرز عوداً آخر إلى جنب العود الأول وآخر أبعد [منه] أي من الثاني أو منهما. (فقال:''**أتدرون ما هذا؟**'') أي: مجموع ما فعلت، والمعنى: أتعلمون ما المراد بهذا الغرز والتقرير، وما الغرض من هذا التصوير؟'' (١).

ثم قال رحمه الله تعالى: (قال:''**هذا الإنسان**'') أي العود الأول مثاله، (**وهذا الأجل**) أي: وهذا العود الثاني المتصل إلى جنبه أجله، أي: انتهاء عمره وانقطاع عمله.

(أراه)(٢) قال الراوي: أظنه(قال:''**وهذا الأمل**'') أي هذا العود الأبعد طول أمله، ومآل آماله. (**فيتعاطى**) أي يتناول الإنسان (**الأمل**) بأن يباشره ويستعمله، ويشتغل بما يأمله، ويريد أن يحصله. (**فلحقه الأجل**). أي فيلحقه الموت قبل أن يصله. وعبّر عن المضارع بالماضي مبالغة في تحقيق حال وقوعه. (**دون الأمل**) أي قبل أن يتمّ أمله ويكمل عمله'' (٣).

٣- رسم أربعة خطوط لبيان فضل أربع نساء:

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:''خطّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، ثم قال:''**تدرون ما هذا؟**''.

فقالوا:''الله ورسوله أعلم''.

---

(١) مرقاة المفاتيح ١٢٩/٩.

(٢) وفي المسند دون [أراه]. (انظر: المسند ١٨/٣).

(٣) مرقاة المفاتيح ١٢٩/٩.

فقال رسول الله ﷺ: "**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن**"[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ خط أربعة خطوط عند ذكر أربع من أفضل نساء أهل الجنة. وهذا -بلا شك- يساعد على ترسيخ المعلومات في الأذهان.

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام قبل الإخبار، ولا يخفى أثره في جذب عناية السامعين[(٢)].

(ب) ثناؤه ﷺ على خديجة وفاطمة[(٣)] إلى جانب ثنائه على آسية ومريم رضي الله عنهن.

* * *

---

(١) المسند، رقم الحديث ٢٦٦٨، ٢٣٢/٤. (ط: مصر)، وقال عنه الحافظ الهيثمي: "رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح". (مجمع الزوائد ٢٢٣/٩)؛ وصحّح الشيخ أحمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ٢٣٢/٤).

(٢) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

(٣) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٣٣ إلى ص ٢٤٠.

-١٦-
ضرب الأمثال

لقد كان النبي الكريم ﷺ يضرب الأمثال لتعليم الصحابة وتوجيههم. والمراد بضرب الأمثال-كما قال الإمام ابن القيم-تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، وأحد المحسوسين بالآخر، واعتبار أحدهما بالآخر[١].

وفائدة ضرب الأمثال كما هو واضح من الكلام السابق أنه يقرّب الشيء المعقول إلى أفهام المخاطبين بتشبيهه بالشيء المحسوس، كما يُيَسِّر على المخاطبين استيعاب أمر محسوس بتشبيهه بأمر محسوس آخر أكثر وضوحاً منه.

قال الإمام ابن قيم الجوزية مبيِّناً فوائد ضرب الأمثال: "ففي الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها، وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل، ولبه، وثمرته"[٢].

وهناك شواهد كثيرة لضرب الأمثال في الأحاديث الشريفة. ومنها ما يلي:

---

(١) انظر: إعلام الموقعين ١/١٥٠.

(٢) المرجع السابق ١/٢٣٩-٢٤٠.

١- التمثيل لنفسه وللأنبياء السابقين عليهم السلام:

روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ''قال النبي ﷺ: ''**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة**[١] **من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: ''هلاّ وضعت هذه اللبنة؟''.**

قال: ''**فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**'' [٢].

قال العلاّمة الطيبي: ''هذا من التشبيه التمثيلي، شُبِّه الأنبياء وما بُعِثوا به من الهدي والعلم، وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق بقصر شُيِّد بنيانه، وأُحْسِنَ بناؤه، ولكن تُرِكَ منه ما يصلحه، وما يسدّ خلله من اللبنة، فبُعِث نبينا ﷺ لسدّ ذلك الخلل مع مشاركته إياهم في تأسيس القواعد ورفع البنان'' [٣].

٢- تمثيل الذاكر وغير الذاكر:

روى الإمام البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ''**مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**'' [٤].

ففي هذا الحديث شبّه ﷺ الذاكر بالحي الذي تزيّن ظاهره بنور الحياة، وباطنه منوَّر بنور العلم والفهم والإدراك، كذلك الذاكر مزيَّن ظاهره بنور العمل

---

(١) (اللبنة): بفتح اللام وكسر الباء، وبكسر اللام وسكون الباء أيضاً، هي القطعة من الطين تعجن وتعدُّ للبناء، ويقال لها ما لم تحرق لبنة، فإذا أحرقت فهي آجرة. (انظر: فتح الباري ٥٥٩/٦).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم الحديث ٣٥٣٥، ٥٥٨/٦؛ وصحيح مسلم،كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين،رقم الحديث ٢٢ (٢٢٨٦)، ١٧٩١/٤؛ واللفظ له.

(٣) شرح الطيبي ٢٦٣٤/١١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، رقم الحديث ٦٤٠٧، ٢٠٨/١١.

والطاعة، وباطنه بنور العلم والمعرفة[١]، وشبَّه غير الذاكر بالميت الذي ظاهره عاطل، وباطنه عاطل[٢].

وقيل-كما نقل الملا علي القاري-موقع التشبيه النفع لمن يواليه، والضرّ لمن يعاديه، وليس ذلك في الميت[٣].

٣- تمثيل الجليس الصالح والجليس السوء:

روى الشيخان عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال:"**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك**[٤]**، وإما أن تبتاع منه**[٥]**، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة.**

ونافخ الكير إما أن يَحْرِق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثةً"[٦].

ففي هذا الحديث رغّب ﷺ في صحبة الصلحاء والعلماء، ومجالستهم بتشبيه الجليس الصالح بحامل المسك الذي لا يعدمك منه إحدى الخصال الثلاث: إما أن يهديك المسك، أو تشتريه منه، أو تجد منه ريحاً طيبة، كما حذّر ﷺ عن صحبة

(١) انظر: شرح الطيبي ٥/١٧١١.
(٢) انظر: فتح الباري ١١/٢١٠-٢١١.
(٣) انظر: مرقاة المفاتيح ٥/٣٥.
(٤) (**يحذيك**): أي يعطيك، وزناً ومعنى. (انظر: فتح الباري ٩/٦٦١).
(٥) (**تبتاع منه**): أي تشتري منه. (انظر: مرقاة المفاتيح ٨/٧٤٢).
(٦) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم الحديث ٥٥٣٤، ٩/٦٦٠؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم الحديث ١٤٦ (٢٦٢٨)، ٤/٢٠٢٦.

الأشرار والفساق بتشبيه الجليس السوء بنافخ الكير الذي لا يعدوك منه إحدى الخصلتين: إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة[١].

هذا، وقد روى الإمام ابن حبان نحو هذا الحديث، وترجم عليه بقوله:

[ذكر تمثيل المصطفى ﷺ الجليس الصالح بالعطّار الذي من جالسه علِق به ريحُه،وإن لم يَنَلْ منه][٢].

وقال الحافظ ابن حجر مبيِّنا فوائد الحديث:"وفيه ضرب المثل"[٣].

٤- تمثيل المنافق في تردّده:

روى الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيﷺ قال:"**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة**[٤] **بين الغنمين**[٥]**: تعير**[٦] **إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة**"[٧].

---

(١) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة، ذكر الأمر بمجالسة الصالحين وأهل الدين دون أضدادهم من المسلمين، ٢/٣٢٠-٣٢١؛ وشرح النووي ١٦/١٧٨؛ وشرح الطيبي ١٠/٣٢٠١؛ وفتح الباري ٤/٣٢٤؛ وعمدة القاري ١١/٢٢١؛ ومرقاة المفاتيح ٨/٧٤٢.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة، ٢/٣٤١.

(٣) فتح الباري ٤/٣٢٤؛ وانظر أيضاً: عمدة القاري ١١/٢٢١.

(٤) (**العائرة**): المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع. (شرح النووي ١٦/١٢٨). وقال العلامة الطيبي: العائرة: أكثر ما يستعمل في الناقة، وهي التي تخرج من الإبل إلى أخرى ليضربها الفحل، ثم يتسع في المواشي. (انظر: شرح الطيبي ٢/٥١٠).

(٥) (**الغنمين**): أي القطيعتين، فإن الغَنم اسم جنس يقع على الواحد والجمع. (مرقاة المفاتيح ١/٢٢٩-٢٣٠).

(٦) (**تعير**): أي تردّد وتذهب. (شرح النووي ١٦/١٢٨).

(٧) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم الحديث ١٧ (٢٧٨٤)، ٤/٢١٤٦.

وفي رواية أخرى: "**تَكِرُّ في هذه مرة، وفي هذه مرة**[١]" [٢].

قال العلاّمة الطيبي في شرح الحديث: "ضرب النبي عليه الصلاة والسلام للمنافق مثل السوء، فشبَّه تردّده بين الطائفتين من المؤمنين والمشركين تبعاً لهواه، وقصداً لغرضه الفاسد، وميلاً إلا ما يبتغيه من شهواته بتردّد الشاة العائرة، وهي تطلب الفحل، فتتردّد بين الثلّتين، فلا تستقر على حال، ولا تثبت مع إحدى الطائفتين، وبذلك وصفهم الله في كتابه، فقال عزّ من قائل: ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ﴾[٣] ".

أقول: وخصَّ الشاة العائرة بالذكر إدماجاً، بمعنى سلب الرجولية عن المنافقين، من طلب الفحل للضراب" [٤].

٥- تمثيل المؤمن والمنافق باعتبار إصابتهما البلاء:

روى الأئمة البخاري ومسلم وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح تميله**[٥]**، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء.**

---

(١) (**تكر في هذه مرة وفي هذه مرة**): أي تعطف على هذه وعلى هذه، وهو نحو تعير، وهو بكسر الكاف. (شرح النووي ١٢٨/١٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٢١٤٦/٤.

(٣) سورة النساء/ جزء من الآية ١٤٣.

(٤) شرح الطيبي ٥١٠/٢؛ وانظر أيضاً: مرقاة المفاتيح ٢٣٠/١.

(٥) (**تميله**): تقلبه الريح يميناً وشمالاً. (انظر: شرح النووي ١٥١/١٧).

ومثل المنافق كمثل شجرة الأرْزِ[١]، لا تهتزّ حتى تستحصد[٢]'' [٣].

ففي هذا الحديث شبّه ﷺ المؤمن بالزرع تقلبه الريح يميناً وشمالاً، وتخفضه وترفعه، وهكذا المؤمن تستمر البلايا والمصائب والحوادث تصيبه، كما شبَّه ﷺ المنافق بشجرة الأرز التي لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة[٤].

وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر تمثيل المصطفى ﷺ المؤمن بالزرع في كثرة ميلانه][٥].

فخلاصة الكلام أن النبي ﷺ كان يضرب الأمثال في التعليم؛ ولهذا تأثير كبير في تقريب الشيء المعقول إلى أفهام المخاطبين، وتيسير استيعابه من قبل السامعين.

* * *

(١) **(الأرز)**: هو شجر معتدل صلب لا يحركه هبوب الريح. (انظر: فتح الباري ١٠/١٠٧). وجاء في هامش صحيح مسلم: ''الأرز من أثمن الأشجار وأعظمها، يعلو قرابة (٧٠-٨٠) قدماً، وأغصانه طويلة غليظة تمتد أفقياً من الجذع، وكثيراً ما يبلغ محيط جذع الشجرة عشرين قدماً أو يزيد'' (٤/٢١٦٣).

(٢) **(لا تهتز حتى تستحصد)**: أي لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة. (شرح النووي ١٧/١٥٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المريض، رقم الحديث ٥٦٤٤، ١٠/١٠٣؛ وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم الحديث ٥٨ (٢٨٠٩)، ٤/٢١٦٣؛ واللفظ له؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض، رقم الحديث ٢٩١٥، ٧/١٧٧-١٧٨.

(٤) انظر: شرح النووي ١٧/١٥٣.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٧/١٧٧.

-١٧-

التعليم بالفعل

إن التعليم بالفعل له صورتان. أولاهما أن يفعل المرء ما يأمر به طلابه، ويجتنب ما ينهاهم عنه. ويُعبَّر عنها بتوفر القدوة أو السلوك في المعلم. وقد قيل عن ذلك:''الفعل أبلغ من القول'' [١].

وثانيتها أن يشرح المعلّم ما يقوله بالبيان الفعلي. وقيل عن ذلك إن البيان بالفعل أبلغ في الإيضاح[٢]، وأوقع في نفس السامع من القول وحده[٣]. وقال الإمام ابن أبي جمرة: إن التعليم بالفعل والمثال أبلغ من القول وحده[٤].

ولقد كان نبينا الكريم ﷺ يقوم بالتعليم بكلتا الصورتين. وفيما يلي بيان ذلك بتوفيق ربي عز وجل.

أولاً: التعليم بالقدوة:

لقد كان النبي الكريم ﷺ صورةً حيةً وقدوةً صالحةً لما كان يعلّمه أصحابه. فما من فضيلة حثّهم عليها إلاّ كان متحلّيا بها، بل سبق بالتمسك بها غيره، وما من رذيلة حذّرهم عنها إلا كان أبعد الناس عنها. وفي سيرته المطهرة صلوات ربي وسلامه عليه شواهد كثيرة تدلّ على ذلك. ومنها ما يلي:

---

(١) وقيل باللغة الإنجليزية:''Action speaks louder''. ''يتحدّث العمل بصوت أرفع''.

(٢) انظر: شرح النووي ١١٤.

(٣) انظر: فتح الباري ٢/٤٠٠.

(٤) انظر: بهجة النفوس ١/١٨٧.

١- الإكثار من ذكر الله تعالى.

٢- الاهتمام بالمحافظة على الصلوات الخمس.

٣- عظيم الجود.

٤- حسن معاشرة النساء.

٥- شدة العناية بإيفاء العهد حتى مع الأعداء.

٦- الإيثار.

٧- العفو عن الظالمين.

٨- التواضع.

٩- الزهد في الدنيا.

١٠- العناية بالدعوة إلى الله تعالى.

١١- المشاركة في بناء المسجد.

١٢- المشاركة في حفر الخندق.

١٣- البدء بالإفطار عند الأمر به.

١٤- نزع الخاتم من ذهب ومنع الصحابة من لبسه

١٥- الطلب من الأهل ضيافة المحتاج قبل طلبها من غيرهم.

١٦- إبطال دم حفيد العم، وربا العم قبل أمر الناس بذلك.

١٧- ردّ سبي بني هوازن قبل حثّ غيره على ذلك[١].

---

(١) انظر: تخريج هذه الشواهد والحديث عنها في كتابي: ''السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى'' من ص ٦٥ إلى ص ١٠٦.

١٨- حمل ابنة البنت على العاتق الشريفة في الصلاة:

روى الإمام البخاري عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلّي، وهو حامل أمامة بنت زينب رضي الله عنهما بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها[١].

لقد كانت العرب تكره البنات وتحتقرهنّ، فعلّمهن النبي ﷺ عظيم مكانتهن بالعمل، وذلك بحمل ابنة بنته رضي الله عنهما على عاتقه الشريفة أثناء الصلاة. وفي هذا الصدد قال العلاّمة الفاكهاني: ''وكأن السرّ في حمله أمامة رضي الله عنها في الصلاة دفعاً لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهنَّ، فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة للمبالغة في ردعهم، والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول''[٢].

ثانياً: التعليم بالبيان الفعلي:

لقد ثبت من قيام النبي الكريم ﷺ بتعليم الصحابة أمور الدين بالبيان الفعلي. ومن الشواهد الدالة على ذلك ما يلي:

١- تعليم كيفية الوضوء بالبيان الفعلي.

٢- تعليم أوقات الصلاة بالبيان الفعلي.

٣- الصلاة على المنبر لتعليم الناس.

٤- تعليم كيفية البزاق في الثوب أثناء الصلاة بالبيان الفعلي[٣].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، رقم الحديث ٥١٦، ١/٥٩٠.

(٢) نقلاً عن فتح الباري ١/٥٩٢.

(٣) انظر: تخريج هذه الشواهد والتعليق عليها في كتابي ''السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى'' من ص ٥٤ إلى ص ٥٧.

٥- تعليم كيفية التيمم بالفعل:

روى الإمام البخاري عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: ''جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: ''إني أجنبت فلم أصب الماء ''.

فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم: ''أما تذكر أنا كنا في سفر، أنا وأنت، فأما أنت فلم تصلّ، وأما أنا فتمعكت[1] فصليت، فذكرتُ للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **''كان يكفيك هكذا''**.

فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض، ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه''[2].

ففي هذا الحديث نجد أنه ﷺ علّم عماراً ﷺ كيفية التيمم بالفعل. قال الحافظ ابن حجر في شرح قول الراوي [ونفخ فيهما]: وفي رواية: ''ثم أدناهما من فيه''، وهي كناية عن النفخ، وفيها إشارة إلى أنه كان نفخاً خفيفاً، وفي رواية: ''تفل فيهما'' والنفث دون البزق، والنفث دونه، وسياق هؤلاء يدلّ على أن التعليم وقع بالفعل[3].

٦- إراءة الحصّيات للصّحابة.

روى الإمام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: **''هات القُط لي''**[4].

---

(١) **(فتمعّكت)**: وفي رواية: ''فتمرغت'': أي تقلبت. (انظر: فتح الباري ١/٤٤٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب المتيمّم هل ينفخ فيهما؟، رقم الحديث ٣٣٨، ١/٤٤٣.

(٣) انظر: فتح الباري ١/١٤٤٤.

(٤) **(هاتِ القُطْ لي)**: (القُطْ لي): صيغة أمر من لقط كنصر. (انظر: حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ٥/٢٦٨).

فلقطت له حصيات، هن حصى الخذف[١]، فوضعتهن في يده، وجعل يقول بهن في يده-ووصف يحي[٢] تحريكهن في يده- "**بأمثال هؤلاء**" [٣].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ بين قدر الحصى بإراءها للصحابة في يده الشريفة. وهذا بلا شك أوضح في البيان، وأوقع في النفس.

فخلاصة القول كان النبي الكريم ﷺ يقوم بتعليم الصحابة بالفعل بصورتيه: بالقدوة وبالبيان الفعلي. وأسأل ربي الحي القيوم أن يوفقنا بالقيام بالتعليم وفق سنته ﷺ إنه سميع مجيب.

* * *

---

(١) (**حصى الخذف**): وهو قدر الباقلاء، أو النواة، أو الأنملة. (مرقاة المفاتيح ٥/٥١١).

(٢) (**يحي**): أحد رواة الحديث.

(٣) سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، قدر حصى الرمي، ٥/٢٦٩. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن النسائي ٢/٦٤٠).

-١٨-
أسلوب المقارنة

إنّ مما يساعد على بيان الدرس ووضوحه في أذهان المخاطبين المقارنة بين الأضداد وقد قيل: ''وبضدّها تتبين الأشياء''.

لقد كان النبي ﷺ يستخدم هذا الأسلوب أثناء التعليم والتوجيه. ومن الشواهد الدالة على ذلك ما يلي:

١- المقارنة بين الدنيا والآخرة:

روى الإمام مسلم عن قيس قال: ''سمعت مستورداً أخا بني فهر ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: ''**والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعَلُ أحدكم إصبعه هذه**- وأشار يحيى بالسبابة- **في اليم**[١]، **فلينظر بم يرجع**[٢]؟''[٣].

ومعنى الحديث-كما قال الإمام النووي-: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قِصر مدها، وفناء لذاها، ودوام الآخرة، ودوام لذاها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلّق بالإِصبع إلى باقي البحر[٤].

---

(١) (اليم): هو البحر . (هامش صحيح مسلم ٢١٩٣/٤).

(٢) (بم يرجع): ضبطوا (يرجع) بالتاء والياء، والأول أشهر. ومن رواه بالياء أعاد الضمير إلى أحدكم. وبالتاء أعاده على الإصبع، وهو الأظهر. (المرجع السابق ٢١٩٣/٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث ٥٥ (٢٨٥٨)، ٣١٩٣/٤.

(٤) انظر: شرح النووي ١٩٢/١٧-١٩٣.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قارن بين قِصَر الدنيا وفناء لذاتها وبين دوام الآخرة، وخلود لذاتها، وتتابع نعيمها. وفي هذا بلا شك بيان وتوضيح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) استخدامه ﷺ أسلوب ضرب الأمثال حيث شبّه الدنيا بالماء الذي يعلّق بالإصبع، وشبّه الآخرة بالبحر. قال الإمام الطيبي: "هذا تمثيل على سبيل التقريب، وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي"[1] [2].

(ب) استخدامه ﷺ أيضاً [أسلوب الإشارة] حيث قال [**إصبعه هذه...**][3].

٢- المقارنة بين مريد الآخرة ومريد الدنيا:

روى الإمام الترمذي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من كانت الآخرةُ همَّه**[4] **جعل الله غِناه في قلبه**[5]، **وجمع له شملَه**[6]، **وأتته الدنيا وهي**

(١) شرح الطيبي ٣٢٧٢/١٠.

(٢) وانظر: تفصيل استخدام النبي ﷺ [أسلوب ضرب الأمثال] في هذا البحث من ص ٩٤ إلى ص ٩٩.

(٣) وانظر: تفصيل استخدام النبي ﷺ [أسلوب الإشارة] في هذا البحث من ص ٨٥ إلى ص ٨٨.

(٤) (**همّه**): أي قصده ونيته. (تحفة الأحوذي ١٣٩/٧).

(٥) (**جعل الله غِناه في قلبه**):أي جعله قانعاً بالكفاف، والكفاية كي لا يتعب في الزيادة. (المرجع السابق ١٣٩/٧).

(٦) (**وجمع له شمله**):أي أموره المتفرقة أن جعله مجموع الخاطر بتهيئة أسبابه من حيث لا يشعر به. (المرجع السابق ١٣٩/٧).

راغمة[١].ومن كانت الدنيا همّه جعل الله الفقر بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له'' [٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قارن بين ما يناله مريد الآخرة وبين ما يُعَاقَب به طالب الدنيا.

٣- المقارنة بين أنعم أهل الدنيا من أصحاب النار وأشدهم بؤساً من أهل الجنة:

روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **''يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة[٣]، ثم يقال''يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟''.**

فيقول: **''لا، والله! يارب! ''.**

ويُؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صَبغة في الجنة، فيقال له: ''يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟''.

فيقول: **''لا؛ والله! يارب! ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط'' [٤].**

---

(١) **(وهي راغمةً)**:أي حقيرة ذليلة له لا يحتاج في طلبها إلى سعي كثير، بل تأتيه هينة لينة على رغم أنفها وأنف أربابها. (تحفة الأحوذي ١٤٠/٧).

(٢) جامع الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب، رقم الحديث ٢٥٨٣،١٣٩/٧-١٤٠. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٣٠٠/٢).

(٣) **(صَبْغة)**: بفتح الصاد أي يغمس غمسة. (شرح النووي ١٤٩/١٧).

(٤) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة، رقم الحديث ٥٥ (٢٨٠٧)، ٢١٦٢/٤.

ففي هذا الحديث قارن ﷺ بين ما يُعاقب به أنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة وبين ما يُجَازى به أشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة. ولا شك أن هـذا يوضِّح المقصود، ويبيّن المراد، ويجلّي المرام، ويساعد على ترسيخ الأمر في أذهان من يستمعون القول، فيتبعون أحسنه. اللهم اجعلنا برحمتك من أولئك. آمين يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

-١٩-
الإجمال أولاً ثم التفسير للإجمال بعده

إن من عوامل جذب عناية المتعلّمين، وإثارة الشوق لديهم، وترسيخ المعلومات في أذهانهم إجمال المعلّم الكلام أولاً، ثم التفسير للإجمال بعده. قال الإمام ابن أبي جمرة مبيِّنا ثمرة ذلك: ''والحكمة في ذلك أنه عند الإخبار بالإجمال يحصل للنفس المعرفة بغاية المذكور، ثم تبقى متشوقة إلى معرفة معناه، فيكون ذلك أوقع في النفس وأعظم في الفائدة''[(١)].

ولقد كان سيد المعلّمين وقدوتهم ﷺ يكثر من استخدام هذا الأسلوب.

ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- ثنتان لا تردّان:

روى الإمام أبو داود عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ''**ثنتان**[(٢)] **لا تُرَدّان أو قلما تردّان: الدعاء عند النداء**[(٣)]**، وعند البأس حين يلحم بعضه بعضا**[(٤)]**. [بعضهم]**''[(٥)].

---

(١) بهجة النفوس ٩٧/١.

(٢) (**ثنتان**): أي دعوتان ثنتان. (عون المعبود ١٥٣/٧).

(٣) (**النداء**): أي الأذان. (المرجع السابق ١٥٣/٧).

(٤) (**يلحم بعضهم بعضا**): (يلحم) : بضم الياء وكسر الحاء أو بفتح الياء وفتح الحاء، والمعنى : حين يشتبك الحرب بينهم، ويقتل بعضهم بعضا. (انظر: المرجع السابق ١٥٣/٧).

(٥) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء، رقم الحديث ٢٥٣٧، ١٥٣/٧. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٤٨٣/٢).

وفي هذا الحديث ذكر ﷺ أنّ هناك وقتين لا يُرَدّ فيهما الدعاء، وذلك قبل الإخبار عن هذين الوقتين. وفي هذا إثارة الشوق إلى معرفة الوقتين، والاستفادة منهما.

٢- ثلاث من كن فيه:

روى الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**ثلاث من كن فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان**[١]: **أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**"[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ ذكر أن هناك ثلاث خصال ينال بها صاحبها حلاوة الإيمان. وفي هذا حث قويّ على الاستماع الجيد لما سيُذْكر بعد ذلك.

فائدة أخرى في الحديث:

شبّه ﷺ رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو[٣]، وهذا بلا شك من عوامل تقريب المعاني إلى الأذهان أيضاً.

٣- أربع من كن فيه:

روى الإمام البخاري أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**"[٤].

---

(١) (**حلاوة الإيمان**): معناها استلذاذ الطاعات، وتحمّل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا. (انظر: فتح الباري ٦١/١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث ١٦، ٦٠/١.

(٣) انظر: فتح الباري ٦١/١.

(٤) صحيح البخاري، باب علامة المنافق، رقم الحديث ٣٤، ٨٩/١.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ ذكر أنّ هناك أربعاً من الخصال يصير بها المـــرء منافقاً خالصاً، وذلك قبل بيان تلك الخصال. وفي هذا تحريض قوي للسامع للعناية بمـا سيُحَدَّث به.

٤- خمس من جاء بهن:

روى الإمام الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:''**خمس مـــن جاء بهن مع إيمان، دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئـــهن، وركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليـــه سبيلا، وأدى الأمانة**''.

قيل: يا نبي الله ﷺ! وما أداء الأمانة؟''.

قال:''**الغسل من الجنابة، إن الله لم يأمن ابن آدم على شـــيء مـــن دينـــه غيرها**''[١].

وفي هذا الحديث أخبر ﷺ أن هناك خمسة أعمال من جاء بهن مع إيمان، دخـل الجنة. فمن لا يكون من راغبي دخول الجنة في غاية الشوق إلى معرفة تلك الأعمـــال، ولا يكون كامل الإنصات، وتام الاستماع لبيانها؟

٥- ست من أشراط الساعة:

روى الإمامان أحمد والطبراني عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رســـول الله ﷺ: ''**ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، ومـــوت يـــأخذ في النـــاس**

---

(١) نقلاً عن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الإيمان،باب فيما بُني عليه الإسلام، ٤٧/١. وقال عنه الحـــافظ الهيثمي:''رواه الطبراني في الكبير وإسناده جيد''. (المرجع السابق ٤٧/١).

كقعاص[1] الغنم، وفتنة يدخل حربها بيت كل مسلم، وأن يُعْطى الرجل ألف دينار فيتسخطها[2]، وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بنداً[3] تحت كل بندٍ اثنا عشر ألفاً''[4].

وفي هذا الحديث ذكر ﷺ أن هناك ستاً من أشراط الساعة، وذلك قبل أن يبيِّن ما هي؟ ولا شك أن المؤمن بقيام الساعة يزداد اشتياقه إلى معرفة تلك الاشراط عند الاستماع إلى هذا الذكر الإجمالي.

٦- سبعة يظلهم الله في ظله:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ''**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحاباّ في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة**

---

(١) (**كقعاص الغنم**): بضم القاف، هو داء يقعص منه الغنم، فلا تلبث أن تموت. وقال بعض العلماء: داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، ويقال إن هذه الآفة ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر رضي الله عنه، فمات منها سبعون ألف في ثلاثة أيام، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس. (انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/٩٥).

(٢) (**فيتسخطها**): لاستقلاله إياها واحتقارها، وهذا كناية عن كثرة المال، واتساع الحال. (المرجع السابق ٤/٩٤).

(٣) (بنداً): وفي رواية بدل [بنداً] [غابة] بالباء، والغابة: الأجمة، شبه بها كثرة السلاح، وفي رواية: [الغاية] بالياء وهي الراية. (انظر: المرجع السابق ٤/٩٥).

(٤) نقلاً عن صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث ٣٦٠٨، ١/٦٧٥، وانظر أيضاً: المسند: (ط: المكتب الإسلامي) ٥/٢٢٨.

ذات منصب وجمال فقال: ''إني أخاف الله''، ورجل تصدّق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه''[١].

ففي هذا الحديث ذكر ﷺ أن سبعة أصناف من الناس يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذلك قبل بيان تفصيل تلك الأصناف. وفي ذلك بلا شك تحريض قوي على معرفة تلك الأصناف لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

٧- عشرة في الجنة:

روى الإمام الترمذي عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **''عشرة في الجنة: أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبدالرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم''**.

قال[٢]: ''فعدّ هؤلاء التسعة،وسكت عن العاشر''.

فقال القوم: ''ننشدك الله يا أبا الأعور![٣] من العاشر؟''.

قال: **''نشدتموني الله، أبو الأعور في الجنة''**.

قال[٤]: ''هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه''[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، رقم الحديث ٦٦٠، ١٤٣/٢.

(٢) **(قال)**: أي راوي الحديث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه. والله تعالى أعلم.

(٣) **(يا أبا الأعور)**: هو كنية سعيد بن زيد رضي الله عنه. (تحفة الأحوذي ١٧٢/١٠).

(٤) **(قال)**: القائل هو الإمام الترمذي. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٢١٨/٣).

(٥) جامع الترمذي، أبواب المناقب، مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري رضي الله عنه، رقم الحديث ٣٩٩٦، ١٧٢/١٠. قال العلاّمة المباركفوري: ''وحديث سعيد بن زيد رضي الله عنه هذا أخرجه أيضاً أحمد من طرق، وابن ماجة، والدار قطني، والضياء''. (تحفة الأحوذي ١٧٢/١٠). وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر صحيح سنن الترمذي ٢١٨/٣؛ وانظر أيضاً: صحيح سنن أبي داود ٨٧٩/٣؛ وصحيح الجامع الصغير وزيادته ٧٤٢/٢).

ومما نراه في الحديث أنه ﷺ أخبر أن عشرة أشخاص في الجنة، وذلـك قبـل ذكر أسمائهم. فمن من أهل الإيمان لا يكون حريصاً على معرفة أسماء أولئك الأبـرار، ولا يكون بالغ الاهتمام عند بيان النبي ﷺ أسماءَهم؟

٨- إجمال البشارة أولاً، ثم بيانها:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ''**الملائكة تصلّي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**''[١].

ففي هذا الحديث أجمل ﷺ البشارة للجالس في مصلاّه أولاً إذ ذكـر أن الملائكة تصلي عليه، ثم بيَّن ﷺ تلك البشارة بأهم يستغفرون ويدعون له بالرحمة.

وفيه كذلك أنه ﷺ بدأ البشارة بالعام الذي يحتمل أن يكون دعاؤهم بالأعلى أو بالأقل،ثم ختمها بالأعلى. وفي هذا الصدد قال الإمام ابن أبي جمرة: ''فيه دليل علـى أن السنّة في البشرى أن تكون بالأقل ثم يختم بالأعلى لأنه أبلغ في المسرة. يؤخذ ذلـك من إجماله عليه السلام البشارة أولاً، وتبيينها آخراً، لأن العام احتمل أن يكون دعاؤهم بالأعلى من الأمور أو الأقل، لكن حصل بذلك سرور لأنه زيادة خير، والذي أتـى في التفسير هي المغفرة والرحمة. فمن غفر له ورحم فهو أعلى الجوائز''[٢].

* * *

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، جزء من رقـم الحديث ٦٥٩، ٢/١٤٢.

(٢) بـهجة النفوس ١/١٩١.

-٣٠-

أسلوب الاستفهام

إن لأسلوب الاستفهام في التعليم أثراً كبيراً في استحضار فهوم المخاطبين، وجذب عنايتهم، وتقرير الأمر وتأكيده. ولقد كان النبي الكريم ﷺ يستخدم هذا الأسلوب كثيراً في التعليم والتوجيه. ولهذا شواهد كثيرة في سيرته العطرة، ومنها ما يلي:

١- الاستفسار عن أسماء يوم النحر وشهر ذي الحجة، ومكة:

روى الشيخان عن أبي بكرة ﷺ قال:''خطبنا النبي ﷺ يوم النحر. قال: ''**أتدرن أيّ يوم هذا؟**''.

قلنا:''الله ورسوله أعلم''.

فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال:''**أليس يوم النحر؟**''.

قلنا:''بلى''.

قال:''**أي شهر هذا؟**''.

قلنا:''الله ورسوله أعلم''.

فَسَكَتَ حتى ظننا أنه سيسمِّيه بغير اسمه، قال:''**أليس ذو الحجة؟**''.

قلنا:''بلى''.

قال:''**أيّ بلد هذا؟**''.

قلنا:''الله ورسوله أعلم''.

فَسَكَتَ حتى ظننا أنه سيسمِّيه بغير اسمه، قال:''**أليستْ بالبلدة الحرام؟**''.

قلنا: "بلى".

قال: "**فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم. ألا هل بلّغت؟**".

قالوا: "نعم".

قال: "**اللهم اشهد، فليبلّغ الشاهد الغائب، فربّ مبلّغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**"(١).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ استخدم أسلوب التساؤل، فقال: "**أتدرون أي يوم هذا؟**" و"**أيّ شهر هذا؟**" و"**أي بلدٍ هذا؟**"، وكان ذلك -والله تعالى أعلم- لجذب عناية الصحابة، وشدّ انتباههم إلى ما سيُخبِرهم به، وتفخيم ذلك الأمر، وتقرير عظمته في نفوسهم. وقد بيّن ذلك علماء الأمة جزاهم الله تعالى عنا خير الجزاء. فعلى سبيل المثال قال الإمام القرطبي: "سؤاله ﷺ عن الثلاثة، وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: "**فإن دماءكم.. الخ**" مبالغة في تحريم هذه الأشياء"(٢).

وقال الإمام النووي: "هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظيم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم"(٣).

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم الحديث ١٧٤١، ٥٧٣/٣؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم الحديث ٢٩ (١٦٧٩)، ١٣٠٥/٣-١٣٠٦.

(٢) نقلاً عن فتح الباري ١٥٩/١؛ وانظر أيضاً عمدة القاري ٣٩/٢.

(٣) شرح النووي ١٦٩/١.

وقال الملاّ علي القاري: ''أراد بهذا الاستفهام أن يقرّر في نفوسهم حرمة الشهر والبلدة واليوم ليبني عليه ما أراده''[١].

فائدة أخرى في الحديث:

ومما نجده في هذه الخطبة كذلك أنه ﷺ استخدم أسلوب ضرب الأمثال إذ شبَّه حرمة الدماء والأموال والأعراض بحرمة يوم النحر، وذي الحجة، والبلدة الحرام. قال العلامة الطيبي: ''في هذا التمثيل دليل على استحباب ضرب الأمثال، وإلحاق النظير بالنظير قياساً''[٢].

٢- الاستفسار عن بقاء الوسخ بعد الغسل خمس مرات:

روى الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ''**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول**[٣] **ذلك يُبْقي من درنه؟**''[٤].

قالوا: ''لا يبقى من درنه شيئاً''.

قال: ''**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا**''[٥].

---

(١) مرقاة المفاتيح ٥/٥٤٧؛ وانظر أيضاً: شرح الطيبي ٦/٢٠١٤-٢٠١٥.

(٢) المرجع السابق ٦/٢٠١٥. وانظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٩٤ إلى ص ٩٩.

(٣) (**ما تقول؟**): والمعنى ما تقول: يا أيها السامع. (فتح الباري ٢/١١).

(٤) (**الدرن**): بفتح الدال، أي الوسخ. (مرقاة المفاتيح ٢/٢٦٧).

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم الحديث ٥٢٨، ٢/١١؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تُمحى به الخطايا وتُرفع به الدرجات، رقم الحديث ٢٨٣ (٦٦٧)، ١/٤٦٢-٤٦٣.

استخدم ﷺ أسلوب الاستفهام في هذا الحديث ليتوجّه السامعون بالكلية إلى ما سيخبرهم به. قال الحافظ ابن حجر ''**أرأيتم**'' هو استفهام تقرير متعلق بالاستخبار، أي: أخبروني هل يبقى؟[١]''.

قال الإمام الطيبي في شرح الحديث:''لفظ (**لو**) يقتضي أن يدخل على الفعل، وأن يجاب، لكنه وضع الاستفهام موضعه تأكيداً وتقريراً، والتقدير لو ثبت نهر صفته كذا لما بقي كذا''[٢].

ونرى في هذا الحديث كذلك أنه ﷺ استخدم أسلوب التشبيه، ولكنه عكس في التشبيه، فشبَّه تطهير النهر الدرنَ بتكفير الصلوات الخمس الذنوب. قال الملا علي القاري:''وعكس في التشبيه، حيث إن الأصل تشبيه المعقول بالمحسوس، مبالغةً''[٣].

٣- الاستفسار عمن يكون مال وارثه أحب إليه من ماله:

روى الإمام البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:''**أيُّكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**''.

قالوا:''يا رسول الله! ما منا أحد إلا ماله أحب إليه؟''.

قال:''**فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر**''[٤].

ففي هذا الحديث استخدم ﷺ أسلوب الاستفهام للتحريض على الإنفاق في وجوه الخير لينتفع به في الآخرة.

---

(١) فتح الباري ١١/٢.

(٢) نقلاً عن المرجع السابق ١١/٢.

(٣) مرقاة المفاتيح ٢٦٧/٢. وانظر تفصيل استخدام النبيﷺ أسلوب ضرب الأمثال في هذا الكتاب من ص ٩٤ إلى ص ٩٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق،باب ما قدّم من ماله فهو له، رقم الحديث، ٦٤٤٢، ٢٦٠/١١.

فخلاصة الكلام أن نبينا الكريم ﷺ كان يستخدم أسـلوب الاسـتفهام في التعليم والتوجيه لجذب عناية المخاطبين وتأكيد ما كان يعلمهم. فصلوات ربي وسلامه عليه.

* * *

-٢١-
طرح المسائل على المتعلِّمين

إن إلقاء المعلم المسائلَ على الطلاب مما يرغّبهم في الفهم،ويحرِّضهم على الفكر،ويجعلهم منتبهين إلى الدرس. ولقد كان نبينا الكريم ﷺ يفعل ذلك مع أصحابه ولهذا شواهد كثيرة في سيرته الذكية. ومنها يلي:

١- السؤال عن شجرة هي مثل المسلم:

روى الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ''**إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدّثوني ما هي؟**''.

فوقع الناس في شجر البوادي[١].

قال عبد الله رضي الله عنه:''ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت''[٢].

ثم قالوا:''حدِّثنا ما هي يا رسول الله ﷺ!''.

قال:''**هي النخلة**''[٣].

---

(١) (**فوقع الناس في شجر البوادي**):أي ذهبت أفكارهم في شجر البادية، فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع، وذهلوا عن النخلة. (فتح الباري ١/١٤٦).

(٢) (**فاستحييت**): وفي رواية:''فإذا أنا عاشِر عشرة، أنا أحدثهم''. وفي رواية أخرى:''ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم''. (المرجع السابق ١/١٤٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدِّث (حدَّثنا)، أو (أخبرنا) و(أنبأنا)، رقم الحديث ٦١، ١/١٤٥.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ بدأ باستفسار الصحابة عن الشجرة التي هي مثل المسلم. وقد ذكر الإمام البخاري هذا الحديث في عدة أماكن من كتابه، وترجم عليه في مكان بقوله:

[باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم][1].

وقال العلامة العيني تعليقا على الحديث: ''فيه استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر''[2].

وترجم عليه الإمام البخاري في مقام آخر من كتابه بقوله:

[باب الفهم في العلم][3].

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث: ''وفيه التحريض على الفهم في العلم، وقد بوّب عليه المؤلف: [باب الفهم في العلم][4].

فوائد أخرى في الحديث:

إلى جانب هذا، هناك فوائد أخرى في الحديث تتعلّق بسيرة النبي الكريم ﷺ كمعلم. ومنها ضرب الأمثال وتصوير المعاني. قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث: ''وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة''[5].

---

(١) صحيح البخاري ١٤٧/١.

(٢) عمدة القاري ١٥/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، ١٦٥/١.

(٤) فتح الباري ١٤٦/١.

(٥) المرجع السابق ١٤٧/١.

٢- السؤال عن المفلس:

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ''**أتـــدرون مـــا المفلس؟**''.

قالوا: ''المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع''.

فقال: ''**إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هـــذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ مـــن خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**''(١).

ومما نشاهده في الحديث أنه ﷺ بدأ بسؤال الصحابة عن المفلـــس، فأجـــاب الصحابة، ولم يصيبوا. ثم أخبرهم ﷺ عن المفلس حقيقة. وأما من سمـــاه الصحابـــة مفلسا، فليس هو بمفلس حقيقة، لأن هذا يزول إما بموته أو بيسار يحصل له بعد ذلـــك في حياته، بخلاف ذلك المفلس الهالك، الهلاك التام، والمعدوم، الإعدام المقطع(٢).

٣- السؤال عن الغيبة:

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ''**أتدرون مـــا الغيبة؟**''.

قالوا: ''الله ورسوله أعلم''.

قال: ''**ذكرك أخاك بما يكره**''.

قيل: ''أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟''.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث ٥٩ (٢٥٨١)، ٤/١٩٩٧.

(٢) انظر: شرح النووي ١٦/١٣٦؛ وشرح الطيـــبي ١٠/٣٢٥٥.

قال:"إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته[١]"[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ ألقى السؤال على الصحابة عن الغيبة قبل إخبارهم بحقيقتها. وهذا الأسلوب بلا شك يحرّض على الفكر، ويرغّب في الفهم، ويحُثُّ على الاهتمام بمعرفة حقيقة المسؤول عنه. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) (**بهتَّه**): يقال بهتَّه، قلتَ فيه البهتان، وهو الباطل. (انظر: شرح النووي ١٤٢/١٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم الحديث ٧٠ (٢٥٨٩)، ٢٠٠١/٤.

-٢٣-
الكناية عن الأمور الفاحشة والعورات

لقد كان النبي الكريم ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها[١]، ولم يكن الفحش له خلقا ولا مكتسبا. فقد روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ''لم يكن النبي ﷺ فاحشا[٢] ولا متفحشا[٣]''[٤].

ولذا كان ﷺ يكني عن الأمور الفاحشة والعورات عند الحاجة إلى ذكرها.

ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الكناية في قصة جريج رحمه الله تعالى:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ''**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى عليه السلام، وكان في بني إسرائيل رجل، يقال له جريج، كان يصلي، فجاءته أمه، فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟**[٥]''.

---

(١) روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ''كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها''. (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث ٣٥٦٢، ٦/٥٦٦).
و(**العذراء**): أي البكر. و(**في خدرها**): بكسر الخاء أي في سترها، وهو من باب التتميم، لأن العذراء في الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها، فالظاهر أن المراد تقييده بما إذا دخل عليها في خدرها، لا حيث تكون منفردة فيه. (انظر: فتح الباري ٦/٥٧٧).

(٢) (**فاحشا**): أي ناطقا بالفحش، وهو الزيادة على الحد في الكلام السيء. (المرجع السابق ٦/٥٧٥).

(٣) (**والمتفحش**): المتكلف لذلك. (المرجع السابق ٦/٥٧٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، جزء من رقم الحديث ٣٥٥٩، ٦/٥٦٦.

(٥) (**أجيبها أو أصلي**): هذا محمول على أنه قاله في نفسه، لا أنه نطق به، ويحتمل أن يكون نطق به على ظاهره لأن الكلام كان مباحا عندهم، وكذلك كان في صدر الإسلام. (انظر: فتح الباري ٦/٤٨١).

فقالت: ''اللهم لا تُمتْه حتى تُريَه وجه المومسات''[١].

وكان جريج في صومعته، فتعرّضت له امرأة، وكلّمَته، فأبى، فأتتْ راعيــاً، فأمكنتْه من نفسها، فولدتْ غلاماً[٢]**، فقالت: ''مِنْ جريج''**[٣].

فأتوه، فكسروا صومعته، وأنزلوه، وسبُّوه، فتوضأ وصلّى، ثم أتى الغــلام، فقال: ''من أبوك يا غلام؟''.

قال ''الراعي''.

قالوا: ''نبني صومعتك من ذهب''.

قال: ''لا، إلا من طين''. الحديث[٤].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ عبّر عن طلب المــرأة مــن جريــج ارتكــاب الفاحشة معها بالكناية حيث قال ﷺ: ''**فتعرضت له امرأة، فكلّمته، فأبى**''.

قال الإمام ابن أبي جمرة تعليقاً على الحديث: ''وفيه دليل علــى أن مــن أدب السنة الكناية عن الأمور الفاحشة. يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: ''**أتته امــرأة فكلّمتــه فأبى**''، والمعنى طلبت منه إيقاع الفاحشة، فكنّى ﷺ عن ذلك بقوله: ''**فكلّمته**''''[٥].

---

(١) (**المومسات**): جمع مومسة، بضم الميم وسكون الواو وكسر الميم، وهي الزانيــة. (انظــر: فتــح البــاري ٤٨١/٦).

(٢) (**فولدت غلاماً**): فيه حذف، تقديره: فحملت حتى انقضت أيامها، فولدت. (المرجع السابق ٤٨١/٦).

(٣) (**فقالت: ''من جريج''**): فيه حذف تقديره: فسئلت ممن هذا؟ فقالت: ''من جريــج''. (المرجــع الســابق ٤٨١/٦).

(٤) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، جــزء من رقم الحديث ٣٤٣٦، ٤٧٦/٦.

(٥) بــهجة النفوس ٤٦/٤.

٢- الكناية عن كيفية غسل المحيض:

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ''سألَتْ امرأةٌ النبيَّ ﷺ: كيف تغتسلَ من حيضتها؟''.

قال[١]: ''فذكرت[٢] أنه علّمها كيف تغتسل. ثم تأخذ فِرصة[٣] من مِسْك[٤] فتَطَهَّرُ بها''.

قالت: ''كيف أتطهَّر بها؟''.

قال: ''**تطهَّري بها سبحان الله**''[٥].

واستتر (وأشار سفيان بن عيينة بيده على وجه).

قال: ''قالت عائشة رضي الله عنها: ''واجتذبتها إليّ، وعرفت ما أراد النبي ﷺ، فقلت: ''تتّبعي بها أثر الدم''[٦]''[٧].

---

(١) قال: أي راوي الحديث.

(٢) (**فذكرت**): أي ذكرتْ عائشة رضي الله عنها.

(٣) (**فِرْصة**): بكسر الفاء، وإسكان الراء، وهي القطعة. (شرح النووي ١٤/٤).

(٤) (**المسك**): بكسر الميم، وهو الطيب المعروف. (المرجع السابق ١٤/٤).

(٥) (**تطهَّري بها سبحان الله**): إن (**سبحان الله**) في هذا الموضع يُراد بها التعجب، ومعنى التعجب: كيف يخفى مثل هذا الظاهر الذي لا يحتاج الإنسان في فهمه إلى فكر. (انظر: المرجع السابق ١٤/٤).

(٦) (**تتبَّعي بها أثر الدم**): قال جمهور العلماء: يعني به الفرج، وقال المحاملي: تطيب كل موضع أصابه الدم من بدنها، وظاهر الحديث حجة له. (انظر: المرجع السابق ١٥/٤).

(٧) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهّرت من المحيض، وكيف تغتسل...، رقم الحديث ٣١٤، ٤١٤/١؛ وصحيح مسلم، كتاب المحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فِرصة من مسك في موضع الدم، رقم الحديث ٦٠ (٣٣٢)، ٢٦٠/١؛ واللفظ له.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ عبَّر عن تطيب المرأة فرجها بقطعة مطيَّبة بالمسك بالكناية حيث قال: ''**ثم تأخذ فِرْصة من مِسْك، فتطهر بها**''.

قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث: وفيه استحباب الكنايات فيما يتعلق بالعورات، والاكتفاء بالتعرض والإرشاد في الأمور المستهجنة[١].

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) قيامه ﷺ بتعليم المرأة أمر الدين.

(ب) تكريره ﷺ الجواب لإفهام السائلة[٢].

(ج) رفقه ﷺ مع المتعلمة وحسن خلقه ﷺ وعظيم حلمه وحيائه زاده الله تعالى شرفاً[٣].

(د) تركه ﷺ الفرصة لعائشة رضي الله عنها للإجابة عن سؤال المرأة. قال الإمام ابن أبي جمرة: ''يؤخذ منه تعليم المفضول بين يدي الفاضل، لكن بعد ما يلقي الفاضل الحكم، فيكون ذلك من باب الخدمة له، لا سيّما في أمر يكون الفاضل يخجل منه، والمفضول ليس ذلك مما يخجل، لأن تحدّث النساء بينهن لا يقع منه خجل كما يقع من حديث الرجال[٤].

(١) فتح الباري ٤١٦/١ باختصار؛ وانظر أيضاً: شرح النووي ١٤/٤؛ وعمدة القارئ ٢٨٧/٣.

(٢) انظر: فتح الباري ٤١٦/١؛ وعمدة القارئ ٢٨٧/٣.

(٣) انظر: فتح الباري ٤١٦/١؛ وعمدة القارئ ٢٨٧/٣؛ وانظر أيضاً: بهجة النفوس ١٦٩/١.

(٤) المرجع السابق ١٦٩/١.

٣- الكناية عن دعوة امرأة إلى الفاحشة:

روى الشيخان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب**[١] **وجمال فقال: "إني أخاف الله": ورجل تصدّق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**"[٢].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ كنّى عن دعوة المرأة إلى الفاحشة بقوله: "**طلبته امرأة ذات منصب وجمال**": قال الإمام ابن أبي جمرة: "هنا من الفقه أن من السنة الكناية عن الشيء القبيح شرعاً، والإعراض عن تسميتة. يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: "**طلبته**" والطلب هنا يعني طلبتْ منه وقوع الفاحشة المحرمة، فكنّى بطلبته عن هذا الأمر الممنوع شرعاً، ولم يفصح به"[٣].

تنبيه:

كان النبي ﷺ رغم عادته بالكناية عن الأمور الفاحشة في التعليم، لم يكن يكنّي عنها في الحدود. ومما يدلّ على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما أتى ماعز بن مالك ﷺ النبي ﷺ قال له: "**لعلّك قبّلتَ**[٤]**، أو غمزت**[٥]**، أو نظرتَ؟**".

---

(١) (**ذات منصب**): المنصِب بكسر الصاد، الحسب، والنسب الشريف. (عمدة القاري ١٧٩/٥).

(٢) انظر تخريج الحديث في ص ١١٣ من هذا الكتاب.

(٣) بهجة النفوس ٢٣١/١.

(٤) (**قبلت**):حذف المفعول للعلم به أي المرأة المذكورة. (فتح الباري ١٣٥/١٢).

(٥) (**غمزت**): بالغين والزاي أي بعينك أو يدك أي أشرت' أو المراد بغمزت بيدك: الجس أو وضعها على عضو الغير. (انظر: المرجع السابق ١٣٥/١٢).

قال: ''لا يا رسول الله ﷺ!''.

قال: ''**أنكتها؟**[١]'' -لايكني-[٢].

قال: ''فعند ذلك أمر برجمه''[٣].

وقال العلاّمة العيني في شرح قول الرَّاوي: ''لايكني'': أي لا يصرح بغير هذه اللفظة. حاصله أنه صرّح بلفظ النيك، لأن الحدود لا تثبت بالكنايات''[٤].

قال الحافظ ابن حجر: ''محل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله، ولهذا قال للذي اعترف بالزنا: ''**أنكتها؟**''[٥].

* * *

---

(١) (**أنكتها**): ''بكسر النون من النيك''. (عمدة القارئ ٣/٢٤).

(٢) (**لا يكني**): أي تلفظ بالكلمة المذكورة، و لم يكن عنها بلفظ آخر. (فتح الباري ١٢/١٣٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقرّ: لعلك لمست أو غمزت؟، رقم الحديث٦٨٢٤، ١٢/١٣٥.

(٤) عمدة القارئ ٣/٢٤.

(٥) فتح الباري ٦/٥٧٧.

-٢٣-

عدم الاستحياء في تعليم ما يُحتَاج إليه

كما سبق ذكره أن النبي ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها[١]. ولكن رغم هذا لم يجعل ﷺ حَياءه مانعاً عن تعليم الصحابة ما كانوا يحتاجون إليه. ومن الشواهد الدالة على ذلك ما يلي:

١- تعليم آداب الخلاء:

(أ) حديث أبي هريرة رضي الله عنها:

روى الإمام النسائي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إنما أنا لكم مثل الوالد، أعلّمكم: إذا ذهب أحدكم إلى الخلاء فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستنج بيمينه**".

وكان يأمر بثلاثة أحجار، ونهى عن الروث والرِّمَّة[٢]"[٣].

قال العلاّمة السندي في شرح الحديث: (**إنما أنا لكم مثل الوالد**): كما يعلّم الوالد ولدَه ما يحتاج إليه مطلقاً، ولا يبالي بما يُسْتَحْيَى بذكره. فهذا تمهيد لما يبيِّن لهم

(١) انظر: ص ١٢٤ من هذا الكتاب.

(٢) (**الرِّمة**): الرِّمَّة والرَّميم: العظم البالي، ويجوز أن تكون الرِّمة جمع الرَّميم". (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة "رمم"، ٢/٢٦٧).

(٣) سنن النسائي، كتاب الطهارة، النهي عن الاستطابة بالروث، ١/٣٨. وقال عنه الشيخ الألباني: "حسن صحيح". (صحيح سنن النسائي ١/١٠).

من آداب الخلاء إذ الإنسان كثيراً ما يستحي من ذكرها لا سيما في مجلس العظماء''[١].

(ب) حديث سلمان ﷺ:

روى الإمام مسلم عن سلمان ﷺ قال: ''قيل له: ''قد علّمكم نبيكم كلَّ شيء حتى الخِراءة''[٢].

قال: فقال: ''أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط[٣] أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع[٤] أو عظم''[٥].

قال الإمام النووي في شرح قول سلمان ﷺ: ''أجل'' معناه: نعم، وهي بتخفيف اللام، ومراد سلمان ﷺ أنه علّمنا كل ما نحتاج إليه في ديننا حتى الخراءة التي ذكرت أيها القائل، فإنه علّمنا آدابها، فنهانا فيها عن كذا وكذا، والله أعلم؟''[٦].

٢- بيان حكم المرأة إذا احتلمت:

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: ''جاءت أم سليم رضي الله عنها (وهي جدة إسحاق) إلى رسول الله ﷺ، فقالت له، وعائشة رضي الله عنها

(١) حاشية السندي ٣٨/١.

(٢) (**الخِرَاءة**): بكسر الخاء وتخفيف الراء، وبالمد، وهي اسم هيئة الحدث. (انظر: شرح النووي ١٥٣/٣-١٥٤).

(٣) (**بغائط**):أصل الغائط المطمئن من الأرض، ثم صار عبارة عن الخارج المعروف من دبر الآدمي. (هامش صحيح مسلم ٢٢٣/١).

(٤) (**برجيع**): الرجيع الروث والعذرة، فعيل بمعنى فاعل. (انظر: المرجع السابق ٢٢٣/١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم الحديث ٥٧ (٢٦٢)، ٢٢٣/١.

(٦) شرح النووي ١٥٤/٣.

عنده:"يا رسول الله! المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه".

فقالت عائشة رضي الله عنها:"يا أم سليم! فضحت النساء[١]، تربت يمينك"[٢].

فقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها:"**بل أنت، فَتَرِبَتْ يمينك. نعم، فلتغتسل يا أم سليم! إذا رأت ذلك**"[٣].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لم ينكر على أم سليم رضي الله عنها سؤالها هذا، بل أجاب عنه نظراً إلى حاجة النساء إلى معرفة إجابته. و لم يقتصر على ذلك؛ بل أنكر على عائشة بسبب إنكارها على سؤال أم سليم رضي الله عنهما:"**بل أنت فتربت يمينك**" قال الإمام النووي:"فمعناه أنتِ أحق أن يقال لك هذا، فإنها فعلتْ ما يجب عليها من السؤال عن دينها، فلم تستحق الإنكار، واستحقتْ أنتِ الإنكار لإنكاركِ ما لا إنكار فيه"[٤].

---

(١) **(فضحت النساء)**:"معناه حكيت عنهن أمراً يُستَحْيِ من وصفهن به، ويكتمنه. (هامش صحيح مسلم ٢٥٠/١).

(٢) **(تربت يمينك)**: الأصح الأقوى في معناه أنها كلمة أصلها: افتقرت، ولكن العرب اعتادت استعمالها غير قاصدة حقيقة معناها الأصلي فيذكرون:"تربت يداك"، "وقاتله الله" "ما أشجعه"، و"لا أم له"، و"لا أب لك"، و"ثكلته أمه"، و"ويل أمه"، وما أشبه هذا من ألفاظهم، يقولونها عند إنكار الشيء، أو الزجر عنه، أو الذم عليه، أو استعظامه، أو الحث عليه، أو الإعجاب به، والله تعالى أعلم. (انظر: شرح النووي ٢٢١/٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، رقم الحديث ٢٩(٣١٠)، ٢٥٠/١.

(٤) شرح النووي ٢٢١/٣.

٣- النهي عن الإتيان في الدبر:

روى الأئمة أحمد وابن ماجة وابن حبان عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إنَّ الله لا يستحي من الحق**" **ثلاث مرات**، "**لا تأتوا النساء في أدبارهن**"[١].

ففي هذا الحديث نهى ﷺ عن إتيان النساء في دبرهن، ومهّد ﷺ لكلامه هذا بأن الله تعالى لا يترك من قول الحق أو إظهاره حياءً. وفي هذا الصدد قال العلاّمة الطيبي: "(**إنَّ الله لا يستحي**): أي إن الله لا يترك من قول الحق أو إظهاره. وكان من الظاهر أن يقال: "إنّي لا أستحيي"، فأسند إلى الله تعالى مزيداً للمبالغة والتأكيد[٢].

فائدة أخرى في الحديث:

تكراره ﷺ قوله "**إنَّ الله لا يستحي من الحق**"، ثلاث مرات ولا يخفى ما للتكرار في التعليم من أثر في تأكيد الأمر وترسيخ المعلومات[٣].

إلى جانب تلك الشواهد الثلاثة هناك شواهد أخرى كثيرة تدل على هذا في كتب السنة في أبواب الطهارة، والحيض، والنكاح.

* * *

(١) المسند ٥/٢١٤ (ط: المكتب الإسلامي)؛ وسنن ابن ماجة، أبواب النكاح، النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، رقم الحديث ١٩٣١، ١/٣٥٤؛ واللفظ له؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب النكاح، باب النهي عن إتيان النساء في أعجازهن، رقم الحديث ٤٢٠٠، ٩/٥١٤-٥١٥. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجة ١/٣٢٤؛ وصحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ١/٥٢١).

(٢) انظر: شرح الطيبي ٧/٢٣٠٧-٢٣٠٨.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٧١ إلى ص ٨٤.

-٣٤-
السماح بالسؤال

لقد كان النبي الكريم ﷺ يترك مجال السؤال للصحابة عما يهمّهم. وليس هذا فحسب ، بل كان يسمح للشخص الواحد بتكرير سؤاله أو أنْ يسأل عدة تساؤلات في مجلس واحدٍ. ولهذا شواهد كثيرة، ومنها ما يلي:

١- السماح بثلاثة أسئلة لابن مسعود رضي الله عنه:

روى الشيخان عن أبي عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: "أي العمل أحب إلى الله؟".

قال: "**الصلاة على وقتها**".

قال: "ثم أيّ؟"[1].

قال: "**بر الوالدين**".

قال: "ثم أي؟"

قال: "**الجهاد في سبيل الله**".

قال: "حدثني بهن، ولو استزدته لزادني."[2][3]

---

(١) (ثم أيٌّ): أيها أحب، ثمّ لتراخي الرتبة، لا لتراخي الزمان، أي: ثم بعد الصلاة أيها أفضل. (انظر: مرقاة المفاتيح ٢/٢٧٠-٢٧١)

(٢) (ولو استزدته لزادني): أي ولو طلبت منه الزيادة في السؤال لزادني رسول الله ﷺ في الجواب. (عمدة القارئ ٥/١٤).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم الحديث ٥٢٧، ٢/٩؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث ١٣٩(٨٥)، ١/٩٠،

ففي هذا الحديث نجد أن عبد الله بن مسعود ﷺ كرّر السؤال ثلاث مـرات، فلم يتضجَّر النبي ﷺ؛ بل أجاب كل مرة. وليس هذا فحسب، بل كان عليه الصـلاة والسلام مستَعدًا لاستقبال مزيد من التساؤلات والإجابة عنها، إن زاد ابن مسعود ﷺ في السؤال. قال الإمام النووي تعليقاً على الحديث:"وفيه صبر المفتي والمعلّم على مـن يفتيه أو يعلّمه، واحتمال كثرة مسائله وتقريراته"[١]. وقال العلاّمة العيـني:"وفيـه السؤال عن مسائل شتى في وقت واحِد، وجواز تكرير السؤال"[٢].

ومما نجده في الحديث كذلك-كما ذكر الحافظ ابن حجر-ما كان هـو ﷺ عليه من إرشاد المسترشدين، ولو شقّ عليه[٣].

٢- السماح بأربعة أسئلة حول مسألة واحدة:

روى الإمام البخاري عن أبي موسى الأشعرى ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ "**على كل مسلم صدقة**".

قالوا:"فإن لم يجد"[٤].

قال:"**فيعمل بيديه، فينفع نفسه، ويتصدّق**".

قالوا:"فإن لم يستطع، أو لم يفعل"[٥].

قال:"**فيعين ذا الحاجة الملهوف**"[٦].

---

(١) شرح النووي ٧٩/٢.

(٢) عمدة القارئ ١٤/٥.

(٣) انظر: فتح الباري ١٠/٢.

(٤) (**فإن لم يجد**): أي ما يتصدّق به. (فتح الباري ٤٤٨/١٠).

(٥) (**فإن لم يستطع أو لم يفعل**): أي عجزاً أو كسلاً. (فتح الباري ٤٤٨/١٠).

(٦) (**فيعين ذا الحاجة الملهوف**): أي بالفعل أو بالقول أو بهما. (المرجـع السـابق ٤٤٨/١٠)؛ والملـهوف: المستغيث، وهو أعم من أن يكون مظلوماً أو عاجزاً. (انظر: المرجع السابق ٣٠٨/٣).

قالوا: ''فإن لم يفعل''.

قال: ''**فليأمر بالخير**''، أو قال: ''**بالمعروف**''[١].

قالوا: ''فإن لم يفعل''.

قال: ''**فليمسك من الشر، فإنه له صدقة**''[٢].

نرى في هذا الحديث أنه ﷺ سئل أربع مرات، فلم يكن منه تضجّر ولا غضب، ولا زجر ولا نهر، بل أجاب السائلين كل مرة. فصلوات ربي وسلامه عليه.

فوائد أخرى في الحديث:

إلى جانب هذا، هناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) ليس في الحديث سؤال الصحابة أربع مرات فحسب، بل فيه كذلك مراجعتهم رسول الله ﷺ فيما أخبرهم به، وتحمّل مراجعة الطلاب ليس بأمر يسير على كثير من المعلمين. قال الحافظ ابن حجر: ''فيه مراجعة العالم في تفسير المجمل وتخصيص العام''[٣].

(ب) تيسيره ﷺ في التعليم والتوجيه، فإنه قد دلّ على أبواب كثيرة للخير، وبيَّن أنّ من لم يقدر على باب منها، ولا فُتِحَ له، فعليه أن ينتقل إلى باب آخر يقدر عليه[٤].

---

(١) (**فليأمر بالخير أو قال: بالمعروف**): هو شك من الراوي. (فتح الباري ٤٤٨/١٠). قال الملا علي القاري في شرح قوله ﷺ: (**فيأمر بالخير**): ''وهو يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالإفادة العلمية والنصيحة العملية''. (مرقاة المفاتيح ٣٩٧/٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، رقم الحديث ٦٠٢٢، ٤٤٧/١٠؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث ٥٥ (١٠٠٨)، ٦٩٩/٢.

(٣) فتح الباري ٣٠٩/٣؛ وانظر: أيضاً: بهجة النفوس ١٤٦/٢.

(٤) انظر: عمدة القارئ ١١٢/٢٢.

قال العلاّمة ابن أبي جمرة: ''في هذا الكلام إشارة إلى أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس منه، فلا يختص بأهل اليسار مثلاً، بل كل واحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال بغير مشقة''[١]. ولا غرابة في ذلك فقد بُعث ﷺ كما أخبر بنفسه معلّماً ميسراً[٢].

٣- السماح بعدة أسئلة لضمام رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ''بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد[٣]، ثم عقله[٤] ثم قال لهم: ''أيكم محمد ﷺ؟'' والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم.

فقلنا: ''هذا الرجل الأبيض[٥] المتكئ''.

فقال له الرجل: ''ابنَ عبد المطلب؟''.

فقال له النبي ﷺ: ''**قد أجبتك**''.

فقال الرجل للنبي ﷺ: ''إنِّي سائلك فمشدِّدٌ عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ[٦] في نفسك''.

فقال: ''**سل عما بدالك**''.

قال: ''أسألك بربك، ورب من قبلك آلله أَرسلك إلى الناس كلهم؟''.

---

(١) نقلاً عن فتح الباري ٤٤٨/١٠.

(٢) انظر الحديث وتخريجه في ص ٢٥٣ من هذا الكتاب.

(٣) (**فأناخه في المسجد**): فيه حذف، والتقدير فأناخه في رحبة المسجد. (عمدة القاري ١٢/٢).

(٤) (**ثم عقله**):بتخفيف القاف أي شدّ على ساق الجمل-بعد أن ثنى ركبته-حبلاً. (فتح الباري ١٥١/١).

(٥) (**الأبيض**): أي المشرَّب بحمرة. (المرجع السابق ١٥١/١).

(٦) (**فلا تجد عليّ**):بكسر الجيم، لا تغضب، يقال:وجد عليه موجدة، في الغضب. (عمدة القارئ ٢٠/٢).

فقال: "**اللهم نعم**".

قال: "أنشدك بالله[١]! آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟".

فقال: "**اللهم نعم**".

قال: "أنشدك بالله! آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟".

فقال النبي ﷺ: "**اللهم نعم**".

فقال الرجل: "آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر رضي الله عنه"[٢].

ومما نجده في الحديث أن ضماماً رضي الله عنه شدَّد في المسألة، واستحلف الصادق المصدوق ﷺ على الخبر، وسأل في مجلس واحد ثلاثة تساؤلات.

وجاء في رواية مسلم أن ضماماً رضي الله عنه سأل تساؤلات أخرى إلى جانب أسئلة الثلاثة السابقة. ومما جاء في تلك الرواية:

قال: "فمن خلق السماء؟".

قال: "الله".

قال: "فمن خلق الأرض؟".

---

(١) (**أنشدك بالله**): بفتح الهمزة، وسكون النون وضم الشين، ومعناه: أسألك بالله. وقال البغوي: أصله من النشيد، وهو رفع الصوت، والمعنى سألتك رافعاً صوتي. (انظر: عمدة القارئ ٢/٢٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، رقم الحديث ٦٣، ١/١٤٩.

قال: ''**الله**''.

قال: ''فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟''.

قال: ''**الله**''.

قال: ''فبالّذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟''.

قال: ''**نعم**''.

قال: ''وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا''.

قال: ''**صدق**''.

قال: ''فبالّذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟''.

قال: ''**نعم**''.

قال: ''وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا''.

قال: ''**صدق**''.

قال: ''فبالّذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟''.

قال: ''**نعم**''.

قال: ''وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا''.

قال: ''**صدق**''.

قال: ''فبالّذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟''.

قال: ''**نعم**''.

قال: ''وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً''.

قال: "**صدق**". الحديث[١].

ونجد في هذه الرواية أنَّ ضماماً ؓ سأل تساؤلات أخرى إلى جانب أسئلته الثلاثة السابقة، فلم يتضجر النبي ﷺ من ذلك، ولم يغضب عليه، بل أجاب على كل تساؤلاته. فصلوات ربي وسلامه. اللهم وفقنا للاقتداء بقدوتنا ﷺ في الإجابة على أسئلة السائلين. آمين ياحيّ ياقيّوم.

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، جزء من رقم الرواية ١٠(١٢)، ١/٤١-٤٢.

-٣٥-
الثناء على السؤال الجيد

لقد كان النبي الكريم ﷺ يحب السؤال الجيد، ويثني عليه، ويدخل السرور على صاحبه. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الثناء على عظيم سؤال معاذ رضي الله عنه:

روى الإمام أبو داود الطيالسي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: ''يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة''.

قال: **''بخ بخ، لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره؛ صلّ الصلاة المكتوبة، وأدّ الزكاة المفروضة''**[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أثنى على عظيم سؤال معاذ رضي الله عنه بقوله: **''بخ بخ، لقد سألت عن عظيم''**. وكلمة [بخ] -كما قال العلاّمة إسماعيل الجوهري- تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرّر للمبالغة فيقال: بخ بخ[(٢)].

٢- الثناء على أبي هريرة رضي الله عنه بسبب سؤاله:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ''يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟''.

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي، أحاديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، جزء من رقم الحديث ٥٦١، ١/٤٥٥-٤٥٦. وقال عنه الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي: ''فالحديث بمجموع طرقه حسن''. (هامش المسند ١/٤٥٧).

(٢) انظر: الصحاح، باب الخاء، فصل الباء، مادة [بخ]، ١/٤١٨.

قال رسول الله ﷺ: ''**لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: ''لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**[1]''[2].

قال الإمام ابن أبي جمرة: ''في هذا دليل على أن من السنة إدخال السرور على السائل قبل ردّ الجواب عليه، لأنه عليه السلام قدّم قوله: ''**لقد ظننت**''، على ردّ الجواب عليه.

والسر الذي في هذا الإخبار من إدخال السرور، وهو أنه لا يتأتى ما أخبر به حتى يكون كما قال: ''**لما رأيت من حرصك على الحديث**''.

ولا يظهر له عليه السلام منه الحرصُ على الحديث إلا إذا كان يلتفت إليه على الدوام، ويراعي أقواله وأفعاله، والتفاته عليه السلام لحظة واحدة للشخص كان عند الصحابة أعظم ما يكون من السرور، فكيف بها في مرور الأيام والليالي''[3].

وبيّن الإمام رحمه الله تعالى أن النبي الكريم ﷺ أدخل السرور على تلميذه من وجهين آخرين كذلك: وأولهما أنه ﷺ بيّن له سبب ظنه أن أبا هريرة رضي الله عنه سيكون أول من يسأل عن هذا، وهو حرص أبي هريرة رضي الله عنه على الحديث. وما أجلّه من سبب! وما أعظمه من شرف! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. اللهم ارزقنا منه برحمتك، إنك سميع مجيب.

---

(١) (**من قلبه أو نفسه**): شك من راوي وفي رواية أخرى في كتاب الرقاق في صحيح البخاري: ''**خالصاً من قبل نفسه**''. من غير شك. (انظر: فتح الباري ١/١٩٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم الحديث ٩٩، ١/١٩٣.

(٣) بهجة النفوس ١/١٣٣.

وثانيهما: نداؤه ﷺ باسمه قبل ردّ الجواب عليه. ولا يخفى ما يجده المتعلم من سرور وفرح عند نداء المعلم إياه باسمه، فكيف إذا كان من حبيب رب العالمين صلوات ربي وسلامه عليه[١][٢].

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) تفرسه ﷺ في طلابه. قال الإمام ابن بطال: في الحديث أنّ للعالم أن يتفرّس في متعلّميه، فينظر في كل واحد مقدار تقدّمه في فهمه[٣]''.

(ب) إخباره ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه بما فيه من الحرص على الحديث. قال العلاّمة العيني مبيِّناً فوائد الحديث: ''فيه تفرس العالم في متعلمه، وتنبيهه على ذلك لكونه أبعث على اجتهاده في العلم''[٤].

(ج) سكوته ﷺ عن هذا الحديث حتى سأله أبو هريرة رضي الله عنه. وفيه هذا الصدد قال العلاّمة العيني: ''فيه سكوت العالم عن العلم إذا لم يسأل حتى يسأل، ولا يكون ذلك كتماً لأنّ على الطالب السؤال اللهم إذا تعين عليه فليس له السكوت إلا إذا تعذر''[٥].

(د) تقديمه ﷺ الأولى في حق السائل وإن لم يسأل عنه. قال الإمام ابن أبي حمزة في هذا الصدد: ''فيه دليل على تقديم الأولى في حق السائل، وإن كان لم يسأل

---

(١) انظر: بهجة النفوس ١/١٣٣، ١٣٤.

(٢) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب في ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٣) نقلاً عن الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ٢/٩٥.

(٤) عمدة القاري ٢/١٢٨.

(٥) المرجع السابق ٢/١٢٨.

عنه، لأنه عليه السلام عدل عن الجواب الذي هو عام للسائل وغيره، وذكر قبله ما هو الأولى في حقه، وما يُسرّ به[١].

٣- الثناء على أعرابي بسب عظمة سؤاله:

روى الإمامان البخاري والبيهقي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:''جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال:''علِّمني عملاً يدخلني الجنة''.

قال:''لئن كنت أقصر الخطبة، لقد أعرضت المسألة[٢]. أعتق النَسَمة[٣] وفُكَّ[٤] الرقبة[٥]''.

قال:'' أو ليسا واحداً؟''[٦].

قال:''لا، عتقُ النسمة أن تفرَّد بعتقها، وفكُّ الرقبة: أن تعين في ثمنها[٧]،

---

(١) بهجة النفوس ١/١٣٤.

(٢) (**لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضتَ المسألة**): اللام الأولى موطئة للقسم، ومعنى الشرطية أنك إن أقصرت في العبارة بأن جئت بعبارة قصيرة، فقد أطنبت في الطلب حيث مِلتَ إلى مرتبة كبيرة، أو سألت عن أمر ذي طول وعرض إشارةً إلى قوله تعالى جلّ شأنه: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾. (مرقاة المفاتيح ٦/٥٥٠).

(٣) (**أعتق النَسَمة**): بفتحتين، وهي الروح أو النفس، أي أعتق ذا نَسَمة. (المرجع السابق ٦/٥٥٠).

(٤) (**فُكَّ**): بضم الفاء، وفتح الكاف، ويجوز كسره أي وأخلص. (المرجع السابق ٦/٥٥٠).

(٥) (**الرقبة**): أي عن العبودية. (المرجع السابق ٦/٥٥٠).

(٦) (**أو ليسا واحداً**): أي الإعتاق والفك واحداً في المعنى. (انظر: المرجع السابق ٦/٥٥٠).

(٧) (**عتق النسمة ... وفك الرقبة ... ثمنها**): ووجه الفرق المذكور أن العتق إزالة الرق، وذلك لا يكون إلا من المالك الذي يعتق، وأما الفك فهو السعي في التخليص، فيكون من غيره كمن أدى النجم عن المكاتب، أو أعانه فيه. (شرح الطيبي ٨/٢٤٢٦).

والمنحة[١] الوكوف[٢] والفيء[٣] على ذي الرحم الظالم[٤].

فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن[٥]، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر. فإن لم تطق ذلك فكفّ[٦] لسانك إلا من خير[٧]''.

ففي هذا الحديث أثنى ﷺ على حسن سؤال الأعرابي بقوله: **''لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة''.**

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) سماحه ﷺ للأعرابي بالمراجعة والمناقشة لما استشكله. فقد قال: ''أو ليسا واحداً؟'' يعني عتق النَسَمة وفك الرقة. فلم يتضجّر ﷺ من ذلك، بل بيّن الفرق بينهما، وأزال الإشكال. فصلوات ربي وسلامه عليه.

---

(١) (**المنحة**):العطية في الأصل، وغلبت في لبون منْ ناقة أو شاة يعطيها صاحبها بعض المحاويج، لينتفع بلبنها ما دامت تدر. (شرح الطيبي ٨/٢٤٢٦).

(٢) (**الوكوف**): الغزيرة الدر من''وكف البيت وكفاً ووكيفا ووكافاً''إذا قطر. (المرجع السابق ٨/٢٤٢٦).

(٣) (**الفيء**): بالهمز في آخره أي التعطف والرجوع بالبر. (مرقاة المفاتيح ٦/٥٥١).

(٤) (**الظالم**): أي عليك بقطع الصلة وغيره. (المرجع السابق ٦/٥٥١).

(٥) (**الظمآن**): أي العطشان. (المرجع السابق ٦/٥٥١).

(٦) (**فكفّ**): بضم الكاف وفتح الفاء المشددة، ويجوز ضمه وكسره أي: فامنع لسانك. (المرجع السابق ٦/٥٥١).

(٧) مشكاة المصابيح، كتاب العتق، الفصل الثاني، رقم الحديث ٣٣٨٤ (٣)، ٢/١٠١٠-١٠١١. وانظر أيضاً: الأدب المفرد، باب فضل من يصل ذا الرحم الظالم، رقم الحديث ٦٩، ص ٤٠؛ والسنن الكبرى، كتاب العتق، باب فضل إعتاق النسمة وفك الرقبة، رقم الحديث ٢١٣١٣، ١٠/٤٦١؛ إلا أنه ليس في الأدب المفرد:''**فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسْق الظمآن**''. وصحّحه الشيخ الألباني إسناده. (انظر: هامش مشكاة المصابيح ٢/١٠١١؛ وصحيح الأدب المفرد ٤٢-٤٣).

(ب) تيسيره ﷺ في التعليم والتوجيه. فقد بيَّن للسائل ما يدخله الجنة من الأعمال من: **عتق النَسَمة** ... إلخ. ثم قال ﷺ: "**فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع...إلخ**". و لم يقف عند ذلك بل قال: "**فإن لم تطق ذلك فكُفَّ لسانك إلا من خير**". فصلوات ربي وسلامه عليه. ولا غرابة في ذلك فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٤- الثناء على أعرابي آخر بسبب سؤاله:

روى الإمام مسلم عن أبي أيوب ﷺ قال: "إنّ أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو زمامه، ثم قال: "يا رسول الله! أو يا محمد ﷺ! أخبرني بما يقرّبني من الجنة وما يباعدني من النار".

قال: فكفّ النبي ﷺ، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: "**لقد وُفّق أو لقد هُدِي**"، قال: "**كيف قلت؟**".

قال: "فأعاد".

فقال النبي ﷺ: "**تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**[1]**. دع الناقة**"[2].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ استحسن سؤال الأعرابي حيث قال: "**لقد وُفّق أو هُدِي**".

---

(١) (**وتصل الرحم**): أي تحسن إلى أقاربك ذوي رحمك بما تيسر على حسب حالك، وحالهم من إنفاق، أو سلام، أو زيارة، أو طاعتهم، أو غير ذلك. (شرح النووي ١/١٧٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، رقم الحديث ١٢ (١٣)، ١/٤٢-٤٣.

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) قيامه ﷺ بالتعليم في السفر، وهو راكب على دابته[١].

(ب) حلمه ﷺ وتواضعه[٢] حيث لم يزجر الأعرابي الذي أخذ بخطام ناقته، بل توقّف له، ثم أبدى انتباهه لسؤاله، ثم ردّ على سؤاله، ثم طلب منه ترك ناقته، فصلوات ربي وسلامه عليه.

(ج) اهتمامه ﷺ بجذب عناية الحاضرين كي تعمّ الفائدة. ويتجلّى ذلك في نظره إلى أصحابه، ثم في إخباره إياهم برضاه عن السؤال، ثم في طلبه الأعرابي بإعادة سؤاله.

فخلاصة الكلام أن النبي الكريم ﷺ كان يرضى بالسؤال الجيد ويثني على صاحبه.

* * *

(١) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٧ إلى ص ٢١.

(٢) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٩٠ إلى ص ١٩٤.

-٣٦-
الإجابة على سبيل التشبيه والمقايسة

قد ثبت في سيرة المصطفى الكريم ﷺ أنه لم يكن يذكر الإجابة أحياناً للسائل مباشرة، بل كان يجيبه على سبيل التشبيه، والمقايسة. ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من أثر كبير في إقناع السائل. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- استفسار السائل عن مكان النار عن مكان النهار ليلاً:

روى الإمامان ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: "يا محمد ﷺ! أرأيت جنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟".

قال: "**أرأيت الليل الذي قد ألبس كل شيء فأين جعل النهار؟**".

قال: "الله أعلم".

قال: "**كذلك الله يفعل ما يشاء**"[1].

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، رقم الحديث ١٠٣، ٣٠٦/١؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، جواب من سأل عن النار، ٣٦/١؛ واللفظ له. وقال عنه الإمام الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة". (المرجع السابق ٣٦/١)؛ ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ٣٦/١). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط عن إسناد رواية ابن حبان: "إسناده صحيح على شرط مسلم". (هامش الإحسان ٣٠٧/١). وذكر الحافظ الهيثمي رواية البزار نحوه، وقال: "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح". (مجمع الزوائد ٢٢٧/٦).

وهي في رواية ابن حبان: فقال النبي ﷺ: ''**أرأيت هذا الليل قد كان، ثم ليس شيءٌ، أين جُعل؟**''.

قال: ''الله أعلم''.

قال: ''**فإن الله يفعل ما يشاء**''[1].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لم يجب على سؤال السائل مباشرة، بل أحاله إلى أمر قد كان يعرف الإجابة عنه، فشبَّه بما سُئِلَ عنه بما كان يعرفه السائل. وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر الخبر الدال على إباحة إجابة العالِم السائل بالأجوبة على سبيل التشبيه والمقايَسة دون الفصل في القصة][2].

٢- حل الإشكال لاختلاف لون الولد عن الوالِدَين بضرب المثل بالإبل:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ، فقال: ''إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وإني أنكرته''[3].

فقال له رسول الله ﷺ: ''**هل لك من إبل؟**''.

قال: ''نعم''.

قال: ''**فما ألوانها؟**''.

قال: ''حُمرٌ''.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ١/٣٠٦-٣٠٧.

(٢) المرجع السابق ١/٣٠٦.

(٣) (**إن امرأتي ولدت غلاماً أسود وإني أنكرته**): أي لسواد الولد مخالفاً لِلَون أبويه، وأراد نفيه عنه. (مرقاة المفاتيح ٦/٤٦٧-٤٦٨).

قال: ''**هل فيهن من أورَق**[١]''.

قال: ''إن فيها لوُرْقا[٢]''.

قال: ''**فأنى تُرى**[٣] **ذلك جاءه؟**''.

قال: يا رسول الله! عرق نزعها[٤]''.

قال: ''**ولعل هذا عرق نزعه**''.

و لم يرخص له في الانتفاء منه''[٥].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ شبَّه للأعرابي ما أنكر من لون الغلام بما كان يعرفه في نتاج الإبل. فقد كان الأعرابي يعرف أن الإبل الحمر قد تنتج الأغبر، فبيَّن ﷺ له أن المرأة البيضاء كذلك قد تلد الأسود. وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

[باب من شبَّه أصلاً معلوماً بأصل مبيَّن، وقد بيّن النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل][٦].

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه: ''إن الذي ورد عنه ﷺ من التمثيل إنما هو تشبيه أصل بأصل، والمشبَّه أخفى عند السائل من المشبَّه به، وفائدة التشبيه التقريب لفهم السائل، وأورده النسائي بلفظ:

---

(١) (أورق): أي أسمر، وهو ما فيه بياض إلى السواد يشبه لون الرماد. (مرقاة المفاتيح ٤٦٨/٦).

(٢) (وُرْقا): بضم الواو وسكون الراء، جمع أورق، وعدل عنه إلى جمعه مبالغة في وجوده. (انظر: المرجع السابق ٤٦٨/٦).

(٣) (فأنى تُرى): بضم التاء أي فمن أين تظن. (انظر: المرجع السابق ٤٦٨/٦).

(٤) (نزعها): أي قلعها وأخرجها من ألوان فحلها ولقاحها. (المرجع السابق ٤٦٨/٦).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم الحديث ٧٣١٤، ٢٩٦/١٣.

(٦) المرجع السابق ٢٩٦/١٣.

[من شبَّه أصلاً معلوماً بأصل مبهم، قد بيّن الله حكمهما للسائل]. وهذا أوضح في المراد''[١].

فوائد أخرى في الحديث:

ومن الفوائد الأخرى الموجودة في هذا الحديث ما يلي:

(أ) استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام، حيث سأل ﷺ الأعرابي أربعة تساؤلات قبل إعطائه الجواب النهائي لإشكاله[٢].

(ب) مراعاته ﷺ حال الأعرابي عند ضرب المثل له، فقد أورد المثل المتعلق بالإبل، ولا يحتاج ارتباط الأعراب بالإبل إلى بيان[٣].

٣- الإجابة بتشبيه النذر بالحج بالدين:

روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ امرأة جاءت إلى النبيﷺ فقالت: ''إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحجّ عنها؟''.

قال: ''**نعم، حُجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمكِ دين أكنتِ قاضيتَه؟**''.

قالت: ''نعم''.

قال: ''**فاقضوا الذي له، فإن الله أحق بالوفاء**''[٤].

---

(١) فتح الباري ١٣/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

(٣) انظر شواهد أخرى كذلك في هذا الكتاب من ص ٢٢٢ إلى ص ٢٣٢؛ وفي كتابي ''من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين'' من ص ٣٣ إلى ص ١١٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين...، رقم الحديث ٧٣١٥، ١٣/٢٩٦.

ففي هذا الحديث شبَّه ﷺ دين الله للمرأة السائلة عن نذر أمها بالحج بما تعرف غيره من دَيْن العباد، غير أنه قال: ''**فدَيْن الله أحق بالوفاء**''[١].

فائدة أخرى في الحديث:

ومن فوائد الحديث الأخرى أن النبي ﷺ استخدم أسلوب الاستفهام[٢].

٤- الإجابة بتشبيه الصوم الواجب على الميت بالدين:

روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ''جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ''يا رسول الله! إن أمي ماتت، وعليها صوم شهرٍ، أفأقضيه عنها؟''.

فقال: ''**لو كان على أمك دين أكنت قاضيَه عنها؟**''.

قال: ''نعم''.

قال: ''**فدين الله أحق أن يُقضى**''[٣].

ففي هذا الحديث شبَّه ﷺ الصوم الواجب على المرأة التي ماتت بدين، وذلك قبل الإجابة عن السؤال.هذا بلا شك يساعد بفضل الله تعالى على اقتناع السائل أكثر.

فائدة أخرى في الحديث:

وإلى جانب هذا، استخدم ﷺ أسلوب الاستفهام[٤].

فخلاصة الكلام أن النبي الكريم ﷺ كان يجيب أحياناً على سبيل التشبيه والمقايسة.

* * *

(١) انظر: عمدة القاري ٥٠/٢٥.

(٢) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت، رقم الحديث ١٥٥ (١١٤٨) ٨٠٤/٢.

(٤) انظر التفصيل عن هذا الموضوع في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

-٣٧-
الإجابة بأكثر مما يُسأل

ومما نراه في سيرة النبي ﷺ أنه كان أحياناً يجيب السائل بأكثر مما سأله، وذلك إذا وجد أن السائل في حاجة إلى معرفة ذلك. وهذا، بلاشك، يدل على كمال نصحه وعلمه وإرشاده[١] ﷺ. ومن شواهد ذلك:

١- إخبار السائل عن الوضوء بماء البحر بحلّ ميتته:

روى الأئمة أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: "سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله! إنا نركب البحر[٢]، ونحمل معنا القليل من الماء[٣]، فإن توضأنا عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟".

فقال رسول الله ﷺ: "**هو[٤] الطهور[٥] ماؤه، والحل ميتته**"[٦].

---

(١) انظر: إعلام الموقعين ١٥٨/٤.

(٢) (**نركب البحر**): أي مراكب من السفن. (مرقاة المفاتيح ١٨٠/٢).

(٣) (**القليل من الماء**): أي ماء الحلو. (المرجع السابق ١٨٠/٢).

(٤) (**هو**): البحر. (المرجع السابق ١٨٠/٢).

(٥) (**الطهور**): المطهر. (المرجع السابق ١٨٠/٢).

(٦) المسند ٣٦١/٢ (ط: المكتب الإسلامي)؛ وسنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، رقم الحديث ٨٣، ١٠٦/١؛ واللفظ له؛ وجامع الترمذي، أبواب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، رقم الحديث ٦٩، ١٨٧/١-١٨٨؛ وسنن النسائي، كتاب المياه، الوضوء بماء البحر، ١٧٦/١؛ وسنن ابن ماجة، أبواب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، رقم الحديث ٤٠٠، ٧٦/١. وقال عنه الإمام الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". (جامع الترمذي ١٩٢/١). وصحّحه أيضاً الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١٩/١).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ سئل عن الوضوء بماء البحر، فلم يقتصر على الإجابة عن هذا فحسب، بل بيّن كذلك حكم ميتة البحر نظراً إلى حاجة السائل إلى معرفة ذلك. وفي هذا الصدد قال الإمام الرافعي: ''لما عرف اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته، وقد يبتلى بها راكب البحر، فعقب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة''[(١)].

وقال الملاّ علي القاري: ''لما سئل النبي ﷺ عن ماء البحر، وعلم جهلهم بحكم مائه قاس جهلهم بحكم صيده مع عموم قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾، فزاد في الجواب إرشاداً وهداية، كما هو حال الحكيم العارف بالداء والدواء، فقال: ''**الحل ميتته**''[(٢)].

وقال الإمام ابن العربي: ''وذلك من محاسن الفتوى أن يجاء في الجواب بأكثر مما سئل عنه تتميماً للفائدة، وإفادة لعلم غير المسؤول عنه''[(٣)].

وعلّق على هذا العلاّمة الأمير الصنعاني قائلاً: ويتأكد ذلك عند ظهور الحاجة إلى الحكم كما هنا، لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم بحل ميتته مع تقدّم تحريم الميتة أشد توقفاً[(٤)].

---

(١) نقلاً عن سبل السلام شرح بلوغ المرام ١٦/١.

(٢) مرقاة المفاتيح ١٨١/٢.

(٣) نقلاً عن سبل السلام ١٦/١؛ وانظر أيضاً: عون المعبود ١٠٧/١.

(٤) سبل السلام ١٦/١.

٢- تعليم مسيء الصلاة كيفية الوضوء والصلاة:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً دخل المسجد يصلي، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد، فسلّم عليه، فقال له: ''**ارجع فصلّ فإنّك لم تصلّ**''.

فرجع فصلى، ثم سلّم، فقال: ''**وعليك، ارجع فصل فإنك لم تصل**''.

قال في الثالثة: ''فأعلمني''.

قال: ''**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبّر، واقرأ بما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**''[(١)].

وفي رواية عند الإمام أبي داود: ''فقال رسول الله ﷺ: ''**إنها لا تتمّ صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله عز وجل ويحمده...**''[(٢)] الحديث.

ومما نجده في هذه القصة أن الرجل سأل النبي ﷺ أن يعلّمه الصلاة، فلم يقتصر ﷺ على تعليمه الصلاة، بل علّمه كذلك الوضوء نظراً لحاجة السائل إلى ذلك. وفي هذا الصدد قال الإمام النووي: وإن المفتي إذا سئل عن شيء، وكان هناك شيء آخر يحتاج إليه السائل يستحب له أن يذكره له، وإن لم يسأله عنه، ويكون من باب

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، رقم الحديث ٦٦٦٧، ١١/٥٤٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، جزء من رقم الحديث ٨٥٣، ٣/٧٠. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١/١٦١).

النصيحة، لا من الكلام فيما لا معنى له. وموضع الدلالة منه كونه قال: "عَلِّمني"، أي الصلاة، فعلّمه الصلاة ومقدماتها[1].

فائدة أخرى في الحديث:

ومما نستفيد من القصة كذلك -كما قال الحافظ ابن حجر-: حسن التعليم من غير تعنيف[2].

٣- إخبار السائل عن الصلاة قاعداً بها قاعداً ونائماً:

روى الإمام البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه -وكان مبسوراً[3]- قال: "سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعداً، فقال: "**إن صلّى قائماً فهو أفضل، ومن صلّى قاعداً فله نصف أجر القائم، ومن صلّى نائماً[4] فله نصف أجر القاعد**""[5].

ومما نجده في الحديث أنّ عمران بن حصين رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن صلاة الرجل قاعداً، فلم يقتصر ﷺ على الإجابة عن هذا، بل أخبر كذلك عن الصلاة مضطجعاً، وإن كان عمران رضي الله عنه لم يسأل عنها نظراً إلى حاجته إلى معرفة ذلك.

---

(١) نقلاً عن فتح الباري ٢/٢٨١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/٢٨٠.

(٣) (**وكان مبسوراً**): أي كانت به بواسير. (المرجع السابق ٢/٥٨٥).

(٤) (**ومن صلى نائماً**): أي مضطجعاً. (المرجع السابق ٢/٥٨٦).

(٥) صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة باب صلاة القاعد، رقم الحديث ١١١٥، ٢/٥٨٤.

٤- إجابته ﷺ معاذاً ﷺ بأكثر مما سأل:

روى الإمامان الترمذي وابن ماجة عن معاذ بن جبل ﷺ قال: ''كنت مع النبي ﷺ في سفر[١]، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: ''يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار''.

قال: **''لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه: تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت''.**

ثم قال: **''ألا أدلك على أبواب الخير[٢]؟ الصوم جنة[٣]، والصدقة تطفئ الخطيئة[٤] كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل''.**

قال: ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ...حتى بلغ...يَعْمَلُونَ﴾[٥].

ثم قال: **''ألا أخبركم برأس الأمر[٦] كله، وعموده[٧]، وذروة[٨] سنامه[٩]؟''.**

---

(١) وفي رواية: قال: ''بينما نحن نخرج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وقد أصابنا الحر، فتفرق القوم، فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني، فدنوت منه، وقلت: (نقلاً عن تحفة الأحوذي ٧/٣٠٣-٣٠٤).

(٢) **(أبواب الخير)**: أي الطرق الموصلة له. (المرجع السابق ٧/٣٠٤).

(٣) **(جنة)**: بضم الجيم الترس أي مانع من النار أو من المعاصي بكسر الشهوة وضعف القوة. (المرجع السابق ٧/٣٠٤).

(٤) **(تطفئ الخطيئة)**: من الإطفاء أي تذهبها وتمحو أثرها. (المرجع السابق ٧/٣٠٤).

(٥) سورة السجدة/ الآيتان ١٦-١٧.

(٦) **(برأس الأمر)**: أي بأصل كل أمر. (تحفة الأحوذي ٧/٣٠٤).

(٧) **(عموده)**: بفتح أوله أي ما يقوم ويعتمد عليه. (المرجع السابق ٧/٣٠٤).

(٨) **(ذروة)**: بكسر الذال وهو الأشهر، وبضمها، وحكى فتحها، أعلى الشيء. (المرجع السابق ٧/٣٠٤).

(٩) **(سنامه)**: السنام بالفتح: ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه. (المرجع السابق ٧/٣٠٥).

قلت:''بلى، يا رسول الله!- ﷺ-''.

قال:''**رأس الأمر**[١] **الإسلام**[٢]**، وعموده الصلاة، وذِروة سنامه الجهاد**''.

ثمَ قال:'' **ألا أخبرك بملاك**[٣] **ذلك كله؟**''.

قلت:''بلى يا رسول الله!''.

قال:''فأخذ بلسانه، قال: **كُفَّ**[٤] **عليك هذا**''[٥].

فقلت:''يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟''.

فقال:''**ثكلتك**[٦] **أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوهم أو على مناخرهم**[٧] **إلا حصائد ألسنتهم؟**[٨]''[٩].

---

(١) (**رأس الأمر**): أي أمر الدين. (تحفة الأحوذي ٣٠٥/٧).

(٢) (**الإسلام**): يعني الشهادتين. (المرجع السابق ٣٠٥/٧).

(٣) (**بملاك**): الملاك ما به إحكام الشيء وتقويته من ملك العجين إذا أحسن عجنه، وبالغ فيه، وأهل اللغة يكسرون الميم، ويفتحونها، والرواية بالكسر. (المرجع السابق ٣٠٥/٧).

(٤) (**كُفّ**): الرواية بفتح الفاء المشدّدة أي: امنع. (المرجع السابق ٣٠٥/٧).

(٥) (**كُفَّ عليك هذا**): أي: لا تتكلم بما لا يعنيك، فإن من كثر كلامه كثر سقطه،ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ولكثرة الكلام مفاسد لا تُحصى. (المرجع السابق ٣٠٥/٧).

(٦) (**ثَكِلتك**): بكسر الكاف أي فقدتك، وهو دعاء عليه بالموت على ظاهره، ولا يُراد وقوعه، بل هو تأديب وتنبيه من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر. (المرجع السابق ٣٠٥/٧).

(٧) (**على وجوههم أو على مناخرهم**): شك من الراوي، والمنخر بفتح الميم وكسر الخاء وفتحها، ثقب الأنف. (المرجع السابق ٣٠٥/٧-٣٠٦).

(٨) (**إلا حصائد ألسنتهم**): محصوداتها. (المرجع السابق ٣٠٦/٧).

(٩) جامع الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمه الصلاة، رقم الحديث ٢٧٤٩، ٣٠٥/٧-٣٠٦؛ واللفظ له ؛ وسنن ابن ماجة، أبواب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم الحديث ٤٠٢١، ٣٧٣/٢.-

ومما نجده في الحديث أنّه ﷺ لم يقف عند إجابة سؤال معاذ رضي الله عنه بالإخبار عن عمل يدخله الجنة، ويباعده من النار، بل دلّه كذلك على أبواب الخير، وأخبره عن رأس أمر الدِّين، وعموده، وذروة سنامه. وأفاده كذلك بملاك ذلك كله[١].

فوائد أخرى في الحديث:

وإلى جانب ذلك هناك فوائد أخرى تتعلق بسيرة النبي الكريم ﷺ معلماً. ومنها ما يلي:

(أ) التعليم في السفر حيث كان سؤال معاذ رضي الله عنه، والإجابة عليه في أثناء السفر[٢].

(ب) الثناء على السؤال الحسن حيث قال ﷺ تعليقاً على سؤال معاذ رضي الله عنه: ''**لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه**''[٣].

(ج) جذبه ﷺ عناية معاذ رضي الله عنه، وذلك بقوله: ''**ألا أدلك على أبواب الخير؟**'' وبقوله: ''**ألا أخبرك برأس الأمر كله، وعموده، وذروة سنامه؟**'' وبقوله: ''**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**'' وكل ذلك كان قبل إخباره عن تلك الأمور.

-وقال عنه الإمام الترمذي: ''هذا حديث حسن صحيح''. (جامع الترمذي ٣٠٦/٧)؛ وقال عنه العلامة المباركفوري: ''وأخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة''. (تحفة الأحوذي ٣٠٦/٧)؛ وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٣٢٩/٢؛ وصحيح سنن ابن ماجة ٣٥٩/٢).

(١) ومن الشواهد الأخرى لذلك أنه ﷺ سئل عما يلبسه المحرم، فلم يقتصر على إجابة هذا السؤال فحسب، بل بيَّنَ معه حكم من لم يجد النعلين. (انظر: تخريج الحديث والتعليق عليه في كتابي: ''الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين'' ص ٣٦-٣٧).

(٢) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٧ إلى ص ٢١.

(٣) انظر: تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٤١ إلى ص ١٤٧.

(د) تشبيهه ﷺ الصومَ بالجُنَّة، وإطفاءَ الصدقةِ الخطيئة بإطفاء الماء النارَ، والإسلامَ يعني الشهادتين بأصل كل أمر، والصلاةَ بالعمود، والجهادَ بذورة سنام الجمل، وكلامَ الإنسان بالزرع المحصود.

قال العلاّمة المباركفوري عن التشبيه الأخير: شبّه (النبي ﷺ) ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل، وهو من بلاغة النبوة، فكما أن المنجل يقطع، ولا يميز بين الرطب واليابس، والجيد والرديء، فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام حسناً وقبيحاً''[1].

(هـ) استخدام أسلوب الإشارة حيث أخذ النبي ﷺ بلسانه، وأشار إليه بقوله:''**هذا**''. قال العلاّمة المباركفوري:''وإيراد اسم الإشارة لمزيد التعيين أو للتحقير، وهو مفعول [كُفَّ]، وإنما أخذ عليه الصلاة والسلام بلسانه وأشار إليه من غير اكتفاء بالقول، تنبيهاً على أن أمر اللسان صعب''[2].

* * *

(١) تحفة الأحوذي ٣٠٦/٧. وانظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٩٤ إلى ص ٩٩.

(٢) تحفة الأحوذي ٣٠٧/٧. وانظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٨٥ إلى ص ٨٨.

-٣٨-

السكوت عما لا يعلم

إن نبينا الكريم ﷺ هو أفضل الخَلق وأشرفهم وأكرمهم وأجلهم وأعلمهم، ولكن مع ذلك كله، كان إذا سُئِل عن شيء لم يكن يعلمه، كان يسكت أو كان يقول: "**لا أدري**". ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- السكوت عن سؤال اليهود عن الروح:

روى الإمام البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال: "بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب[١] إذ مرّ باليهود، فقال بعضهم لبعض "سلوه عن الروح". فقال: "**ما رابكم إليه**"[٢].

وقال بعضهم: "لا يستقبلكم بشيء تكرهونه".

فقالوا: "سلوه".

فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يردّ عليهم شيئاً فعلمتُ أنه يوحى إليه، فقمتُ مقامي[٣].

---

(١) (**عسيب**): أي عصا من جريد النخل. (فتح الباري ١/٢٢٤).

(٢) (**ما رابكم إليه**): بصيغة الفعل الماضي من الريب، ويقال فيه: رابه كذا، وأرابه كذا بمعنى، وقال أبو زيد: رابه إذا علم منه الريب، وأرابه إذ ظن ذلك به. (انظر: المرجع السابق ٨/٤٠١-٤٠٢).

(٣) (**فقمت مقامي**): وفي رواية: فتأخرت عنه، أي أدباً معه لئلا يتشوش بقربي منه. (انظر: المرجع السابق ٨/٤٠٣).

فلما نزل الوحي قال:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(١)''(٢).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لما سُئِلَ عن الروح، أمسك عن الجواب، فلم يرد على اليهود شيئاً. وفي رواية:''فسكت''(٣).

٢- ''لا أدري'' عن السؤال عن شر البلدان:

روى الأئمة أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أي البلدان شر؟''.

قال:''**لا أدري**''.

فلما أتاه جبريل قال:''**يا جبريل! أي البلدان شر؟**''.

قال:''لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل''.

قال: فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم جاء فقال: ''يامحمدﷺ-! إنّك سألتني أي البلدان شرّ، فقلت:''لا أدري''، وإني سألت ربي عز وجل أي البلدان شر، فقال:''أسواقها''(٤).

---

(١) سورة الإسراء/ الآية ٨٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، رقم الحديث ٤٧٢١، ٤٠١/٨.

(٣) المرجع السابق، كتاب العلم، باب قول الله تعالى:﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، جزء من الرواية ١٢٥، ٢٢٣/١.

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البيوع، باب ما جاء في الأسواق، ٧٦/٤. وقال عنه الحافظ الهيثمي: ''رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني هكذا''. ثم نقل رواية البزار، ثم قال:''ورجال أحمد وأبي يعلى والبزار رجال الصحيح خلا عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو حسن الحديث، وفيه كلام''. (المرجع السابق ٧٦/٤). وانظر أيضاً: المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، ٨٩/١-٩٠. وانظر كذلك: =

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لم يتردّد في إظهار عدم معرفته عمّا سئل عنـــه، وهذا على خلاف بعض الجهلة من المدرسين الذين يتظاهرون بعلم ما لا يعلمـــون. لا جعلنا الله تعالى منهم، وجعلنا جميعاً على صراط نبينا الكريم صلـــوات ربي وســـلامه عليه. إنه جواد كريم.

٣- السكوت عن الداخل في العمرة في جبة مطيَّبة:

روى الإمام مسلم عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه قال: "كنا مع رســـول الله ﷺ، فأتاه رجل عليه جبة بها أثر منْ خلوق[١]، فقال: "يا رسول الله! إني أحرمـــت بعمرة، فكيف أفعل؟"

فسكت عنه، فلم يرجع إليه[٢].

وكان عمر رضي الله عنه يستره إذا أنزل عليه الوحي، يظلّه. فقلت لعمـــــر رضي الله عنه: "إني أحب إذا أُنزل عليه الوحي أن أدخل رأسي معه في الثواب".

فلما أُنزل عليه الوحي خمّره[٣] عمر رضي الله عنه بالثوب.

فجئتُه، فأدخلتُ رأسي معه في الثوب، فنظرت إليه.

فلما سُرِّي[٤] عنه قال: "**أين السائل آنفاً عن العمرة؟**".

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب المساجد، ذكر البيان بأن خير البقاع في الدنيا المساجد، رقم الحديث ١٥٩٩، ٤٧٦/٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ وفتح الباري ٢٩٠/١٣.

(١) (**خلوق**): بفتح الخاء، وهو نوع من الطيب، يعمل فيه زعفران. (شرح النووي ٧٦/٨-٧٧).

(٢) (**فسكت عنه فلم يرجع إليه**): أي لم يردّ جوابه. (المرجع السابق ٨٠/٨).

(٣) (**خمّره**): أي غطّاه. (المرجع السابق ٨٠/٨).

(٤) (**فلما سُرِّي عنه**): هو بضم السين وكسر الراء المشددة، أي أزيل ما به وكشف عنه. والله أعلم. (المرجـــع السابق ٧٧/٨).

فقام إليه الرجل، فقال: ''**انزع عنك جبتك، واغسل أثر الخلوق الذي بـك، وافعل في عمرتك ما كنت فاعلاً في حجك**''[١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لم يردّ الجواب، بل سكت، حتى أُخبِرَ بـالوحي عن الجواب، فاستدعى السائل، فأجاب على سؤاله. قال الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث: ''وفي هذا الحديث دليل للقاعدة المشهورة أن القاضي أو المفـتي إذا لم يعلـم حكم المسألة أمسك عن جوابها، حتى يعلمه أو يظنه بشرطه''[٢].

٤- السكوت عن سؤال حتى نزلت آية الميراث:

روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنـهما يقـول: ''مرضـتُ، فجاءني رسول الله ﷺ يعودني وأبو بكر ﷺ، وهما ماشيان، فأتـاني، وقـد أُغمـي عليّ[٣]، فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم صبَّ وَضوئه[٤] عليَّ، فأفقتُ، فقلت: ''يا رسـول الله!-وربما قال سفيان[٥]: فقلت: ''أي رسول الله!- كيف أقضي في مـالي؟. كيـف أصنع في مالي؟''.

قال: ''فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث''[٦].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يُباح للمحرم بحج أو عمرة، وما لا يُباح، وبيان تحريم الطيب عليه، رقم الحديث ١٠(١١٨٠)، ٨٣٨/٢..

(٢) شرح النووي ٧٨/٨.

(٣) (**أُغمي عليّ**): أي غشي. (عمدة القاري ٤٧/٢٥).

(٤) (**وَضوءه**): بفتح الواو، وهو الماء الذي يتوضأ به. (المرجع السابق ٤٧/٢٥).

(٥) (**وربما قال سفيان**): هو ابن عيينة الراوي. (المرجع السابق ٤٧/٢٥).

(٦) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم الحديث ٧٣٠٩، ٢٩٠/١٣؛ واللفـظ له؛ وصحيح مسلم،كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، رقم الحديث ٧(١٦١٦)، ١٢٣٥/٣.

ففي هذا الحديث لم يجب ﷺ جابراً رضي الله عنه بشيء حتى نزل عليه الوحي. وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله:

[باب ما كان النبي ﷺ يُسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول: "**لا أدري**" أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا قياس لقوله تعالى: "بما أراك الله"][1].

وقال الحافظ ابن حجر في شرح الترجمة: "أي كان له إذا سُئِلَ عن الشيء الذي لم يوح إليه فيه حالان: إما أن يقول: "**لا أدري**"، وإما أن يسكت، حتى يأتيه بيان ذلك بالوحي، والمراد بالوحي أعم من المتعبَّد بتلاوته ومن غيره"[2].

تنبيه:

هكذا سكت النبي الكريم ﷺ عن سؤال الميراث الذي سألت امرأة سعد بن الربيع رضي الله عنهما، ولم يجب حتى نزلت آية الميراث[3].

* * *

---

(١) صحيح البخاري ١٣/٢٩٠.

(٢) فتح الباري ١٣/٢٩٠.

(٣) انظر: سنن ابن ماجة، أبواب الفرائض، فرائض الصلب، رقم الحديث ٢٧٥٢، ٢/١١٩. وحسنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجة ٢/١١٤؛ وانظر كذلك: المسند، رقم الحديث ١٤٧٩٨، ٢٣/١٠٨ (ط: مؤسسة الرسالة)؛ وسنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب، رقم الحديث ٢٨٨٧، ٨/٦٩؛ وجامع الترمذي، أبواب الفرائض، باب ماجاء في ميراث البنات، رقم الحديث ٢١٧٢، ٦/٢٢٣.

-٣٩-

الغضب على التعنت في السؤال

لقد سبق بيان سماح النبي الكريم ﷺ بالسؤال، واستحسانه السؤال الجيد، وإجابته السائل بأكثر مما سأل، ولكنه كان ﷺ مع ذلك يكره التعنت في السؤال، والتكلف فيما لا يعني، كما كان يكره السؤال الذي يكون سبب مشقة على الأمة، وكان يغضب على مثل هذه الأسئلة. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الغضب على السؤال عن ضالة الإبل:

روى الشيخان عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله رجل عن اللقطة[١]، فقال: ''**اعرف وكاءها**[٢]-أو قال: **وِعاءَ ها وعِفاصَها**[٣]، **ثم عرِّفها سنة، ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فأدِّها إليه**''.

قال: ''فضالة الإبل؟''.

فغضب حتى احمرّت وجنتاه[٤] أو قال: احمرّ وجهه فقال: ''**ومالك ولها؟ معها**

---

(١) **(اللقطة)**: هي بفتح القاف على اللغة المشهورة، واللغة الثانية بإسكانها، والثالثة لُقاطة بضم اللام، والرابعة لَقَط بفتح اللام والقاف. (انظر: شرح النووي ١٢/٢٠)، وهو من الالتقاط، وهو وجود شيء من غير طلب. (عمدة القاري ٢/١٠٨).

(٢) **(وكاءها)**: هو بكسر الواو، ما يربط به. (فتح الباري ١/١٨٧).

(٣) **(وعفاصها)**: بكسر العين، هو الوعاء بكسر الواو. (انظر: المرجع السابق ١/١٨٧).

(٤) **(وجنتاه)**: الوجنة ما ارتفع من الخد، ويقال: ما علا من لحم الخدين. (عمدة القارئ ٢/١٠٩).

سقاؤها[1] وحِذاؤها[2]، ترد الماء وترعى الشجر، فذرها[3] حتى يلقاها ربها''[4].

قال: ''فضالة الغنم؟''.

قال: ''**لك أو لأخيك أو للذئب**''[5].

ومما نراه في الحديث أنه ﷺ غضب على من سأل عن ضالة الإبل. قال الإمام الخطابي: إنما كان غضبه استقصاراً لعلمِ السائل وسوءِ فهمه، إذ لم يراعِ المعنى المشار إليه، ولم يتنبّه له، فقاس الشيء على غير نظيره[6].

٢- الغضب على الإكثار من السؤال عن أشياء كرهها:

روى الشيخان عن أبي موسى ﷺ قال: ''سُئِلَ النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أُكْثِرَ عليه غضب، ثم قال للناس: ''**سَلوني عما شئتم**''.

قال رجل[7]: ''من أبي؟''.

قال: ''**أبوك حذافة**''.

فقام آخر[8]، فقال: ''من أبي يا رسول الله!''.

---

(١) (**سِقاؤها**): بكسر السين، والمراد بذلك أجوافها لأنها تشرب فتكتفي به أياماً. (انظر: فتح الباري ١/١٨٧).

(٢) (**وحذاؤها**): بكسر الحاء، والمراد هنا خفها. (انظر: المرجع السابق ١/١٨٧).

(٣) (**فذرها**): فدعها من يذر. (انظر: عمدة القاري ٢/١٠٩).

(٤) (**ربها**): مالكها. (انظر: المرجع السابق ٢/١٠٩).

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث ٩١، ١/١٨٦؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب اللقطة، رقم الحديث (١٧٢٢)، ٣/١٣٤٦.

(٦) نقلاً عن عمدة القاري ٢/١١٠.

(٧) (**قال رجل**): هو عبد الله بن حذافة ﷺ. (فتح الباري ١/١٨٧).

(٨) (**فقام آخر**): هو سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة. (المرجع السابق ١/١٨٧).

فقال: ''**أبوك سالم مولى شيبة**''.

فلما رأى عمر رضي الله عنه ما في وجهه[(١)]، قال: ''يا رسول الله! إنا نتـــوب إلى الله عز وجل''[(٢)].

وفي رواية أخرى: ''فبرك عمر رضي الله عنه على ركبتيه، فقال: ''رضينا بـــالله ربـــاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً''[(٣)].

هذا، وقد ذكر الإمام البخاري حديثي زيد الجهني وأبي موســـى رضـــي الله عنهما في باب تَرجَمَه بقوله:

[باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره][(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه: ''قصر المصنف رحمه الله الغضـــب علـــى الموعظة والتعليم دون الحكم لان الحاكم مأمور أن لا يقضي وهو غضبان، والفـــرق أن الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان، لأن مقامه يقتضي تكلف الانزعـــاج، لأنه في صورة المنذر، وكذا المُعلّم إذا أنكر على من يتعلّم منه، سوءَ فهمه ونحوَه، لأنـــه قد يكون أدعى للقبول منه''[(٥)].

---

(١) (**رأى ما في وجهه**): أي من الغضب. (فتح الباري ١/١٨٧).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث ٩٢، ١/١٨٧؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث ١٣٨ (٢٣٦٠)، ٤/١٨٣٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدِّث، جـــزء مـــن رقـــم الرواية ٩٣، ١/١٨٨.

(٤) المرجع السابق ١/١٨٦.

(٥) فتح الباري ١/١٨٧؛ وانظر أيضاً: عمدة القاري ٢/١٠٥.

وإنّ الحديث الثاني، وهو حديث أبي موسى رضي الله عنه، قد ذكره الإمام البخاري كذلك في باب آخر ترجم عليه بقوله:

[باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه](١).

وترجم عليه الإمام النووي بقوله:

[باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلّق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك](٢).

٣- الغضب على السؤال بعد النهي عنه:

روى الإمام الحاكم عن مرثد قال: قلت لأبي ذر رضي الله عنه: ''هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر ليلة القدر؟''.

فقال: ''نعم''. قلت: ''يا رسول الله! أخبرني عن ليلة القدر في رمضان أم في غير رمضان؟''.

قال: ''**بل في رمضان**''.

قلت: '' أخبرني يا رسول الله! أهي مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبض الأنبياء رفعت أم هي إلى يوم القيامة؟''.

قال: ''**بل إلى يوم القيامة**''.

قلت: ''يا رسول الله! أخبرني في أيّ رمضان؟''.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ١٣/٢٦٤.

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٣٠.

قال:"**في العشر الأواخر. لا تسألني عن شيء بعدها**".

فقلت:"أقسمت عليك بحقي عليك يا رسول الله! في أي عشر هي؟".

قال:" فغضب عليَّ غضبا شديداً ما غضب علي قبـــل ولا بعــد مثلــه".

قال:"**لو شاء الله لأطلعكم عليها، التمسوها في السبع الأواخر. لا تسألني عن شيء بعدها**"[1].

ومما نجده في الحديث أنّ أبا ذرّ ﷺ سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ثلاثـــة أسئلة، فأجاب ﷺ عليها، ثم نهاه عن السؤال بعدها، ولكن أبا ذر ﷺ لم يمتنع عــــن السؤال، فسأل للمرة الرابعة فغضب ﷺ عليه غضبا شديداً.

٤- النهي عن سؤال يكون سبب مشقة على الأمة:

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قـــال:"خطبنــا رســول الله ﷺ فقال:"**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجُّوا**".

فقال رجل[2]:"أكُلَّ عام يا رسول الله؟".

فسكت، حتى قالها ثلاثاً.

فقال رسول الله ﷺ:"**لو قلت:"نعم"، لوجبت، ولما استطعتم**".

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ)، ٢/٥٣٠-٥٣١. وصحّــح الإمــام الحاكم إسناده. (انظر: المرجع السابق ٢/٥٣١)؛ ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ٢/٥٣١).

(٢) **(فقال رجل)**: هذا الرجل السائل هو الأقرع بن حابس كما جاء مبيّنا في غير هذه الرواية. (شرح النـــووي ٩/١٠١).

ثم قال: ''**ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم**[١]، **واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**''[٢].

قال الحافظ ابن حجر تعليقا في الحديث: ''واستدل به على النهي عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك. قال البغوي في شرح السنة: المسائل على وجهين:

أحدهما: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين فهو جائز، بل مأمور به لقوله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر﴾ الآية[٣]، وعلى ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما.

وثانيهما: ما كان على وجه التعنت والتكلف، وهو المراد في هذا الحديث. والله تعالى أعلم[٤]''.

فخلاصة الكلام أن النبي ﷺ كان يتعامل مع كل سؤال بأسلوب ملائم معه، فكان يثني على السؤال الجيد، ويجيب بأكثر مما يسأل إذا كان المقام يقتضي ذلك، ويغضب على التعنت في السؤال. اللهم وفقنا للتعامل مع أسئلة الطلاب وفق سنة قدوتنا النبي ﷺ المصطفى ﷺ آمين يا رب العالمين.

*　　*　　*

---

(١) (**أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم**): (أهلك) بضم أوله، وكسر اللام، و(**بكثرة سؤالهم**) أي بسبب كثرة سؤالهم. (انظر: فتح الباري ٢٦١/١٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم الحديث ٤١٢ (١٣٣٧)، ٩٧٥/٢.

(٣) سورة النحل/ جزء من الآية ٤٣.

(٤) فتح الباري ٢٦٣/١٣.

-٣٠-

السماح بالمراجعة والمناقشة للمعرفة والفهم

إنّ مما يساعد على فهم المعلومات واستيعابها وترسيخها في الأذهان أن يُسْمَح للطلاب بالمراجعة والمناقشة والاستفسار عما استشكلوه من العلم. ولقد ثبت من سيرة المصطفى ﷺ أنه لم يكن يتضجّر من المراجعة في العلم، بل كان يسمح بالاستفسارات والمناقشة، وكان يزيل الإشكال. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- مراجعة عائشة رضي الله عنها حول عذاب من حوسب:

روى الشيخان عن ابن أبي مليكة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: "**من حوُسِبَ عُذّب**".

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت "أوليس يقول الله تعالى:﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1]؟".

قالت: فقال: "**إنما ذلِك العَرْض**[2]، **ولكن من نوقش في الحساب يهلك**[3]"[4].

---

(١) سورة الانشقاق/ الآية ٨.

(٢) (**إنما ذلكِ العرض**): بكسر الكاف وجوز الفتح على خطاب العام، أو تعظيماً لها. (مرقاة المفاتيح ٤٨٩/٩).

(٣) (**ولكن من نوقش في الحساب يهلك**): المراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة، والاستيفاء بالمطالبة، وترك المسامحة في الجليل والحقير والقليل والكثير. (المرجع السابق ٤٨٩/٩).

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث ١٠٣، ١/١٩٦-١٩٧؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، ٢٢٠٤/٤.

ففي هذا الحديث نرى أن عائشة رضي الله عنها استشكلت قول النبي ﷺ: ''**من حوسب عذب**'' إذ يقتضي ذلك تعذيب كل من حوسب، وظنته معارضا للآية الكريمة ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ التي تدل على أن بعض من يحاسب لا يعذب. فلم يتضجر ﷺ من هذه المراجعة، بل بين أن المراد بالحساب في قوله هو العرض، والمراد بالحساب في الآية الكريمة المناقشة والاستقصاء في المحاسبة، والاستيفاء بالمطالبة.

هذا، وقد ترجم الإمام البخاري على الحديث بقوله:

[باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه][1].

وقال الإمام ابن أبي جمرة تعليقا على الحديث:''فيه دليل على أن من السنة أن من سمع شيئا لا يعرفه فليراجع فيه حتى يعرفه، يؤخذ ذلك من قوله:''كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه''. فلو لم يكن ذلك من سنن الإسلام لما أقرها عليه السلام''[2].

ثم قال رحمه الله تعالى:''لكن هذا ليس على العموم. وإنما ذلك لمن فيه أهلية.وإنما العوام وظيفتهم السؤال كما تقدم في الأحاديث قبل''[3].

وقال الحافظ ابن حجر تعليقا على الحديث:''وفي الحديث ما كان عند عائشة رضي الله عنها من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم''[4].

---

(١) صحيح البخاري ١/١٩٦.

(٢) بهجة النفوس ١/١٤٥.

(٣) المرجع السابق ١/١٤٥-١٤٦.

(٤) فتح الباري ١/٩٧؛ وانظر أيضا عمدة القاري ٦/١٣٨.

٢- مراجعة عائشة رضي الله عنها حول خسف عامة الناس:

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ''قال رسـول الله ﷺ ''**يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء[١] من الأرض يُخسَف بأولهم وآخرهم**''.

قالت: ''قلت يا رسول الله! كيف يخْسَف بأولهم وآخرهم وفيهم أسـواقهم[٢] ومن ليس منهم؟''.

قال: ''**يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يُبْعثُون على نياتهم**''[٣].

فنرى في الحديث أن عائشة رضي الله عنها استشكلت وقوع العذاب على من لا إرادة له في غزو الكعبة، فسألت النبي ﷺ عن ذلك، فأجاب ﷺ على سؤالها، وأزال إشكالها. وفي هذا الصدد قال الحافظ ابن حجر: ''والغرض كله أنها استشكلت وقـوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سـبيل العقوبـة، فوقـع الجـواب بأن العذاب يقع عاماً لحضور آجالهم، ويبعثون بعد ذلك على نياتهم''[٤].

٣- مراجعة الفاروق رضي الله عنه حول العمل بعد القدر:

روى الإمام حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: ''قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ''يـا رسول الله! نعمل في شيء نأتنفه[٥] أم في شيء قد فرغ منه؟''.

قال: ''**بل في شيء قد فُرِغ منه**''.

قال: ''**يا عمر! لا يُدْرَك ذلك إلا بالعمل**''.

---

(١) (**ببيداء**): البيداء مكان معروف بين مكة والمدينة. (فتح الباري ٤/٢٤٠).

(٢) (**وفيهم أسواقهم**): جمع سوق، والمعنى أهل أسواقهم أو السوقة منهم. (المرجع السابق ٤/٢٤٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذُكر في الأسواق، رقم الحديث ٢١١٨، ٤/٢٣٨.

(٤) فتح الباري ٤/٢٤٠.

(٥) (**نأتنفة**): نبتدئه من غير أن يكون سبق به سابق قضاء قدر. (هامش الإحسان في تقريب صحيح ابن حبـان ١/٣١٢).

قال:''إذاً نجتهد يا رسول الله! ﷺ...'' [١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لما أخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عليهم العمل في شي قد فُرِغ منه، استشكله فسأل النبي ﷺ عن فائدة العمل آنذاك. فلم يغضب، بل بيّن ﷺ له أن ذلك لا يُدْرَك إلا بالعمل. هذا، وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر الخبر الدال على إباحة اعتراض المتعلّم على العالم فيما يعلّمه من العلم][٢].

تنبيه: وقد حصلت مثل هذه المراجعة في هذا الأمر من قِبَل ذي اللحية الكلابي وسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي رضي الله عنهما، فلم يتضجر لمراجعتهما النبي ﷺ أيضا، بل أزال إشكالهما[٣].

٤- مراجعة الصحابة حول تخصيص الأمن والاهتداء لمن لم يظلم:

روى الإمام البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال:''لما نزلت﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[٤]، قلنا:''يا رسول الله! أينا لم يظلم نفسه؟''.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، رقم الحديث ١٠٨، ٣١٢/١. وقال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط:''رجاله ثقات رجال الشيخين غير هشام بن عمار، فإنه من رجال البخاري وحده''. (هامش الإحسان ٣١٢/١). وأورد نحوه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ثم قال:''رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح''. (كتاب القدر، باب كل ميسر لما خلق له، ١٩٤/٧-١٩٥).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣١٢/١.

(٣) انظر: مجمع الزوائد، كتاب القدر، باب كل ميسر لما خلق له، ١٩٤/٧و ١٩٥/٧.

(٤) سورة الأنعام/ جزء من الآية ٨٢.

قال: ليس كما تقولون،﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه﴿يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ[١]﴾،[٢].

ومما نجده في الحديث أن الصحابة استشكلوا مراد هذه الآية، فسألوا النبي ﷺ عنها، فلم يغضب على ذلك، بل بيَّن مرادها، وأزال إشكالهم[٣].

٥- مراجعة النساء حول ما ذكِر عنهن:

روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:''خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو في فِطر إلى المصلّى، فمرَّ على النساء، فقال:''**يا معشر النساء! تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار**''.

فقلن:''وبم يا رسول الله؟''.

قال:''**تكثرن اللعن، وتكفرْن العشير. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبَ لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن**''.

قلن:''وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟''.

قال:''**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**''.

قلن:''بلى''.

قال:''**فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم؟**''.

---

(١) سورة لقمان/ جزء من الآية ١٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾، رقم الحديث ٣٣٦٠، ٣٨٩/٦.

(٣) انظر: فتح الباري ١٩٧/١.

قلن: ''بلى''.

قال: ''**فذلك من نقصان دينها**''[١].

ومما نجده في الحديث أن النساء راجعن النبي ﷺ مرتين: أولاهما: لما أخبرهن أنهن ''**أكثر أهل النار**''. وثانيتهما: لما ذكر لهنَّ أنهنَّ ''**ناقصات عقل ودين**''. ولم يتضجر ﷺ بسبب ذلك، بل أزال إشكالهن ببيان أسباب مقنعة لما ذكر. قال الحافظ ابن حجر مبيّناً فوائد الحديث: ''وفي الحديث أيضاً مراجعة المتعلم لمعلّمه، والتابع لمتبوعه فيما لا يظهر له معناه. وفيه ما كان عليه ﷺ من الخلق العظيم، والصفح الجميل، والرفق والرأفة. زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً''[٢]. جعلنا الله تعالى جميعاً على دربه آمين ياحي ياقيوم.

فوائد أخرى في الحديث:

وفي الحديث فوائد أخرى، ومنها ما يلي:

(أ) تعليمه ﷺ النساء[٣].

(ب) استخدامه ﷺ أسلوب المناداة في التعليم، وذلك بقوله: ''**يا معشر النساء!**''[٤].

(ج) الإغلاظ في النصح والتعليم بما يكون سبباً لإزالة الصفة التي تعاب[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث ٣٠٤، ١/٤٠٥.

(٢) فتح الباري ١/٤٠٧.

(٣) انظر: بعض الشواهد الأخرى لذلك في هذا الكتاب من ص ٢٦ إلى ص ٢٨.

(٤) انظر: بعض الشواهد الأخرى لذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٥) انظر: فتح الباري ١/٤٠٦.

(د) استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام حيث قال لهن أولاً: "**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**". فأجبن على ذلك بقولهن: "بلى" ثم قال لهن: "**أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**"[١].

فخلاصة الكلام أنّ النبي ﷺ كان يسمح لأصحابه بالمراجعة في ما استشكلوه أو لم يفهموه، ولم يكن يتضجر من ذلك، وهذا على خلاف ما نشاهده لدى بعض أنصاف المتعلمين من المدرسين والمؤلفين أنهم لا يتحملون المراجعة فيما قالوه أو كتبوه. اللهم لا تجعلنا منهم، واجعلنا جميعاً على صراط نبيك المصطفى ﷺ. آمين يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

(١) انظر بعض الشواهد الأخرى لذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

-٣١-
السماح بالتنبيه له ﷺ

لقد كان النبي ﷺ يسمح للصحابة بتنبيهه إذا نسي شيئاً أو ذهل عنه. وليس هذا فحسب، بل كان يحثهم على ذلك، كما كان يأخذ بتنبيههم إذا أصابوا في ذلك. ولهذا كله شواهد في سيرته العطرة. ومنها ما يلي:

١- تذكير أسامة ﷺ بالصلاة:

روى الشيخان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: ''رَدِفت رسول الله ﷺ[١] من عرفات، فلما بلغ رسول الله ﷺ الشعب الأيسر الذي دون المزدلفة أناخ، فبال، ثم جاء فصببت عليه الوَضوء[٢]، فتوضأ وُضوءاً خفيفاً، فقلت: ''الصلاة يا رسول الله! ﷺ''.

قال: ''**الصلاة أمامك**''.

فركب رسول الله ﷺ، حتى أتى المزدلفة فصلّى. الحديث[٣].

قال الإمام النووي في شرح الحديث: قلت: ''الصلاة يا رسول الله!'' فقال: ''**الصلاة أمامك**'': معناه أنّ أسامة ﷺ ذكّره بصلاة المغرب، وظنّ أن النبي ﷺ

---

(١) (**رَدِفت رسول الله ﷺ**): بكسر الدال أي ركبت وراءه. (فتح الباري ٣/٥٢٠).

(٢) (**فصببت عليه الوَضوء**): بفتح الواو أي الماء الذي يتوضأ به. (المرجع السابق ٣/٥٢٠).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب النزول بين عرفة وجمع، جزء من رقم الحديث ١٦٦٩، ٣/٥١٩؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة، ... رقم الحديث ٢٧٦ (١٢٨٠)، ٢/٩٣٤.

نسيها حيث أخّرها عن العادة المعروفة في غير هـذه الليلـة. فقـال لـه النـبيﷺ: ''**الصلاة أمامك**''، أي أن الصلاة في هذه الليلة مشروعة فيمـا بـين يديـك أي في المزدلفة''[١].

ثم قال الإمام رحمه الله تعالى مبيِّناً ما يستفاد من الحديث:''ففيـه اسـتحباب تذكير التابع المتبوع بما تركه خلاف العادة ليفعله، أو يعتذر عنه، أو يبيّن لـه وجـه صوابه، وأن مخالفته للعادة سببها كذا وكذا''[٢].

٢- تنبيه سعد ﷺ في الإعطاء:

روى الشيخان عن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ أعطى رهطـا[٣] -وسـعد جالس- فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ، فقلت:''يا رسول الله! مالك عن فلان[٤]؟ فوالله! إني لأراه[٥] مؤمناً''.

فقال:''**أو مسلماً**''.

فسكتّ قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدتُ لمقالتي، فقلـت:''مـالك عـن فلان؟ فوالله! إني لأراه مؤمناً''.

فقال:''**أو مسلماً**''.

---

(١) شرح النووي ٩/٢٦.

(٢) المرجع السابق ٩/٢٦.

(٣) (**رهطا**): الرهط عدد من الرجال من ثلاثة إلى عشرة. (فتح الباري ١/٧٩).

(٤) (**مالك عن فلان**): أي ما سبب عدولك عنه إلى غيره. (انظر: المرجع السابق ١/٨٠).

(٥) (**لأراه**): بضم الهمزة أي أظنه. أو بفتح الهمزة أي أعلمه. (انظر: المرجع السابق ١/٨٠).

ثم غلبني ما أعلم منه، فعدتُ لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ، ثم قال: "**يا سعد! إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه**[١] **الله في النار**"[٢].

ومما نجده في الحديث أنّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه نبّه رسول الله ﷺ ثلاث مرات في الإعطاء إذ ظنّ أنه ﷺ ذهل عمن هو أحق بذلك ممن أعطاهم ﷺ، فلم ينكر ﷺ عليه ذلك، بل بيّن له سبب عدوله عمن كان يراه سعد رضي الله عنه أحق بالإعطاء إلى غيره. قال الإمام النووي مبيّناً فوائد الحديث: "وفيه تنبيه المفضول الفاضل على ما يراه مصلحة"[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: وفيه تنبيه الصغير للكبير على ما يظن أنه ذهل عنه[٤].

وقال العلاّمة العيني: "فيه أن المفضول ينبه الفاضل على ما يراه مصلحة لينظر فيه الفاضل"[٥].

فوائد أخرى في الحديث:

هناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) مناداته ﷺ تلميذه باسمه، وفيه من التأنيس والتنبيه مالا يخفى[٦].

---

(١) (**أن يكبّه**): بفتح أوله وضم الكاف، يقال: (أكب الرجل) إذا أطرق، و(كبّه غيره) إذا قلبه. (انظر: فتح الباري ٨١/١).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ...، رقم الحديث ٢٧، ٧٩/١؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه، ...، رقم الحديث ٢٣٧ (١٥٠)، ١٣٢/١.

(٣) شرح النووي ١٨١/٢.

(٤) انظر: فتح الباري ٨١/١.

(٥) عمدة القاري ١٩٥/١.

(٦) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(ب) مراعاته ﷺ أحوال المخاطبين حيث فرّق في الإعطاء بين من لم يتمكن الإيمان من قلبه وبين من كان الإيمان قد تمكن من قلبه[١].

(ج) عظيم خلقه ﷺ مع سعد رضي الله عنه إذ بيّن له سبب ترك إجابة شفاعته. فصلوات ربي وسلامه عليه.

٣- الحث على التذكير إذا ترك آية في الصلاة[٢].

٤- الحث على الفتح عليه ﷺ عند اللبس في القراءة في الصلاة[٣].

٥- الأخذ بالتنبيه على النسيان في الصلاة[٤].

٦- أمره ﷺ الفاروق رضي الله عنه بأمره بحسن الأداء[٥].

فخلاصة القول كان النبي ﷺ يسمح لطلابه أن ينبهوه إذا نسي شيئاً أو ذهل عنه، بل كان ﷺ يحثهم على ذلك، وكان يأخذ بالتنبيه إنْ كان مصيباً. وهذا على خلاف كثير من أنصاف المتعلمين من المدرسين الذين لا يتحملون التنبيه أو الإنكار على ما قالوه أو فعلوه. اللهم لا تجعلنا على دربهم، واجعلنا برحمتك على صراط نبيك الكريم ﷺ. آمين يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

---

(١) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٢٢ إلى ص ٢٣٢.

(٢) (٣) (٤) (٥) انظر تفصيل هذه العناوين وتخريجها والتعليق عليها في كتابي: ''الاحتساب على الوالدين: مشروعيته ودرجاته وآدابه'' ص ٢٤-٢٨.

-٣٢-

منح الفرصة للتلميذ بالتحدّث بحضرته

لقد ثبت من سيرة المصطفى ﷺ أنه أعطى الفرصة لبعض الصحابة للتحدّث بحضرته. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- السماح للصدِّيق ﷺ بتعبير الرؤيا:

روى الشيخان عن ابن عباس رضي عنهما أنه كان يحدِّث أنّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: "إنّي رأيت الليلة في المنام ظلة[١] تنطِف[٢] السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها[٣]: فالمستكثر والمستقل[٤]، وإذا سبب[٥] واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوتَ.

ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وُصل".

فقال أبو بكر ﷺ: "يا رسول الله! بأبي أنت والله! لتدعنِّي[٦] فأعبرها".

---

(١) (**ظلة**): بضم الظاء، أي سحابة لها ظل، وكل ما أظل من سقيفة ونحوها يسمى ظلة. (انظر: فتح الباري ١٢/٤٣٤).

(٢) (**تنطف**): بكسر الطاء ويجوز ضمها، ومعناه: تقطر. يقال: نطف الماء إذا سال. (انظر: المرجع السابق ١٢/٤٣٤).

(٣) (**يتكففون منها**): أي يأخذون بأكفهم. (المرجع السابق ١٢/٤٣٤).

(٤) (**فالمستكثر والمستقل**): أي الآخذ كثيراً والآخذ قليلاً. (المرجع السابق ١٢/٤٣٤).

(٥) (**سبب**): حبل. (المرجع السابق ١٢/٤٣٤).

(٦) (**والله! لتدعنِّي**): وفي رواية: "ائذن لي". (انظر: المرجع السابق ١٢/٤٣٤).

فقال النبي ﷺ: ''اعبرها''.

قال: ''أما الظلة فالإسلام ... الحديث[١].

ومما نجده في الحديث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه استأذن النبي الكريم ﷺ في تعبير الرؤيا بحضرته ﷺ قبله، فأذن له. قال الحافظ ابن حجر مبيّناً فوائد الحديث: وفيه كلام العالم بالعلم بحضرة من هو أعلم منه، إذا أذن في ذلك صريحاً أو ما قام مقامه، ويؤخذ منه جواز مثله في الإفتاء والحكم[٢].

وقال العلاّمة العيني: ''وفيه جواز فتوى المفضول بحضرة الفاضل إذا كان مشاراً إليه بالعلم والإمامة''[٣].

٢- انتهار الصديق ابنته رضي الله عنهما بحضرته ﷺ:

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنّيان بغناء بُعاث[٤]، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه. ودخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني، وقال: ''مزمارة الشيطان[٥] عند النبي ﷺ!''.

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، جزء من رقم الحديث ٧٠٤٦، ١٢/٤٣١؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، جزء من رقم الحديث ١٧ (٢٢٦٩)؛ ٤/١٧٧٧-١٧٧٨.

(٢) انظر: فتح الباري ١٢/٤٣٨.

(٣) عمدة القاري ٢٤/١٧١.

(٤) **(بغناء بعاث)**: الغناء بكسر الغين وبالمد. وبعاث: بضم الباء، وتخفيف العين، وفي أخره ثاء. ويوم بعاث يوم مشهور من أيام العرب، كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج، وبقيت الحرب مائة وعشرين سنة إلى الإسلام. (انظر: المرجع السابق ٦/٢٦٩).

(٥) **(مزمارة الشيطان)**: بكسر الميم يعني الغناء أو الدف، وهمزة الاستفهام قبلها مقدرة، وهي مشتقة من الزمير وهو الصوت الذي له صفير، وإضافتها إلى الشيطان من جهة أنها تلهي وتشغل القلب عن الذكر. (انظر: المرجع السابق ٦/٢٦٩).

فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: ''**دعهما**''[١].

فلما غفل غمزهما[٢] فخرجتا''[٣].

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: قوله: (**دعهما**) زاد في رواية هشام: ''**يا أبا بكر! إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**'' ففيه تعليل الأمر بتركهما، وإيضاح خلاف ما ظنه الصديق من أنهما فعلتا ذلك بغير علمه ﷺ لكونه دخل فوجده مغطى بثوبه، فظنه نائماً فتوجّه له الإنكار على ابنته من هذه الأوجه مستصحبا لما تقرر عنده من منع الغناء واللهو، فبادر إلى إنكار ذلك قياماً عن النبي ﷺ مستنداً إلى ما ظهر له، فأوضح له النبي ﷺ الحال، وعرضه الحكم مقرونا ببيان الحكمة بأنه يوم عيد، أي يوم سرور شرعي، فلا ينكر فيه مثل هذا كما لا ينكر في الأعراس''[٤].

ومما نجده في الحديث أن الصديق زجر ابنته عائشة رضي الله عنهما على ترك الجاريتين تغنيان بحضرة النبي الكريم ﷺ، ولم ينكر ﷺ على إنكار الصديق رضي الله عنه بحضرته، بل بيّن أن ما فعلته عائشة رضي الله عنها يسمح به في يوم عيد ولا يُنكر عليه.

قال الحافظ ابن حجر مبيّناً فوائد الحديث: ''وفيه أنّ التلميذ إذا رأى عند شيخه ما يُستكْره مثله بادر إلى إنكاره، ولا يكون في ذلك افتئات على شيخه، بل هو أدب منه ورعاية لحرمته وإجلال لمنصبه.

---

(١) (**دعهما**): أي اتركهما. (انظر: عمدة القارئ ٦/٢٦٩-٢٧٠).

(٢) (**غمزهما**): الغمز الإشارة بالعين والحاجب أو اليد، والرمز كذلك. (انظر: المرجع السابق ٦/٢٧٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، رقم الحديث ٩٤٩، ٢/٤٤٠.

(٤) انظر: فتح الباري ٢/٤٤٢.

وفيه فتوى التلميذ بحضرة شيخه بما يعرف من طريقته''[١].

تنبيه:

ليس في هذا الحديث ما يُستَدلُّ به على إباحة الغناء المعروف. قال الحافظ ابن حجر: ''واستدل جماعة من الصوفية بحديث الباب على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة، ويكفي في ردِّ ذلك تصريح عائشة رضي الله عنها: ''وليستا بمغنيتين''[٢].

ثم نقل رحمه الله تعالى قول القرطبي حيث قال: ''قولها': ''ليستا بمغنيتين'' أي ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها[٣] تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن،وهذا النوع إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرّمة لا يختلف في تحريمه. وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه[٤].

٣- إنكار الفاروق ﷺ على المصلّي بغير فصل بحضرته ﷺ:

روى الأئمة عبد الرزاق وأحمد وأبو يعلى عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنّ رسول الله ﷺ صلّى العصر، فقام رجل يصلّي، فرآه عمر ﷺ، فقال له: ''اجلس، فإنما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فصل''.

فقال رسول الله ﷺ: ''**أحسن ابن الخطاب**''[٥].

---

(١) فتح الباري ٢/٤٤٣؛ وانظر أيضاً: عمدة القاري ٦/٢٧٢.

(٢) انظر: فتح الباري ٢/٤٤٢.

(٣) أي من عائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/٤٤٢.

(٥) المصنف، كتاب الصلاة، باب الساعة التي يكره فيها الصلاة، رقم الحديث ٣٩٧٣، ٢/٤٣٢؛ والمسند، رقم الحديث ٢٣١٢١؛ ٣٨/٢٠٢ (ط: مؤسسة الرسالة)؛ واللفظ له؛ ومسند أبي يعلى الموصلي، مسند تميم الداري ﷺ، ٣(٧١٦٦)، ١٣/١٠٧.وقال عنه الحافظ الهيثمي: ''رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد-

وفي رواية الإمام عبد الرزاق: ''**صدق ابن الخطاب**''[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لم ينكر على الفاروق رضي الله عنه إنكاره بحضرته على من لم يفصل بين الفريضة والتطوع، بل أثنى ﷺ عليه، واستحسن ما فعله[(٢)].

* * *

-رجال الصحيح''. (مجمع الزوائد ٢/٢٣٤)؛ وصحّح الشيخ شعيب الأرناؤوط ورفقاؤه إسناد المسند، كما صحّح إسناد مسند أبي يعلى محققه. (انظر: هامش المسند ٣٨/٢٠٢؛ وهامش مسند أبي يعلى الموصلي ١٣/١٠٧).

(١) المصنف ٢/٤٣٢.

(٢) انظر تفصيل ثنائه ﷺ على فضلاء أصحابه في هذا الكتاب من ص ٢٣٣ إلى ص ٢٤٠.

-٣٣-

إعطاء التلميذ الفرصة لترديد الدرس عليه

ومما نجده في سيرة نبينا الكريم ﷺ أنه سنح للمتعلم فرصة لترديد ما علّمه عليه. ومن شواهد ذلك ما يلي:

السماح للبراء ﷺ لترديد الدعاء عليه:

روى الإمام البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:''**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل:''اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت.**

فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهنّ آخر ما تكلم به''.

قال: فردّدتُها على النبي ﷺ[1].فلما بلغت:''**اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت**'' قلت:''**ورسولك**''.

---

(١) (**فرددها علي النبي ﷺ**): أي رددت تلك الكلمات على النبي ﷺ لأحفظهن. (انظر: فتح الباري ١١/١١٢)؛ وفي رواية مسلم ''فرددهن لأستذكرهن''. (انظر: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء...، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم الحديث ٥٦ (٢٧١٠)، ٤/٢٠٨١-٢٠٨٢.

قال: "**لا، ونبيك الذي أرسلت**"[1].

ومما نراه في الحديث أنه ﷺ سمح للبراء رضي الله عنه أن يردّد عليه الدعاء الذي كان قد علّمه ﷺ كي يحفظه.

* * *

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، رقم الحديث ١٠٩، ١٨٧/٣ (المطبوع مع عمدة القارئ). وروى نحوه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم الحديث ٥٦ (٢٧١٠)، ٢٠٨١/٤-٢٠٨٢.

-٣٤-

التواضع

أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بالتواضع لأهل الإيمان قال تعالى:﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١). والمراد بالتواضع -كما قال العلاّمة العيني- إظهار التنزل عن مرتبته(٢). وفي التواضع-كما قال الإمام الطبري- مصلحة الدين والدنيا(٣).

ولقد كان الرسول ﷺ صورة تطبيقية حية لما أمره ربه عز وجل به. فقد كان يتعامل بالتواضع مع أصحابه. ولهذا شواهد كثيرة في سيرته العطرة. ومنها ما يلي:

١- كراهيته ﷺ قيام الصحابة له:

روى الأئمة أحمد والبخاري والترمذي والضياء المقدسي عن أنس رضي الله عنه قال:''لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ''. قال:''وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك''(٤).

---

(١) سورة الشعراء/ الآية ٢١٥.

(٢) انظر: عمدة القاري ٨٨/٢٣؛ وانظر أيضا: فتح الباري ٣٤١/١١.

(٣) نقلاً عن المرجع السابق ٣٤١/١١.

(٤) المسند ١٣٢/٣ (ط: المكتب الإسلامي)؛ والأدب المفرد، باب قيام الرجل لأخيه، رقم الحديث ٩٤٩، ص ٣١٦؛ ومختصر الشمائل المحمدية، باب ما جاء في تواضع رسول الله ﷺ، رقم الحديث ٢٨٩، ص ١٧٨؛ واللفظ له؛ والأحاديث المختارة، رقم الحديث ١٩٥٨، ١٣/٦. وصحّحه الشيخ الألباني (انظر: صحيح الأدب المفرد ص ٢٥٤؛ ومختصر الشمائل المحمدية ص ١٧٨).

قال الملاّ علي القاري في شرح الحديث: ''لما يعلمون من كراهيته لذلك'' أي لقيامهم، تواضعاً لربه، ومخالفة لعادة المتكبرين والمتجبرين''[١].

الله أكبر! ما أعظم تواضع أفضل معلمي الخلق أجمعين صلوات ربي وسلامه عليه. وما بال أولئك المدرسين الذين يأمرون طلابهم بالقيام لهم عند دخولهم القاعات الدراسية، ويعاقبون من لم يفعل ذلك. أهُمْ أشرف وأجل ممن رفع الله تعالى ذكره ﷺ؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً.

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني تعليقاً على هذا الحديث: ''فإذا كان النبيﷺ يكره هذا القيام لنفسه، وهي المعصومة من نزعات الشيطان، فبالأحرى أن يكرهه لغيره ممن يخشى عليه الفتنة. فما بال كثير من المشايخ وغيرهم استساغوا هذا القيام وألفوه كأنه أمر مشروع، كلاّ، بل إن بعضهم يستحبه مستدلاً بقوله: ''**قوموا إلى سيدكم**''، ذاهلين عن الفرق بين القيام للرجل احتراماً وهو المكروه، وبين القيام إليه لحاجة مثل الاستقبال والإعانة عن النزول، وهو المراد بهذا الحديث الصحيح،ويدل عليه رواية أحمد له بلفظ: ''**قوموا إلى سيدكم فأنزلوه**''، وسنده حسن، وقواه الحافظ في الفتح''[٢].

٢- الاستماع إلى قراءة التلميذ:

وروى الإمام مسلم عن عبد الله ﷺ قال: ''قال رسول الله ﷺ: ''**اقرأ عليّ القرآن**''.

قال: ''فقلت: ''يا رسول الله! ''اقرأ عليك، وعليك أنزل''.

---

(١) مرقاة المفاتيح ٤٧٥/٨.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٥٣/١.

قال: ''**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**''.

فقرأت النساء، حتى إذا بلغت:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[(١)] رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرأيت دموعه تسيل[(٢)].

إن من أثقل الأمور على طلبة العلم والعلماء أن يسمعوا عمن هو دونهم في الفضل والعلم. وهنا أكرم الخلق، وأشرفهم وأعلاهم قدراً ومنزلة ﷺ -فداه أبي وأمي- يطلب من تلميذه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يُسْمعه القرآن. الله أكبر! ما أجلّ تواضعه! صلوات ربي وسلامه عليه.

قال الإمام النووي تعليقاً على الحديث:''وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم''[(٣)].

٣- ترك الخطبة لتعليم السائل:

روى الإمام مسلم عن أبي رفاعة رضي الله عنه قال:''انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال:''فقلت:''يا رسول الله! رجل غريب، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه؟''.

قال:''فأقبل عليّ رسول الله ﷺ، وترك خطبته حتى انتهى إليّ، فأُتِيَ بكرسي،-حسبت- قواعده حديداً. قال:''فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلّمني مما علّمه الله، ثم أتى خطبته، فأتم آخرها''[(٤)].

---

(١) سورة النساء/ الآية ٤١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبُّر، رقم الحديث ٢٤٧ (٨٠٠)، ١/٥٥١.

(٣) شرح النووي ٦/٨٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، رقم الحديث ٦٠(٨٧٦)، ٢/٥٩٧.

الله اكبر! ما أعظم تواضع سيد الأولين والآخرين وإمام الأنبياء والمرسلين ﷺ! رجل يقطع عليه خطبته ويسأل، فلا ضجر ولا توبيخ، ولا نهر، ولا شتم، بل الإقبال على السائل،وترك الخطبة، والذهاب إليه، والجلوس على كرسي بجواره، وتعليمه مما علّمه الله، ثم عودته ﷺ بعد هذا كله إلى خطبته. صلوات ربي وسلامه عليه.

قال الإمام النووي تعليقاً على الحديث:''وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين،وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم''[1].

٤- المشي مع التلميذ الراكب:

روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل ﷺ قال:''لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ ﷺ راكب، ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته''[2].

الله أكبر! أكرم الخلق على الله تعالى وحبيبه وخليله يمشي، وتلميذه راكب. هل رأى العالَم مثل هذا التواضع؟ صلوات ربي وسلامه عليه. اللهم اجعلنا برحمتك على صراط نبيك محمد ﷺ في جميع شؤون حياتنا، وفي التواضع. إنك سميع مجيب.

٥- النزول عن الدابة ليركبها التلميذ:

روى الإمام النسائي عن عقبة بن عامر ﷺ قال:''بينا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال:''**ألا تركب يا عقبة؟**''.

---

(١) شرح النووي ١٦٥/٦.

(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبواب حوادث السنة العاشرة، باب ما جاء في بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن، رقم الحديث ٤٦٢، ٢١٥/٢١. وقال الشيخ أحمد البنا عنه:''وسنده جيد، ورجاله ثقات''. (بلوغ الأماني ٢١٥/٢١).

فأجلَلْتُ[١] رسول الله ﷺ أن أركب مركب رسول الله ﷺ.

ثم قال: ''**ألا تركب يا عقبة؟**''.

فأشفقتُ[٢] أن يكون معصية، فنـزل، وركبتُ هُنيهة[٣]، ونزلت، وركب رسول الله ﷺ، ثم قال: ''**ألا أعلّمك سورتين من خير سُورتين قرأ بهما الناس؟**''. الحديث[٤].

ومما نجده في الحديث أن سيد الأولين والآخرين نبينا محمدا ﷺ نـزل عن مركبه، وأركبه تلميذه. هل عرف العالَم في مشارق الأرض ومغاربها مثل هذا التعامل مع الطلاب من قِبَل الأساتذة؟ فداه أبي وأمي. وصلوات ربي وسلامه عليه.

* * *

---

(١) (**فأجللتُ**): أي عظمت. (حاشية السندي ٢٥٣/٨).

(٢) (**فأشفقت**): خفت. (المرجع السابق ٢٥٣/٨).

(٣) (**هنيهة**): بالتصغير أي زماناً قليلاً. (المرجع السابق ٢٥٣/٨).

(٤) سنن النسائي، كتاب الاستعاذة، ٢٥٣/٨. وصحّح إسناده الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن النسائي ١١٠٦/٣).

-٣٥-
الرفق في التعليم

قد جعل الله تعالى نبيّه ﷺ للمؤمنين ليِّناً رؤوفاً رحيماً. قال عز من قائل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾،[١]. وقال سبحانه وتعالى:﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾،[٢]ولهذا كان ﷺ يتعامل مع طلابه برأفة وشفقة ولطف ولين ورفق. ولهذا شواهد كثيرة في سيرته ﷺ المطهرة. ومنها ما يلي:

١- الرفق في تعليم الغلام آداب الطعام:

روى الشيخان عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما يقول:''كنت غلاماً[٣] في حَجر رسول الله ﷺ[٤]، وكانت يدي تطيش[٥] في الصحفة[٦]، فقال لي رسول الله ﷺ:''**يا غلام! سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**''[٧].

(١) سورة آل عمران/ جزء من الآية ١٥٩.

(٢) سورة التوبة/ الآية ١٢٨.

(٣) (**غلاماً**): أي دون البلوغ، يقال للصبي من حين يولد إلى أن يبلغ غلام. (عمدة القاري ٢٩/٢١).

(٤) (**حجر رسول الله ﷺ**): بفتح الحاء وسكون الجيم، أي في تربيته وتحت نظره، وأنه يربِّيه في حضنه تربية الولد. (فتح الباري ٥٢١/٩).

(٥) (**تطيش**): تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة، ولا تقتصر على موضع واحد. (شرح النووي ١٩٣/١٣).

(٦) (**الصحفة**): ما تشبع خمسة، ونحوها، وهي أكبر من القصعة. (فتح الباري ٥٢٢/٩).

(٧) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، جزء من رقم الحديث ٥٣٧٦، ٥٢١/٩؛ وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم الحديث ١٠٨ (٢٠٢٢)، ١٥٩٩/٣.

ما أرفق النبي ﷺ في تعليم اليتيم الذي كان في تربيته وتحت نظره!

وفي رواية عند أبي داود أنه ﷺ قال له: "**ادن مني، فسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**"[١].

وفي رواية عند الترمذي: "**ادن يا بني**"[٢].

إن تفضله ﷺ على اليتيم بإدنائه من نفسه الكريمة، ثم مخاطبته بـ**[يا بني]** ليزيد الرفق لطفا وكرما.

وكيف كان أثر هذا التعليم المقرون بالرفق واللطف والكرم؟

فلنسمع ما يقوله عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما نفسه: "فما زالت تلك طعمتي بعد"[٣].

قال الحافظ ابن حجر في شرح قوله: "بكسر الطاء أي صفة أكلي، أي لزمت ذلك، وصار عادة لي"[٤].

٢- الرفق في تعليم المتحدث في الصلاة آدابها:

روى الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: "بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: "يرحمك الله".

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب الأكل باليمين، جزء من رقم الحديث ٣٧٧١، ١٧٩/١٠. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٧١٩/٢).

(٢) جامع الترمذي، أبواب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، جزء من رقم الحديث ١٩١٨، ٤٧٩/٥-٤٨٠. وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ١٦٧/٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، جزء من رقم الحديث ٥٣٧٦، ٥٢١/٩.

(٤) فتح الباري ٥٢١/٩.

فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: "واثكل أمِّياه[١]! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟".

فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يصمِّتونني، لكني سكت.

فلما صلّى النبي ﷺ فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه. فوالله! ما كهرني[٢] ولا ضربني ولا شتمني، قال: "**إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس. إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**" أو كما قال رسول الله ﷺ[٣].

الله أكبر! ما أجل رفق من بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ﷺ! شخص يتحدّث في الصلاة، بل يسبّ من يشير إليه بالسكوت، وهو ﷺ قد سمع منه كل هذا، ولكنّ مع هذا لا زجر، ولا توبيخ، ولا نهر، ولا ضرب، ولا شتم، بل التعليم برفق ولين وشفقة ورحمة. قال الإمام النووي تعليقاً على الحديث: "فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته، وشفقته عليه. وفيه التخلّق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه"[٤].

---

(١) **(واثكل أمياه)**: الثكل بضم الثاء وإسكان الكاف، وبفتحها جميعاً، لغتان كالبخَل والبخل، حكاهما الجوهري وغيره، وهو فقدان المرأة ولدها. و(أمياه) بكسر الميم. (انظر: شرح النووي ٥/٢٠).

(٢) **(كهرني)**: القهر والكهر والنهر متقاربة، أي ما قهرني ولا نهرني. (انظر: هامش صحيح مسلم ١/٣٨١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، رقم الحديث ٣٣ (٥٣٧)، ١/٣٨١-٣٨٢.

(٤) شرح النووي ٥/٢٠.

وكيف أثّر هذا التعليم المقرون بالرفق في ذلك الرجل؟ فلنسمع يحدّثنا صاحب القصة نفسه: ''قلت: ''يا رسول الله! إنّي حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منّا رِجالاً يأتون الكهان''.

قال: ''**فلا تأهم**''.

قال: ''ومنا رجال يتطيّرون''.

قال: ''**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدّنّهم**''.

قال: قلت: ''ومنّا رجال يخطّون''.

قال: ''**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطّه فذاك**[1]'' [2].

قد أظهر التعليم المقرون بالرفق أثره في الرجل، وأيقن أنّ ما صدر منه كان بسبب قرب عهده بالجاهلية، فبدأ يستفسر عن الأمور التي كانت شائعة بالجاهلية، كي يتمكّن من اجتنابها -إن كانت محرّمة- بدل أن يقع فيها، فَيُنْتَقَد عليه.

ولم يقف عند هذا، بل عزم على كفارة خطأ كان قد ارتكبه بصورة يستغرب المرء التحوّل العظيمَ الذي يجده في شخصيته. فلنسمع منه، وهو ﷺ يحدّث قصته:

قال: ''كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبلَ أحدٍ والجوّانيَّة[3]، فاطلعتُ ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسَف[4] كما

---

(١) (**فمن وافق خطه فذاك**): معناه من وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح، والمقصود أنه حرام، لأنه لا يُبَاح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها. واتفق العلماء على النهي عنه الآن. (انظر: شرح النووي ٢٣/٥).

(٢) صحيح مسلم ٣٨٣/١.

(٣) (**الجوانية**): بفتح الجيم، وتشديد الواو، وبعد الألف نون مكسورة، ثم ياء مشددة، وهي مكان بقرب أحد شمالي المدينة المنورة. (انظر: شرح النووي ٢٣/٥).

(٤) (**آسَف**): بفتح السين، أغضب. (انظر: المرجع السابق ٢٤/٥).

يأسفون، لكني صككتُها صكّــةً. فــأتيتُ رســول الله ﷺ فعظــم ذلــك علــيّ، قلت:''يارسول الله! أفلا أعتقها؟''.

قال:''**ائتني بها**''.

فأتيته بها.

فقال لها:''**أين الله؟**''.

قالت:''في السماء''.

قال:''**من أنا**''.

قالت:''أنت رسول الله ﷺ''.

قال:''**أعتقها، فإنها مؤمنة**''[1].

فائدة أخرى في الحديث:

ومما نجده في هذه القصة أيضاً أن الرجل سأل النبي ﷺ عدة تساؤلات، فلــم يغضب على ذلك، بل أجاب ﷺ على كل سؤاله.

٣- الرفق في تعليم من بال في المسجد:

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:''بينما نحن في المســجد مــع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقــال أصحــاب رســول الله ﷺ:''مه مه''[2].

---

(١) صحيح مسلم ٣٨٢/١.

(٢) **(مه مه)**: هي كلمة زجر، ويقال:''به به'' بالباء أيضاً. قال العلماء: هو اسم مبني على الســكون، معنــاه: اسكت. وقال صاحب المطالع: هي كلمة زجر قيل أصلها:''ما هذا؟، ثم حذف تخفيفاً، وتقال مكررة: ''مه مه''، وتقال:''فردة''. (انظر: شرح النووي ١٩٣/٣).

قال رسول الله ﷺ: ''**لا تزرموه**[١]**، دعوه**''[٢].

فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: ''**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**'' أو كما قال رسول الله ﷺ.

قال: ''فأمر رجلا من القوم، فجاء بدلو من ماء، فشنه[٣] عليه''[٤].

وقد أورد الإمام البخاري هذه القصة في كتاب الأدب من صحيحه أكثر من مرة، وترجم عليه مرة بقوله:

[باب الرفق في الأمر كله][٥].

كما ترجم عليه مرة أخرى بقوله:

[باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا، وكان يحب التخفيف والتسري على الناس][٦].

ما أرفق النبي ﷺ في تعليم الجاهل!

---

(١) (**لا تزرموه**): أي لا تقطعوا، والإزرام القطع. (انظر: شرح النووي ١٩٢/٣).

(٢) (**دعوه**): اتركوه.

(٣) (**فشنه**): فصبه. (المرجع السابق ١٩٣/٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، ...، رقم الحديث ١٠٠ (٢٨٥)، ٢٣٦/١-٢٣٧.

(٥) صحيح البخاري ٤٤٩/١٠.

(٦) المرجع السابق ٥٢٥/١٠.

وقد علّق الحافظ ابن حجر على الحديث بقوله: ''فيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيّما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه''[١].

وروى الإمام ابن حبان هذه القصة في صحيحه، وترجم عليه بقوله:

[ذكر البيان بأن قول المصطفى ﷺ **[دعوه]** أراد به الترفّق لتعليمه ما لم يعلم من دين الله وأحكامه][٢].

وكيف كان وقع هذا التعليم المقرون بالرفق على قلب الأعرابي؟ يتجلّى ذلك في قول الأعرابي نفسه الذي نقله الإمام ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ''فقال الأعرابي بعد أن فقِه: فقال إليَّ[٣]، بأبي هو وأمي! فلم يؤنب، ولم يسبّ، فقال: ''**إنَّ هذا المسجد لا يبال فيه، إنما بُني لذكر الله وللصلاة**''[٤].

الله أكبر! يفدي أبويه على رسول الله ﷺ قبل أن يخبر الناس بما قاله ﷺ له. ما الّذي حمله على هذا؟ إنه التعليم المقرون بالرفق بفضل الله تعالى[٥].

---

(١) فتح الباري ٣٢٥/١؛ وانظر أيضاً: شرح النووي ١٩١/٣.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الطهارة، باب تطهير النجاسة، ٢٤٦/٤.

(٣) في رواية عند ابن حبان: ''فقام إليَّ رسول الله ﷺ ...'' (انظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب الطهارة، باب طهارة المسجد من البول، رقم الرواية ٢٤٦، ص ٨٤).

(٤) سنن ابن ماجة، أبواب الطهارة، باب الأرض يصيبها بول كيف يغتسل؟، رقم الحديث ٥٥١، ٩٩/١. وقال عنه الشيخ الألباني: ''حسن صحيح''. (انظر: صحيح سنن ابن ماجة ٨٧/١).

(٥) هناك شواهد أخرى لتعليم النبي الكريم ﷺ بالرفق. انظر بعضاً منها في كتابي: من صفات الداعية: اللين والرفق ص ٢٢-٢٣، وص ٢٦-٣٠.

فخلاصة الكلام أن النبي الكريم ﷺ كان يعلّم أصحابه برفق ولين وشفقة ورحمة ولطف ورأفة. ومما يجب أن لا يُنْسَى في هذا المقام أنه كان ﷺ يغضب أحياناً أثناء التعليم. ومن الأحوال التي كان يغضب فيها ما يلي:

١- الغضب على التعنُّت في السؤال[١].

٢- الغضب على اللبيب عند التقصير في الفهم[٢].

٣- الغضب على صدور خطأ ممن لا يتوقع منه[٣].

* * *

(١) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٦٦ إلى ص ١٧١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٠٥ إلى ص ٢٠٩.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٠٣ إلى ص ٢٠٤.

-٣٦-
الغضب على صدور خطأ ممن لا يتوقّع منه

لقد كان النبي ﷺ يزكّي أصحابه ويعلّمهم الكتاب والحكمة، فإذا صدر من بعضهم الخطأ الذي لم يكن يُتَوَقَّع صدوره من أمثالهم كان يغضب وينكر عليهم. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الغضب على البزاق في المسجد:

روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ''بينا النبي ﷺ يصلّي رأى في قبلة المسجد نخامة[1] فحكّها بيده، فتغيَّظ، ثم قال: ''**إنَّ أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حِيال وجهه، فلا يتنخّمنّ حيال وجهه في الصلاة**''.[2]

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ غضب على رؤية نخامة في جدار المسجد إذ لم يكن يتوقع من أصحابه ذلك.

٢- عزل الباصق في القبلة عن الإمامة:

روى الإمامان أبو داود وابن حبان عن أبي سهلة السائب بن خلّاد -وقال أحمد: من أصحاب النبي ﷺ- أنّ رجلاً أمّ قوماً[3] فبصق في القبلة[4]، ورسول الله ﷺ

(١) (**نُخامة**): قيل هي ما يخرج من الصدر، وقيل النخاعة بالعين من الصدر، وبالميم من الرأس. (فتح الباري ١/٥٠٨). وقال الحافظ ابن حجر أيضاً: ''ولا فرق في المعنى بين النخامة والمخاط''. (المرجع السابق ١/٥١٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله تعالى، رقم الحديث ٦١١١، ١٠/٥١٧.

(٣) (**أن رجلاً أمّ قوماً**): أي صلّى لهم إماماً، ولعلهم كانوا وفداً. (عون المعبود ٢/١٠٥).

(٤) (**فبصق في القبلة**): أي في جهتها. (المرجع السابق ٢/١٠٥).

ينظر إليه، فقال رسول الله ﷺ حين فرغ:''**لا يصلي لكم**''[(١)].

فأراد بعد ذلك أن يصلي فمنعوه، وأخبروه بقول رسول الله ﷺ. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال:''**نعم**''، وحسبت[(٢)] أنه قال:''**إنك آذيت الله ورسوله**''[(٣)].

ونجد في الحديث غضبه ﷺ الشديد على ذلك الإمام. ذكر الشيخ العظيم آبادي في شرح الحديث:''أصل الكلام [لا تصل لهم]، فعدل إلى النفي ليؤذن بأنه لا يصلح للإمامة وأن بينه وبينها منافاة، وأيضا في الإعراض عنه غضب شديد حيث لم يجعله محلا للخطاب، وكأن هذا النهي في غيبته''[(٤)].

٣- الغضب على إطالة الصلاة من غير مراعاة أحوال المأمومين[(٥)].

٤- الغضب على قراءة التوراة بحضرته ﷺ[(٦)].

فخلاصة القول أن النبي ﷺ كان يغضب على أصحابه إذا صدر من بعضهم الخطأ الذي لم يكن يتوقع صدوره من أمثالهم.

* * *

---

(١) (**لا يصلي لكم**): أي لا يصلي لكم هذا الرجل بعد اليوم. (عون المعبود ٢/١٠٥-١٠٦).

(٢) (**وحسبت**): أي قال الراوي وظننت. (المرجع السابق ٢/١٠٦).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في كراهية البزاق في المسجد، رقم الحديث ٤٧٨، ٢/١٠٥-١٠٦؛ واللفظ له؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب المساجد، ذكر إيذاء الله جل وعلا بمن بصق في قبلة المسجد، رقم الحديث ١٦٣٦، ٤/٥١٥-٥١٦. وحسنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ١/٩٥).

(٤) عون المعبود ٢/١٠٦.

(٥)، (٦) انظر تخريج الشاهدين والتعليق عليهما في كتابي:''من صفات الداعية: اللين والرفق ص٥١ وص ٥٣.

-٣٧-

الغضب على حاذق لبيب عند التقصير في الفهم

من الأحوال التي كان النبي ﷺ يغضب فيها على أصحابه إذا وجدهم لم يفهموا المعنى الذي يُتوقع إدراكُه من أمثالهم. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الغضب على ظن الدرجات العالية موجبة للتقصير:

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ''كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال ما يطيقون. قالوا: ''إنا لسنا كهيئتك[1] يا رسول الله! إنّ الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر''[2].

فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه، ثم يقول: ''**إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**''[3].

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: ''فيقولون لسنا كهيئتك، فيغضب من جهة أنَّ حصول الدرجات لا يوجب التقصير في العمل، بل يوجب الازدياد شكراً للمنعم الوهّاب، كما أن في الحديث الآخر: ''**أفلا أكون عبداً شكوراً**''[4].

---

(١) (**كهيئتك**): أي ليس حالنا كحالك، وعبَّر بالهيئة تأكيداً. (فتح الباري ٧١/١).

(٢) (**قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر**): أي أنت مغفور لك لا تحتاج إلا عمل، ومع هذا أنت مواظب على الأعمال، فكيف بنا، وذنوبناً كثيرا. (انظر: عمدة القاري ١٦٧/١)

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (**أنا أعلمكم بالله**)، الحديث ٢٠، ٧٠/١.

(٤) فتح الباري ٧١/١.

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى معدِّداً فوائد الحديث:''السادسة: مشروعية الغضب عند مخالفة الأمر الشرعي، والإنكار على الحاذق المتأهل لفهم المعنى إذا قصَّر في الفهم''[(١)].

٢- الغضب على التقصير في الإجابة عند الاستئذان:

روى الشيخان عن جابر رضي الله عنه يقول:''أتيت النبي ﷺ في دَين كان على أبي، فدفَعْتُ الباب، فقال:''**من ذا؟**''.

فقلت:''أنا''.

فقال:''**أنا أنا**''.

كأنه كرهها''[(٢)].

وفي رواية أبي داود الطيالسي:''كره ذلك'' بالجزم[(٣)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ كره إجابة جابر رضي الله عنه بقوله:''أنا''، وأظهر له كراهيته بقوله ﷺ:''**أنا أنا**''. قال العلاّمة الخطابي مبيّنا سبب كراهية ﷺ إجابة جابر رضي الله عنه:''قوله (أنا) لا يتضمّن الجواب، ولا يفيد العلم بما استعمله، وكان حق الجواب أنْ يقول:''أنا جابر'' ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه''[(٤)].

---

(١) فتح الباري ٧١/١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب: إذا قال:''**من ذا؟**'' فقال:''أنا''، رقم الحديث ٦٢٥٠، ٣٥/١١؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة قول المستأذن''أنا''، إذا قيل:''من هذا؟''، رقم الحديث ٣٨ (٢١٥٥)، ١٦٩٧/٣.

(٣) نقلاً عن فتح الباري ٣٥/١١.

(٤) نقلاً عن المرجع السابق ٣٥/١١؛ وانظر أيضا: شرح النووي ١٣٥/١٤.

وحيث لم يكن النبي ﷺ يتوقّع ذلك التقصير من مثل جـــابر ﷺ، فأظـــهر كراهيته لقوله. والله تعالى أعلم بالصواب.

٣- الغضب على عدم إدراك الفرق بينه ﷺ وبين غيره في الوصال:[١]

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال:"نهـــى رســـول الله ﷺ عـــن الوصال، فقال له رجال من المسلمين:"فإنك يا رسول الله! تواصل".

فقال رسول الله ﷺ:"**أيّكم مثلي؟**"[٢] **إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**".

فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً ثم يومـــاً، ثم رأوا الهـــلال، فقال:"**لو تأخّر لزدتكم**".

كالمنكل لهم[٣] حين أبوا"[٤].

ومما نجده في القصة أنه ﷺ غضب على الصحابة الذين لم يدركـــوا الفـــرق بينه ﷺ وبينهم في الوصال. وقد تجلّى غضبه ﷺ في ما يلي:

(أ) قال ﷺ:"**أيّكم مثلي؟**". قال الحافظ ابن حجـــر في شـــرحه:"وهـــذا استفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد"[٥].

---

(١) (**الوصال**): هو الترك في ليالي الصوم لما يفطر بالنهار بالقصد. (فتح الباري ٤/٢٠٢).

(٢) (**أيكم مثلي**): وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد. وقوله: (**مثلي**) أي على صفـــتي ومنـــزلتي من ربي. (المرجع السابق ٤/٢٠٣).

(٣) (**كالمنكل لهم**): والتنكيل المعاقبة. (المرجع السابق ٤/٢٠٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحدود، رقم الحديث ٦٨٥١، ١٢/١٧٦.

(٥) فتح الباري ٤/٢٠٣.

(ب) واصل النبي ﷺ بهم يومين، ثم لما رأوا الهلال، قال ﷺ: ''**لو تأخّر لزدتكم**''. قال العلاّمة العيني في شرحه: ''أي في الوصال إلى أن تعجزوا عنه، فتسألوا التخفيف عنه بالترك''(١).

وجاء في رواية عن أنس ﷺ قال: ''واصل النبي ﷺ آخر الشهر، وواصل أناس من الناس، فبلغ النبي ﷺ، فقال: ''**لو مُدّ بي الشهر لواصلتُ وصالاً يَدَعُ المتعمِّقون تعمُّقهم**''(٢).

هذا، وقد أورد الإمام البخاري حديث أبي هريرة ﷺ في عدة أماكن في صحيحه. ومما ترجم عليه:

(أ) [باب التنكيل لمن أكثر الوصال](٣).

(ب) [باب كم التعزير والأدب](٤).

(ج) [باب ما يكره من التعمُّق والتنازع والغلوّ في الدِّين والبدع](٥).

وقال الحافظ ابن حجر مبيِّناً فوائد الحديث: ''يستفاد منه جواز التعزير بالتجويع ونحوه من الأمور المعنوية''(٦).

---

(١) عمدة القارئ ١١/٧٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التمني، مَا يجوز من اللَّو، رقم الحديث ٧٢٤١، ١٣/٢٢٤-٢٢٥.

(٣) المرجع السابق، كتاب الصيام، ٤/٢٠٥.

(٤) المرجع السابق، كتاب الحدود، ١٢/١٧٥-١٧٦.

(٥) المرجع السابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ١٣/٢٧٥.

(٦) فتح الباري ١٢/١٧٩.

لعل سائلاً يسأل: ''كيف جاز للصحابة مخالفة حكم رسول النبي ﷺ؟ أجاب عن هذا العلامة العيني قائلاً: ''أجيب بأنهم فهموا من النبي أنه للتنزيه لا للتحريم''. (عمدة القارئ ١١/٧٥).

فخلاصة القول أن النبي الكريم ﷺ كان يغضب إذا وجد تقصيراً من حاذق لبيب في فهم ما يتوقع من أمثاله فهمه. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

-٣٨-

إيثار الطلبة الفقراء على النفس والأهل

إنّ مما نجده في سيرة المصطفى ﷺ أنه قد ثبت إيثاره أهل الصفة على نفسه وأهله. ومن الشواهد الدالة على ذلك ما يلي:

١- إيثار أهل الصفة على النفس والأهل في شرب اللبن:

روى الإمام البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: "الله لا إله إلا هو[١]، إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع[٢]، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه[٣]، فمرّ أبو بكر رضي الله عنه، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ و لم يفعل[٤].

ثم مرّ بي عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ و لم يفعل.

---

(١) **(الله لا إله إلا هو)**: (الله) بالنصب قسم حُذِف حرف الجر منه، وثبت في رواية الواو في أوله. (انظر: عمدة القاري ٥٩/٢٣؛ وفتح الباري ٢٨٤/١١).

(٢) **(لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع)**: أي ألصق بطني بالأرض، وكأنه كان يستفيد بذلك ما يستفيده من شدّ الحجر على بطنه، أو هو كناية عن سقوطه إلى الأرض مغشياً عليه. (المرجع السابق ٢٨٤/١١).

(٣) **(على طريقهم الذي يخرجون منه)**: الضمير للنبي ﷺ وبعض أصحابه ممن كان طريق منازلهم إلى المسجد متحدة. (المرجع السابق ٢٨٤/١١).

(٤) **(فمرَّ ولم يفعل)**: أي فمرّ إلى حاله، و لم يفعل أي الإشباع أو الاستتباع. (انظر: عمدة القاري ٥٩/٢٣).

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي، وما في وجهي[١]، ثم قال: ''**يا أباهر!**''.

قلت: ''لبيك رسول الله!''.

قال: ''**الحق**''.

ومضى، فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبنا في قدح، فقال: ''**من أين هذا اللبن؟**''.

قالوا: ''أهداه لك فلان -أو فلانة- ''.

قال: ''**أباهر!**''.

قلت: ''لبيك يا رسول الله!''.

قال: ''**الحق إلى أهل الصفة[٢] فادعهم لي**''.

قال: ''وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، و لم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك[٣]، فقلت: ''ما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن[٤]''.

---

(١) (**وما في وجهي**): أي من التغير فيه من الجوع. (عمدة القاري ٥٩/٢٣).

(٢) (**الحق إلى أهل الصفة**): وقع في رواية: ''**انطلق**''. (المرجع السابق ٥٩/٢٣).

(٣) (**فساءني ذلك**): أهمني ذلك. (المرجع السابق ٥٩/٢٣).

(٤) (**وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن**): أي قائلا في نفسي. (المرجع السابق ٦٠/٢٣).

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم، فدعوهم، فأقبلوا، فاستأذنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم في البيت.

قال: "**يا أباهر!**".

قلت: "لبيك يا رسول الله!".

قال: "**خذ فأعطهم**".

فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حتى يروي، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الرجل، فيشرب حتى يروي، ثم يرد علي القدح، فيشرب حتى يروي، ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: "**أباهر!**".

قلت: "لبيك يا رسول الله!".

قال: "**بقيت أنا وأنت**".

قلت: صدقت يا رسول الله!".

قال: "**اقعد فاشرب**".

فقعدت، فشربت.

فقال: "**اشرب**".

فشربت، فما زال يقول: "**اشرب**"،

حتى قلت: لا، والذي بعثك بالحق! ما أجد له مسلكا".

قال: "**فأرني**".

فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى، وشرب الفضلة[1]"[2].

---

(١) (**الفضلة**): البقية. (عمدة القاري ٢٣/٦٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، =

ومما نجده في الحديث إيثاره ﷺ طلابه الفقراء على نفسه وأهله، حيث بدأ بتقديم اللبن لهم قبل نفسه وأهله. فصلوات ربي وسلامه عليه. قال الحافظ ابن حجر مبيّناً فوائد الحديث: "وفيه كرم النبي ﷺ وإيثاره على نفسه وأهله وخادمه"[1].

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) مقابلته ﷺ طالبه مبتسماً. ولا يخفى أثر ذلك على الطلاّب، ولا سيّما على الطالب الغريب الفقير.

(ب) اهتمامه ﷺ بحال طالبه، وفراسته في معرفة حاله حيث عرف ما في نفس أبي هريرة ﷺ ووجهه عند رؤيته، ثمّ أمره بالمجي وراءه إلى بيته.

(ج) مناداته ﷺ تلميذه بكنيته أربع مرّات في حادثة واحدة، ولا يخفى ما في نداء المعلّم تلميذه بكنيته من تكريم وتأنيس له.

(د) تواضع سيد الخلق ﷺ حيث شرب فضلة طلابه الفقراء.

٢- إيثار الطلاب الفقراء على فاطمة وعلي رضي الله عنهما:

روى الإمام أحمد عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ لما زوّجه فاطمة رضي الله عنها بعث معه بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحَيَيْن وسقاءً وجرَّتين، فقال

-رقم الحديث ٦٤٥٢، ١١/٢٨١-٢٨٢.

(١) فتح الباري ١١/٢٨٩.

علي لفاطمة رضي الله عنهما ذات يوم: ''والله! لقد سنوت[١] حتى لقد اشتكيت صدري''. قال: ''وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه''[٢].

فقالت: ''وأنا والله! قد طحنت حتى مجلت[٣] يداي''.

فأتت النبي ﷺ، فقال: ''**ما جاء بك أي بنية؟**''.

قالت: ''جئت لأسلم عليك''.

واستحيت أن تسأله، ورجعت، فقال: ''**ما فعلت؟**''.

قالت: استحييت أن أسأله''.

فأتيناه جميعا. فقال علي رضي الله عنه: ''يا رسول الله! والله! لقد سنوت حتى اشتكيت صدري''.

وقالت فاطمة رضي الله عنها: ''لقد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة، فأخدمنا''.

فقال رسول الله ﷺ: ''**والله! لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم، وأنفق عليهم أثمانهم**''.

فرجعا، فأتاهما النبي ﷺ، وقد دخلا في قطيفتهما إذ غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: ''**مكانكما**''.

---

(١) (**سنوت**): استقيت، ومنه ''السانية'' وهي الناقة التي يستقى عليها. (هامش المسند للشيخ أحمد شاكر ١٤٩/٢).

(٢) (**فاستخدميه**): اسأليه خادما؛ ولفظ (الخادم) يقع على الذكر والأنثى. (المرجع السابق ١٤٩/٢).

(٣) (**مجلت**): بفتح الميم مع فتح الجيم وكسرها: نفطت من العمل، فمرنت، وصلبت وثخن جلدها، وتعجر، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة. (المرجع السابق ١٤٩/٢).

ثم قال: ''**ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**''.

قالا: ''بلى''.

فقال: ''**كلمات علّمنيهن جبريل عليه السلام**''.

فقال: ''**تسبِّحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبِّران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين**''.

قال: ''فوالله! ما تركتهن منذ علمنيهنّ رسول الله ﷺ''.

قال له ابن الكواء[1]: ''ولا ليلة صفين؟''.

فقال: ''قاتلكم الله! يا أهل العراق! نعم، ولا ليلة صفين''[2].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ آثر أهل الصفة على ابنته الحبيبة وعلى زوجها وابن عمه علي رضي الله عنهما حيث امتنع من إعطائهما خادماً رغم حاجتهما الماسة وطلبهما ذلك.

وقد روى الإمام البخاري نحو هذا الحديث وترجم عليه بقوله:

[باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين، وإيثار النبيﷺ أهل الصفة والأرامل حين سألته فاطمة رضي الله عنها، وشكتْ إليه الطحن والرحى أن يخدمها من السَبْي، فوكلها إلى الله][3].

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

---

(١) (**ابن الكواء**): هو عبد الله بن الكواء، كان من رؤوس الخوارج. (هامش المسند ١٤٩/٢).

(٢) المسند، رقم الحديث ٨٣٨، ١٤٩/٢-١٥٠. وصحّح الشيخ أحمد شاكر إسناده. (هامش المسند ١٤٩/٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، ٢١٥/٦.

(أ) ذهابه ﷺ إلى بيت ابنته الحبيبة فاطمة لتعليمها وزوجها علي رضي الله عنهما[١].

(ب) قيامه ﷺ بالتعليم في الليل[٢].

(ج) تواضعه ﷺ حيث منع فاطمة وعليا رضي الله عنهما من القيام من قطيفتهما لاستقباله ﷺ[٣].

(د) استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام حيث قال قبل التعليم: "**ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**" ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من تأثير في جذب عناية المخاطبين[٤].

(هـ) تقديمه ﷺ البديل عما امتنع من إعطائه فاطمة وعلياً رضي الله عنها إذ امتنع من إعطائهما الخادم، ودلهما على ما هو أجل وأعظم وأعلى من ذلك. وهذا أمر في غاية الأهمية في التربية والتعليم، وقليل من يقوم به.

* * *

(١) انظر تفصيل ذلك في ص ١٦ من هذا الكتاب.

(٢) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١ إلى ص ١٤.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٩٠ إلى ص ١٩٤.

(٤) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

-٣٩-

إدراك مواهب الطلاب

لقد تعلّم الصحابة من النبي الكريم ﷺ، وصاروا سادةً في العلم والعمل، ولكن لم يكونوا على درجة واحدةٍ من الفهم والإدراك، ولا على مستوى واحد في مجـــالات العلم المختلفة، بل كانوا على درجات متفاوتة. فقد كان ﷺ يدرك ذلك، وينـــــزل كل واحد منهم منـــزلته. وفي سيرته العطرة شواهد كثيرة تدلّ على ذلك. ومنها مـــا يلي:

١- بيان ما امتاز به سبعة من الصحابة:

روى الأئمة أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان والبيهقي عن أنــس بــن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**أرحم أمتي[١] بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمــر الله[٢] عمر، وأصدقهم حياءً عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بـــن جبل، وأفرضهم[٣] زيد بن ثابت، وأقرؤهم[٤] أبي بن كعب، ولكـــل أمـــة أمـــين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم**"[٥].

---

(١) (**أرحم أمتي**): أي أكثرهم رحمة. (تحفة الأحوذي ١٠/١٩٩).

(٢) (**أشدّهم في أمر الله**): أي أقومهم في دين الله. (المرجع السابق ١٠/١٩٩).

(٣) (**أفرضهم**): أي أكثرهم علماً بالفرائض. (المرجع السابق ١٠/١٩٩).

(٤) (**أقرؤهم**) أي أعلمهم بقراءة القرآن. (المرجع السابق ١٠/١٩٩).

(٥) المسند ٣/١٨٤ (ط: المكتب الإسلامي)؛ وجامع الترمذي (المطبوع مع تحفة الاحوذي)، أبواب المنـــاقب، مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، رقم الحديث ٤٠٤٣،=

ففي هذا الحديث وصف ﷺ كل صحابي من المذكورين بما امتاز به هو عن غيره. وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر البيان بأن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان أعلم الصحابة بالحلال والحرام][1].

وترجم عليه الإمام البيهقي بقوله:

[باب ترجيح قول زيد بن ثابت رضي الله عنه على غيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في علم الفرائض][2].

٢- بيان ما اختص به أربعة من الصحابة:

روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**استقرؤو القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم**"[3].

= ١٠/١٩٩؛ واللفظ له؛ وسنن ابن ماجة، المقدمة، فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم الحديث ١٤١، ١/٣٠؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب فضل الصحابة والتابعين، ١٦/٢٣٨؛ والسنن الكبرى، كتاب الفرائض، ذكر الإخبار عن القصد بالتخصيص في الفضيلة لأقوام بأعيانهم، رقم الحديث ١٢١٨٦، ٦/٣٤٥. وقال الحافظ ابن حجر عن الحديث: "ورجاله ثقات". (فتح الباري ٧/١٢٦)؛ وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/٢٢٧؛ وصحيح سنن ابن ماجة ١/٣١؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث ١٢٢٤، ٣/٢٢٣).

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ١٦/٢٣٨.

(٢) السنن الكبرى، كتاب الفرائض، ٦/٣٤٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم الحديث ٣٧٦٠، ٧/١٠٢.

ففي هذا الحديث خصّ ﷺ الأربعة من بين الصحابة رضي الله عنهم بـأخذ القرآن عنهم. وقال الحافظ ابن حجر عن سبب تخصيصهم بذلك:''وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم إما لأنهم كانوا أكثر ضبطاً له، وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرّغوا لأخذه عنه مشافهةً، وتصدُّوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم، لا لأنه لم يجمعه غيره''(١).

٣- بيان كون علي رضي الله عنه أكثر الصحابة علماً:

روى الإمامان أحمد والطبراني عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [لفاطمة رضي الله عنها]:''**أما ترضين أن أزوّجك أقدم أمتي سلماً**(٢)**. وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً**''(٣).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ بيّن أن علياً رضي الله عنه أكثر الصحابة علماً.

٤- اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لتعلّم لغة يهود:

روى الأئمة أحمد وأبو داود والترمذي عن زيد رضي الله عنه: أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة، قال زيد رضي الله عنه:''ذُهِبَ بي إلى النبي ﷺ فأعجِب بي، فقالوا:''يا رسول الله! هذا غلام من بني النجار، معه ما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة''.

---

(١) فتح الباري ١٠٢/٧؛ وانظر أيضاً عمدة القاري ٢٤٦/١٦.

(٢) (سلماً): أي: إسلاماً.

(٣) نقلاً عن مجمع الزوائد، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، باب إسلامه رضي الله عنه، ١٠١/٩ باختصار. وقال عنه الحافظ الهيثمي:''رواه أحمد، والطبراني، وفيه خالد بن طهمان، وثقه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله ثقات''. (المرجع السابق ١٠١/٩).

فأعْجبَ ذلك النبيَ ﷺ، وقال:''يا زيد! تعلّم لي كتاب يهود، فإنّي والله! ما آمَن يهود على كتابي''[١].

قال زيد ﷺ:''فتعلّمتُ له كتابهم، ما مرّتْ بي خمس عشرة ليلة حتى حَذَقْتُه[٢]''.

وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنهم إذا كتب''[٣].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ قد اختار زيد بن ثابت ﷺ لمهمة تعلّم لغة اليهود، وقد كان أهلاً للقيام بها، إذ أتقن تعلّم تلك اللغة خلال نصف شهر.

فوائد أخرى في الحديث:

ومن الفوائد الأخرى الموجودة في هذا الحديث ما يلي:

(أ) نداؤه ﷺ تلميذه باسمه. ولا يخفى ما في هذا النداء من إدخال السرور والفرح على قلب التلميذ، وما فيه من حثٍ على القيام بما أُمر به[٤].

---

(١) (**ما آمن يهود على كتابي**): أي أخاف إن أمرت يهودياً بأن يكتب كتاباً إلى اليهود أو يقرأ كتاباً جاء من اليهود أن يزيد فيه أو ينقص. (عون المعبود ٥٦/١٠).

(٢) (**حذقته**): أي عرفته، وأتقنته، وعلمته. (المرجع السابق ٥٦/١٠).

(٣) المسند، رقم الحديث ٢١٦١٨، ٤٩٠/٣٥ (ط: مؤسسة الرسالة)؛ واللفظ له؛ وسنن أبي داود، كتاب العلم، باب رواية أهل الكتاب، رقم الحديث ٣٦٤٠، ٥٦/١٠؛ وجامع الترمذي، أبواب الاستئذان والآداب، باب في تعليم السريانية، رقم الحديث ٢٨٥٨، ٤١٢/٧-٤١٣. وقال عنه الإمام الترمذي: ''هذا حديث حسن صحيح''. (المرجع السابق ٤١٣/٧)؛ وقال عن رواية المسند الشيخ شعيب الأرناؤوط ورفقاؤه:''إسناده حسن''. (هامش المسند ٤٩٠/٣٥)؛ وقال الشيخ الألباني عن رواية أبي داود والترمذي:''حسن صحيح''. (صحيح سنن أبي داود ٦٩٥/٢؛ وصحيح سنن الترمذي ٣٤٩/٢).

(٤) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(ب) بيانه ﷺ تعليل أمره حيث قال بعد أمره: "**فإني والله! ما آمـــن يـــهود على كتابي**". قال العلاّمة المباركفوري في شرحه: "(وقال) أي النـــبي ﷺ في تعليـــل الأمر على وجه الاستئناف المبين"(١). وإن هذا بلا شك يحثّ على تنفيذ الأمر أكثر.

فخلاصة القول أن النبي الكريم ﷺ كان يدرك مواهب طلابه، وينـــزل كـــل واحد منهم منـــزلته.

* * *

---

(١) تحفة الأحوذي ٤١٣/٧.

-٤٠-

مراعاة أحوال المتعلمين

لقد كان النبي الكريم ﷺ يراعي أحوال طلابه في التعليم. ويتجلى ذلك في جوانب عدة. ومنها ما يلي:

١- التعرف على المتعلمين:

ومما يدل على ذلك أن النبي الكريم ﷺ كان يسأل عن أصل شخص غريب أو وفد غريب عند التقائه بهم. ومن شواهد ذلك ما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: "**من القوم -أو من الوفد-**[1]؟

قالوا: "ربيعة".

قال: "**مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى**" الحديث[2].

قال الإمام ابن أبي جمرة تعليقا على الحديث: "في هذا من الفقه أن ينزل كل إنسان منزلته، لأن سؤاله عليه السلام إنما كان لأجل هذا المعنى، لأنه عليه السلام قد

---

(١) (**الوفد**): الجماعة المختارة من القوم ليتقدموهم في لقي العظماء، والمصير إليهم في المهمات، واحدهم وافد. (انظر: شرح النووي ١/١٨١).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، جزء من رقم الحديث ٥٣، ١/١٢٩؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ....، جزء من رقم الحديث ٢٤ (١٧)، ١/٤٧.

نصّ على ذلك في غير هذا الحديث حيث قال: ''**أنزلوا الناس منازلهم**''. فما نصّ عليه في هذا الحديث فَعَله فيما نحن بسبيله، فإذا لم يعرف الإنسان القادم عليه، لم يتأت له أن ينزله منزلته''[١].

ومن إنزال الناس منازلهم أن يُحَدَّث المتعلّمون على قدر عقولهم.

٢- التخوّل بالموعظة والعلم:

من المعروف حبُّ الصحابة رضي الله عنهم حبّاً شديداً للنبي الكريم ﷺ، وحرصهم البالغ على الاستماع والاستفادة منه، ولكنه ﷺ رغم هذا كله، كان يراعي الأوقات في تذكيرهم وتعليمهم، ولم يكن يفعله كل يوم، وكل وقت. ومما يدلّ على هذا ما رواه الشيخان عن شقيق أبي وائل قال: ''كان عبد الله ﷺ يذكّرنا كل يوم خميس، فقال له رجل: ''يا أبا عبد الرحمن! إنا نحبّ حديثك ونشتهي، ولوددنا أنّك حدثتنا كل يوم''.

فقال: ''ما يمنعني أن أحدِّثكم إلا كراهية أن أملّكم[٢]. إنَّ رسول الله ﷺ كان يتخوّلنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة[٣] علينا''[٤].

قال الإمام الخطابي: ''المراد أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم، ولا يفعله كل يوم خشية الملل، والتخوّل بالعهد''[٥].

---

(١) بهجة النفوس ١/٩٤.

(٢) (**أُملّكم**): بضم الهمزة، أي أضجركم. (فتح الباري ١/١٦٤).

(٣) (**السآمة**): بالمد الملل. (شرح النووي ١٧/١٦٣).

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، رقم الحديث ٧٠، ١/١٦٣؛ وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة، رقم الحديث ٨٣ (٢٨٢١)، ٤/٢١٧٣؛ واللفظ له.

(٥) نقلاً عن فتح الباري ١١/٣٢٨.

وقال العلاّمة الطيبـــي: ''المعنى أنه كان يتفقّد بالموعظة في مظان القبـــول، ولا يكثر علينا لئلا نسأم''[١].

هذا، وقد ذكر الإمام البخاري هذا الحديث في ثلاثة أبواب مـــن صحيحـــه، وترجم عليه على النحو التالي:

١- [باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا][٢].

٢- [باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة][٣].

٣- [باب الموعظة ساعة بعد ساعة][٤].

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث: ''وفيه رفق النبي ﷺ بأصحابـــه، وحسن التوصل إلى تعليمهم، وتفهيمهم ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملـــل، ويُقتدى به في ذلك، فإن التعليم بالتدريج أخف مؤونة، وأدعى إلى الثبات من أخـــذه بالكد والمغالبة''[٥].

٣- تخصيص بعض الصحابة ببعض العلم دون غيرهم:

ومما يدلّ كذلك على اهتمام النبي الكريم ﷺ بمراعاة أحوال طلابه أنه كـــان يخصِّص بعض أصحابه ببعض العلم دون غيره. ومن شواهد ذلك ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ ومعاذ ﷺ رديفه الرحل قال: ''**يا معاذ بن جبل!**''.

(١) شرح الطيبـــي ٢/٦٦٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، ١/١٦٢.

(٣) المرجع السابق ١/١٦٣.

(٤) المرجع السابق، كتاب الدعوات، ١١/٣٢٨.

(٥) فتح الباري ١١/٣٢٨.

قال: ''لبيك يا رسول الله! ﷺ وسعديك''[١].

قال: ''**يا معاذ!**''.

قال: ''لبيك يا رسول الله! ﷺ وسعديك(ثلاثاً)''[٢].

قال: ''**ما من أحد يشهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمـــداً ﷺ رســـول الله صدقاً**[٣] **من قلبه**[٤] **إلا حرّمه الله على النار**''.

قال: ''يا رسول الله أفلا أخبر به الناس، فيستبشروا؟''.

قال: ''**إذاً يتكلوا**''.

وأخبر بها معاذ رضي الله عنه عند موته تأثُّماً''[٥].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أخبر معاذاً رضي الله عنه بشيء، و لم يأذن له بنقل ذلـــك الخبر إلى غيره. وما الحكمة في ذلك؟

أجاب الإمام البخاري عن هذا حيث ترجم على الحديث بقوله:

[باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا][٦].

---

(١) (**لبيك يا رسول الله! ﷺ وسعديك**): اللبّ بفتح اللام، معناه هنا الإجابة، والسعد المساعدة، كأنه قال: ''لباً لك وإسعاداً لك، ولكنهما ثنّيا على معنى التأكيد، والتكثير أي إجابة بعد إجابة، وإسعاداً بعد إسعاد. (فتـح الباري ١/٢٢٦).

(٢) (**ثلاثاً**): أي النداء والإجابة قيلا ثلاثاً. (المرجع السابق ١/٢٢٦).

(٣) (**صدقاً**): فيه احتراز عن شهادة المنافق. (المرجع السابق ١/٢٢٦).

(٤) (**من قلبه**): ''يمكن أن يتعلّق بـــ (**صدقاً**) أي يشهد بلفظه ويصدق بقلبه، ويمكن أن يتعلق بـــ[**يشـــهد**] أي يشهد بقلبه''. (المرجع السابق ١/٢٢٦).

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقـم الحديث ١٢٨، ١/٢٢٦؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات علـــى التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم الحديث ٥٣ (٣٢)، ١/٦١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب العلم ١/٢٢٥.

وقال العلاّمة العيني تعليقاً على الحديث: ''فيه أنه يجب أن يُخَصَّ بالعلم قوم فيهم الضبط وصحة الفهم، ولا يُبْذَل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة، ومن يخاف عليه الترخُّص، والاتّكال لتقصير فهمه''[1].

فوائد أخرى في الحديث:

ومن الفوائد الأخرى الموجودة في الحديث ما يلي:

(أ) قيامه ﷺ بالتعليم في الطريق.

(ب) مناداته ﷺ تلميذه باسمه[2].

(ج) التكرار في النداء قبل البدء في التعليم لجذب العناية التامة للطالب[3].

٤- التنوّع في الوصية:

لقد كان الرسول الكريم يراعي أحوال طلابه عندما كان يوصيهم، فكان يوصي كل شخص بحسب ما يقتضيه حاله، وما كان أنسب له، وأقرب لشأنه. ومن الشواهد الكثيرة الدالة على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) عمدة القاري ٢/٢٠٨.

ولعل سائلاً يقول: لِمَ أخبرَ معاذ رضي الله عنه رغم نهي النبي الكريم ﷺ عن الإخبار؟ نجد الإجابة عن ذلك في قول أنس رضي الله عنه: ''فأخبر به معاذ رضي الله عنه عند موته تأثماً''. ومعنى [تأثماً]: خشية الوقوع في الإثم، والمراد بالإثم الحاصل من كتمان العلم. (انظر: فتح الباري ١/٢٢٧). وأضاف الحافظ ابن حجر قائلاً: ''ودلّ صنيع معاذ رضي الله عنه على أنه عرف أن النهي عن التبشير كان على التنزيه، لا على التحريم، وإلا لما كان يخبر به أصلاً. (المرجع السابق ١/٢٢٧).

(٢) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥٣ إلى ص ٥٨.

قال: ''أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهن حتى أموت: صومِ ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر''[١].

أثار الإمام ابن أبي جمرة سؤالاً أثناء شرحه لهذا الحديث، فقال: ''لِمَ أوصى النبي ﷺ بذلك لأبي هريرة رضي الله عنه، وخصَّه بها دون غيره؟''.

ثم أجاب عن هذا السؤال بنفسه، فقال رحمه الله تعالى: قد كان عليه السلام يوصي لكل شخص بحسب ما يقتضيه حاله، وما هو الأقرب في حقّه، كما أوصى لغير أبي هريرة رضي الله عنه حين سأله في الوصية: ''**برِّ الوالدين**''، وكما قال للآخَر أيضاً حين سأله في الوصية: ''**صلِّ صلاة مودِّع واقطع الإياس مما في أيدي الناس**''، وكما قال في عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ''**نِعْمَ الرجل! لو كان يقوم الليل**'' إلى غير ذلك. فخصّ أبا هريرة بهذه الوصية كذلك، لأن ذلك هو الذي يقتضيه حاله، لأنه كان منقطعاً للتعبُّد، وما أوصاه هو شعار العبّاد أبداً، فأوصاه بما كان من جنس شعار التعبُّد بأقل ما يمكن منه، لئلا يلتزم كل ما يؤمر به، وقد يكون عليه ذلك مشقة، ولو أوصاه بأكثر لالتزم ذلك، وواظب عليه كما التزم بهذه الوصية.

فبيَّن له عليه السلام بتلك الوصية أي جنس من الأعمال هو أقرب في حقّه، وتَركَه يفعل منه بحسب همته ومقدرته، لأنه حدَّ له الطرفَ الواحد الذي هو الأقل، وسكت عن آخر الذي هو الأكثر. وذلك أنّ أفعال البر لا يستوي فيها الناس، فربَّ شخص يكون الانقطاع إلى التعبُّد به أولى، وآخر تكون مجالسة العلماء والدرس والقراءة والنظر به أولى، وآخر يكون السفر والجهاد له أولى إلى غير ذلك. ولا ينظر إلى فضيلة الأعمال من حيث هي، وإنما يُنْظر إلى الفاعل، لأنه عليه السلام لم يكن

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب صلاة الضحى في الحضر، رقم الحديث ١١٧٨، ٥٦/٣.

ليقتصر على فعل واحد، فيوصي به الناس عن آخِرهم، وإنما يختار لكل شخص ما فيه أهلية إليه[١].

٥- التنوع في التعليم:

لقد كانت الوفود تفد إلى النبي ﷺ، فكان يراعي أحوالهم عند تعليمهم. ولهذا شواهد كثيرة. فمن ذلك على سبيل المثال أنه جاء إليه وفد عبد القيس، فكان مما أمرهم به كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: "**وأن تؤدوا إليَّ خمسَ ما غنمتم**"[٢].

وجاء إليه جرير بن عبد الله رضي الله عنه فكان مما علّمه ﷺ كما رواه الإمام البخاري عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، والزكاة، والنصح لكل مسلم"[٣].

قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث: "وكان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلّم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس، فبايع جريراً رضي الله عنه على النصيحة لأنه كان سيد قومه، فأرشده إلى تعليمهم بأمره بالنصيحة لهم، وبايع وفد عبد القيس على أداء الخمس لأنهم كانوا أهل محاربة مع من يليهم من كفار مضر"[٤].

---

(١) بهجة النفوس ٢/٢٠١-٢٠٢ باختصار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، جزء من رقم الحديث ٥٢٣، ٢/٧.

(٣) المرجع السابق، باب البيعة على أقام الصلاة، رقم الحديث ٥٢٤، ٢/٧.

(٤) فتح الباري ٢/٧.

٦- التنوّع في التعامل:

لقد كان النبي الكريم ﷺ يراعي أحوال الصحابة عند التعامل معهم، فكان يتعامل مع كل منهم بأسلوب ملائم معه. أذكر في هذا المقام بتوفيق ربي عز وجل على سبيل المثال قصتين يتجلّى فيهما هذا الأمر:

(أ) حديث أنس رضي الله عنه:

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بلبن قد شِيب بماءٍ، وعن يمينه أعرابي وعن شماله أبو بكر رضي الله عنه، فشرب ثم أعطى الأعرابي، وقال: "**الأيمن فالأيمن**"[1].

(ب) حديث سهل بن سعد رضي الله عنه:

روى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه -وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ- فقال للغلام: "**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**".

فقال الغلام: "والله! يا رسول الله ﷺ! لا أوثر بنصيبي منك أحداً".

قال: "**فتلّه[2] رسول الله ﷺ في يده**"[3].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الأيمن فالأيمن في الشرب، رقم الحديث ٥٦١٩، ٨٦/١٠؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، رقم الحديث ١٢٤ (٢٠٢٩)، ١٦٠٣/٣.

(٢) (**فتلّه**): أي وضعه. (رياض الصالحين ص ٢٦٩).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر؟، رقم الحديث ٥٦٢٠، ٨٦/١٠؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، رقم الحديث ١٢٧ (٢٠٣٠)، ١٦٠٤/٣.

قال الإمام النووي: ''وهذا الغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما''[(١)].

ففي هذين الحديثين نرى التنوع في تعامل النبي الكريم ﷺ مع كل من الأعرابي والغلام. لقد كان كل واحد منهما على يمينه ﷺ، وكان كبار القوم عن يساره ﷺ، فاستأذن ﷺ الغلام في إعطاء من كان على يمينه قبله، ولم يستأذن الأعرابي، بل أعطاه ﷺ قبل من كان على يمينه. ولم يكن هذا التنوع منه ﷺ في التعامل معهما إلا مراعياً أحوال كل منهما. وقد بيّن ذلك المحدثون جزاهم الله تعالى عنا خير الجزاء، فعلى سبيل المثال قال العلاّمة القرطبي: ''وإنما استأذن النبي ﷺ الغلام، ولم يستأذن الأعرابي في الحديث الآخر، وبدأ به قبل أبي بكر رضي الله عنه لما علِم النبي ﷺ من حال الغلام: أن ذلك الاستئذان لا يخجله ولا ينفره لرياضته، وحسن خلقه،ولينه بخلاف الأعرابي؛ فإن الجفاء والنفرة غالبة على الأعراب، فخاف عليه أن يصدر منه سوء أدب. والله تعالى أعلم''[(٢)].

٧- الاختلاف في الفتوى باختلاف أحوال السائلين:

ومن أدلة عنايته ﷺ أحوال المخاطبين مراعاته أحوالهم في الإفتاء. ومن شواهد ذلك ما رواه الإمام البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ''خطبنا النبي ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال: **''من صلّى صلاتنا ونسك نسكنا[(٣)] فقد أصاب النُسك، ومن نسك قبل الصلاة فإنه[(٤)] قبل الصلاة ولا نسك له''**.

---

(١) رياض الصالحين ص ٢٦٩.

(٢) المفهم ٢٩١/٥؛ وانظر أيضاً: شرح النووي ٢٠١/١٣-٢٠٢؛ وشرح الطيبي ٢٨٨٠/٩؛ وفتح الباري ٨٦/١٠-٨٧؛ ومرقاة المفاتيح ١٠٠/٨-١٠١.

(٣) **(ونسك نسكنا)**: نسك ينسك من باب نصر ينصر إذا ذبح، والنسيكة الذبيحة، وجمعها نسك ومعنى **[ونسك نسكنا]** أي من ضحّى مثل ضحيتنا. (انظر: عمدة القاري ٢٧٨/٦).

(٤) **(فإنه)**: أي النسك، حاصل المعنى أن من نسك قبل الصلاة فلا اعتداد بنسكه، ولفظ **(ولا نسك له)** كالتوضيح والبيان له. (المرجع السابق ٢٧٨/٦).

فقال أبو بردة بن نيار خال البراء رضي الله عنهما: ''يارسول الله! ﷺ فإني نسكت شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب، وأحببت أن تكون شاتي أول ما يُذبَح في بيتي، فذبحت شاتي وتغدّيت قبل أن آتي الصلاة''.

قال: ''**شاتك شاة لحم**''.

قال: ''يا رسول الله! فإن عندنا عناقاً لنا جذعة[١] هي أحب إليّ من شاتين[٢] أفتجزئ عني؟''.

قال: ''**نعم، ولن تجزيء عن أحد بعدك**''[٣].

من المعلوم أنه لا تجزيء الجذعة من المعز بخلاف الجذعة من الضأن، ولكن النبي الكريم ﷺ غيّر فتواه لخال البراء رضي الله عنهما مراعياً أحواله، فقرّر أن الجذعة من المعز تجزى عنه. فقد قال ﷺ: ''**نعم، ولن تجزيء عن أحدٍ بعدك**''. قال العلاّمة العيني في شرح الحديث: (**بعدك**): أي غيرك، وذلك لأنه لا بد في تضحية المعز من الثني، وهذا من خصائص أبي بردة رضي الله عنه كما أن قيام شهادة خزيمة رضي الله عنه مقام شهادتين من خصائص خزيمة رضي الله عنه، ومثله كثير''[٤].

---

(١) (**لنا جذَعَة**): هما صفتان للعناق، ولا يقال عناقة لأنه موضوع للأنثى من ولد المعز، فلا حاجة إلى التاء الفارقة بين المذكر والمونث. (عمدة القاري ٢٧٨/٦).

(٢) (**أحب إلي من شاتين**): يعني من جهة طيب لحمها وسمنها وكثرة قيمتها. (المرجع السابق ٢٧٨/٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الأكل يوم النحر، رقم الحديث ٩٥٥، ٤٤٧/٢-٤٤٨.

(٤) عمدة القاري ٢٧٨/٦؛ وانظر أيضاً: المرجع السابق ٢٧٧/٦.

وقال الحافظ ابن حجر مبيِّناً فوائد الحديث: إن المفتي إذا ظهرت له من المستفتي أمارة الصدق كان له أن يسهل عليه، حتى لو استفتاه اثنان في قضية واحدة جاز أن يفتي كلا منهما بما يناسب حاله[(١)]. [(٢)]

تنبيه:

إلى جانب هذه الوجوه السبعة، هناك وجوه أخرى تتجلّى فيها عناية النبي الكريم ﷺ بمراعاة أحوال طلابه. وقد تحدّثت بتوفيق ربي عز وجل عن ذلك من خلال تسعة عشر وجهاً بإيراد ثمانين شاهداً من سيرته العطرة ﷺ في كتابي: "من صفات الداعية: مراعاة أحال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين"[(٣)]. ومن أراد التفصيل فليرجع إليه.

* * *

(١) ومن شواهد ذلك إذن النبي ﷺ تقبيل الشيخ أثناء الصوم، ومنع الشاب من ذلك. (انظر تخريج الحديث في ص ٢٤٣ من هذا الكتاب.

(٢) انظر: فتح الباري ٢/٤٤٨.

(٣) وذلك من ص ٣٣ إلى ص ١١٧ من الكتاب المذكور.

-٤١-
تكريم فضلاء الأصحاب

لقد ثبت من سيرة النبي الكريم ﷺ تبجيله فضلاء أصحابه ومدحهم في وجوههم، وكان في هذا بلا شك حث كبير على الاستمرار فيما كانوا هم فيه من العلم والخير والصلاح.

ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- تهنئة أبي بن كعب رضي الله عنه بالعلم:

روى الإمام مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**يا أبا المنذر! أتدري أيّ آية من كتاب الله معك[1] أعظم؟**".

قال: قلت: "الله ورسوله أعلم".

قال: "**يا أبا المنذر! أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**".

قال: قلت: "﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾".

قال: "فضرب في صدري، وقال: "**والله! ليهنئك العلمُ أبا المنذر!**"[2].

---

(١) (**معك**): وقع موقع البيان لما كان يحفظه من كتاب الله، لأن "مع" كلمة تدل على المصاحبة. (شرح الطيبي ٥/١٦٤٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث ٢٥٨ (٨١٠)، ١/٥٥٦.

ومما نجده في الحديث أن أُبي بن كعب رضي الله عنه لما أصاب في الإجابة وقّره النبي الكريم ﷺ وشرّفه بقوله: "**والله! ليهنئك العلم أبا المنذر!**".

ومعنى قوله ﷺ: "**ليهنئك العلم**" -كما قال العلامة الطيبي- ليكن العلم هنيئاً لك، هذا دعاء له بتيسير العلم له، ورسوخه فيه، وإخبار بأنه عالم[(١)].

وقال رحمه الله تعالى أيضاً: "ظاهره أمر للعلم بأن يكون هنيئاً له، ومعناه الدعاء، وحقيقته إخباره على سبيل الكناية بأنه راسخ في العلم ومجيد فيه"[(٢)].

وقال الإمام النووي تعليقاً على الحديث: "وفيه تبجيل العالِم فضلاء أصحابه، وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجابه ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى"[(٣)].

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) استفساره ﷺ أُبي بن كعب رضي الله عنه في باب العلم. قال الإمام الطيبي: إنّ سؤال الرسول ﷺ من الصحابي في باب العلم إما أن يكون للحث على الاستماع لما يريد أن يلقي عليه[(٤)]، أو الكشف عن مقدار فهمه ومبلغ علمه[(٥)].

---

(١) انظر: شرح الطيبي ٥/١٦٤٤.

(٢) المرجع السابق ٥/١٦٤٤.

(٣) شرح النووي ٦/٩٣؛ وانظر أيضاً: شرح الطيبي ٥/١٦٤٤.

(٤) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٢٠ إلى ص ١٢٣.

(٥) انظر: شرح الطيبي ٥/١٦٤٣.

(ب) ضربه ﷺ في صدر أُبي بن كعب رضي الله عنه. وفي هذا من التأنيس والمحبة ما لا يخفى. قال الملاّ علي القاري في شرحه: (فَضرب) أي: النبي ﷺ (في صدري) أي: محبةً"[1].

٢- الثناء على حسن تلاوة أبي موسى رضي الله عنه:

روى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: "**لو رأيتَني وأنا استمع لقراءتك البارحة! لقد أُوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود** عليه السلام""[2].

قال الإمام النووي في شرحه: "قال العلماء: "المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء، وآل داود هو داود نفسه، وآل فلان قد يطلق على نفسه، وكان داود عليه السلام حسن الصوت جداً""[3].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ شرّف أبا موسى رضي الله عنه بالثناء على صوته الحسن عند تلاوة القرآن الكريم.

٣- الثناء على حسن قراءة ابن مسعود رضي الله عنه:

ومن شواهد ذلك ما يلي:

(أ) حديث الإمام مسلم:

روى الإمام مسلم عن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنت بحمصَ، فقال لي بعض القوم: "اقرأ علينا"".

---

(١) مرقاة المفاتيح ٦٢٩/٤. وانظر تفصيل هذا الموضوع في هذا الكتاب من ص ٦٤ إلى ص ٦٧.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن، رقم الحديث ٥٠٤٨، ٩٢/١٠؛ وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم الحديث ٢٣٦ (٧٩٣م)، ٥٤٦/١؛ واللفظ له.

(٣) شرح النووي ٨٠/٦؛ وانظر أيضاً: شرح الطيبي ٣٩٢٨/١٢؛ وفتح الباري ٩٣/١٢.

فقرأت عليهم سورة يوسف.

قال: ''فقال رجل من القوم: ''والله! ما هكذا أنزلت''.

قال: قلت: ''ويحك! والله! لقد قرأتها على رسول الله ﷺ، فقال لي: ''**أحسنت**''''[1].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أثنى على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: ''**أحسنت**''.

(ب) حديث الإمام أحمد:

روى الإمام أحمد عن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتاه بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعبد الله رضي الله عنه يصلي، فافتتح النساء، فسحلها[2]، فقال النبي ﷺ: ''**من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**''.

ثم تقدّم يَسْأل، فجعل النبي ﷺ يقول: ''**سلْ تعْطَهْ، سلْ تُعْطَه**'' **[سل تعطه]** فقال فيما سأل: ''اللهم إنِّي أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمدﷺ في أعلى جَنة الخلد''.

قال ''فأتى عمر عبد الله ليبشِّر، فوجد أبا بكر رضي الله عنهم قد سبقه، فقال: ''إنْ فعلتَ لقد كنتَ سبَّاقاً بالخير''''[3].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، ...، جزء من رقم الحديث ٢٤٩ (٨٠١)، ١/٥٥١.

(٢) (**فَسَحَلها**): أي قرأها كلها قِراءة متتابعة متصلة، وهو من السحل بمعنى السبح والصب. (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ''سحل''، ٢/٣٤٨).

(٣) المسند، رقم الحديث ٤٢٥٥، ٦/١٢٨-١٢٩. وصحّح الشيخ أحمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ٦/١٢٨).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ عظّم قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: ''**من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد رضي الله عنه**''.

وفي رواية أخرى: ''**من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد رضي الله عنه**'' (١).

الله أكبر! ما أجل ذلك التعظيم! وما أعلاه من تشريف وتكريم! وما أسعد أولئك الأبرار من الأصحاب الكرام الذين نالوه على لسان أصدق الخلق الناطق بالوحي ﷺ! ورضي الله تعالى عن أصحابه الأبرار وأرضاهم وجعلنا على دربهم. آمين ياحي ياقيوم.

وفي هذا تنبيه لأولئك المعلّمين الذين يرون أن الثناء على طلابهم يضعف شخصياتهم، ويقلّل من هيبتهم. وهذا ظنهم الفاسد، إنّ إعطاء ذي حق حقه لا يضعف شخصية المعلّم، بل يقوّيها، ويجمّلها.

٤- الثناء على سالم رضي الله عنه بسبب حسن قراءته:

روى الإمام البزار عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سمع سالماً مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما يقرأ من الليل، فقال: ''**الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله**''(٢).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أثنى على سالم لما سمع حسن قراءته في الليل.

---

(١) انظر: المسند، رقم الحديث ١٧٥ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ١/٢٢٩-٢٣٠، وله إسنادان صحيحان. (انظر: هامش الشيخ أحمد شاكر علي المسند ١/٢٢٩).

(٢) نقلاً عن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب فضل سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما، ٩/٣٠٠. وقال عنه الحافظ الهيثمي: ''رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح''. (المرجع السابق ٩/٣٠٠).

٥- الثناء على أهل بلد سلمان رضي الله عنه:

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ''كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[(١)]، قال رجل: ''من هؤلاء يا رسول الله!؟''.

فلم يراجعه النبيُّ ﷺ حتى سأله مرةً أو مرتين أو ثلاثاً[(٢)]، قال: ''وفينا سلمان رضي الله عنه''.

قال: ''فوضع النبي ﷺ يده علي سلمان[(٣)] الفارسي رضي الله عنه، ثم قال: ''**لو كان الإيمان عند الثريا[(٤)]، لناله رجال من هؤلاء[(٥)]**''[(٦)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ مدح أهل بلد سلمان رضي الله عنه. وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر شهادة المصطفى ﷺ لأهل فارس بقول الإيمان والحق][(٧)].

---

(١) سورة الجمعة/ جزء من الآية ٣.

(٢) (**فلم يراجعه النبيُّ ﷺ حتى سأله مرةً أو مرتين أو ثلاثاً**): وفي رواية: ''حتى سأله ثلاث مرات''، بالجزم. (فتح الباري ٦٤٢/٨). والمراد: فلم يراجع النبي ﷺ السائل، أي لم يعد عليه جوابه حتى سأل ثلاث مرات. (المرجع السابق ٦٤٢/٨؛ وعمدة القاري ٢٣٥/١٩).

(٣) (**فوضع النبي ﷺ يده علي سلمان**): وفي رواية ''يده على فخذ سلمان'' رضي الله عنه (انظر: فتح الباري ٦٤٢/٨).

(٤) (**الثريا**): نجم معروف. (المرجع السابق ٦٤٢/٨).

(٥) (**من هؤلاء**):جمع اسم الإشارة، والمشار إليه سلمان رضي الله عنه وحده، إرادة الجنس. (شرح الطيبي ٣٩٣٣/١٢).

(٦) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الجمعة، باب قوله:﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، رقم الحديث ٤٨٩٧، ٦٤١/٨؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس، رقم الحديث ٢٣١ (٢٥٤٦)، ١٩٧٢/٤-١٩٧٣؛ واللفظ له.

(٧) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب الحجاز واليمن والشام وفارس وعمان، ٢٩٨/١٦.

وقال الإمام النووي "فيه منقبة ظاهرة لهم"[١].

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) لم يجب ﷺ السائل حتى أعاد السؤال ثلاث مرات، وهذا أدعى لإقبال السائل والسامعين على الإجابة بالكلية.

(ب) ضربه ﷺ يده على فخذ سلمان رضي الله عنه، وفي ذلك من التأنيس والتنبيه ما لا يخفى[٢].

٦- الإعجاب بتصدُّق أبي طلحة رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب ماله إليه بيرحاء[٣] مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب".

قال أنس رضي الله عنه: فلما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٤]، قام أبو طلحة رضي الله عنه فقال: "يا رسول الله! إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها حيث أراك الله".

---

(١) شرح النووي ١٦/١٠٠.

(٢) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٦٤ إلى ص ٦٧.

(٣) (بيرحاء): بفتح الباء، وسكون الياء، وفتح الراء، وجاء في ضبطها أوجه كثيرة أخرى. (انظر: فتح الباري ٣/٢٢٦).

(٤) سورة آل عمران/ جزء من الآية ٩٢.

فقال:"**بخ ذلك مال رابح**-أو رايح، شك ابن مسلمة-**وقد سمعت ما قلت**". الحديث[١].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ أبدى رضاه وإعجابه بتصدّق أبي طلحة ﷺ بستانه بيرحاء. وعبَّر عن ذلك بقوله:"**بخ**". قال الحافظ ابن حجر:"معناها تفخيم الأمر والإعجاب به"[٢].

وقال رحمه الله تعالى أيضاً مبيِّناً فوائد الحديث: صوّب ﷺ رأيه، وشكر عن ربه فعله، وكنّى عن رضاه بذلك بقول:"**بخ**"[٣].

* * *

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً و لم يبيِّن الحدود فهو جائز، وكذلك الصدقة، جزء من رقم الحديث ٢٧٦٩، ٥/٣٩٦.

(٢) فتح الباري ٥/٣٩٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ٥/٣٩٨.

-٤٣-

ملاحظة آثار الأقوال والأفعال على الصحابة

إنَّ مما ثبت في سيرة نبينا الكريم ﷺ أنه لم يكن يقتصر على الإلقاء والتلقين، بل كان يلاحظ آثار أقواله وأفعاله على أصحابه، ويزيل ما ينشأ من لبس أو أشكال أو استغراب لديهم بسبب ذلك. ولهذا شواهد كثيرة في سيرته المطهرة. ومنها ما يلي:

١- ملاحظة أثر الإخبار عن منزلة المعوذتين:

روى الأئمة أحمد والنسائي وابن خزيمة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ''كنت أقود برسول ﷺ في السفر، فقال رسول الله ﷺ: **''يا عقبة! ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟''**.

فعلّمني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

فلم يرني سررت بهما جداً.

فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس. فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إلي، فقال: ''يا عقبة! كيف رأيت؟''[(١)].

---

(١) المسند، رقم الحديث ١٧٣٥٠، ٥٨٣/٢٨ (ط: مؤسسة الرسالة)؛ وسنن النسائي، كتاب الاستعاذة، ٢٥٣/٨؛ واللفظ له؛ وصحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب قراءة المعوذتين في الصلاة...، رقم الحديث ٥٣٥، ٢٦٦/١. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن النسائي ١١٠٦/٣)؛ وحسّن الشيخ شعيب الأرناؤوط ورفقاؤه إسناد رواية المسند. (انظر: هامش المسند ٥٨٣/٢٨).

ومما نشاهده في الحديث أنه ﷺ لم يقف عند الإخبار بعظيم منزلة المعوذتين، وتعليمهما تلميذه عقبة رضي الله عنه، بل لاحظ أثر ذلك عليه كما عبّر عن ذلك عقبة رضي الله عنه: ''فلم يرني سررت بهما جداً''. وفي رواية الإمام أحمد: ''فلم يرني أعجبت بهما''[1].

ثم إنه ﷺ لم يقتصر على هذا، بل بيّن لتلميذه علوّ مكانتهما بقراءتهما في صلاة الصبح. قال العلاّمة السندي في شرح الحديث: ''أي ليعلم بذلك عقبة رضي الله عنه أنهما مع قلة حروفهما تقومان مقام السورتين الطويلتين إذ المعتاد في صلاة الفجر كان هو التطويل ليفرح بهما، ويعطيهما غاية التعظيم''[2].

ولم يقف خير معلّم الخلق ﷺ -فداه أبي وأمي- على ذلك، بل التفت إلى تلميذه بعد الصلاة قائلاً: ''**يا عقبة! كيف رأيت؟**'' حتى يدرك التلميذ علوّ قدر السورتين حق الإدراك. فصلوات ربي وسلامه عليه.

فوائد أخرى في الحديث:

(أ) مناداته ﷺ تلميذه باسمه، ولا يخفى أثر ذلك في إيجاد المؤانسة وجذب الانتباه[3].

(ب) استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام، ومعلوم ما له من أثر كبير في جذب الانتباه''[4].

---

(١) المسند ٥٨٣/٢٨.

(٢) حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ٢٥٢/٨-٢٥٣.

(٣) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٤) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

(ج) قيامه ﷺ بالتعليم في السفر[١].

(د) بيانه ﷺ علو قدر السورتين بقراءهما في صلاة الصبح، ولا يخفى ما للبيان بالفعل أثر في القلوب[٢].

٢- ملاحظة أثر الاختلاف في الفتوى:

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "كنا عند النبيﷺ فجاء شاب، فقال: "يا رسول الله! ﷺ أقبّل وأنا صائم؟".

قال: "**لا**".

فجاء شيخ، فقال: "أقبّل وأنا صائم؟".

قال: "**نعم**".

فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله ﷺ: "**قد علمت لِم نظر بعضكم إلى بعض، إنَّ الشيخ يملك نفسه**"[٣].

ومما نشاهده في الحديث أنه ﷺ لاحظ استغراب الصحابة بسبب الاختلاف في الفتوى، وعبّر ﷺ عن ذلك بقوله: "**قد علمت لم نظر بعضكم إلى بعض**".

و لم يقف ﷺ عند هذا، بل أزال الاستغراب ببيان سبب ذلك الاختلاف بقول: "**إنَّ الشيخ يملك نفسه**".

---

(١) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٧ إلى ص ٢١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ١٠٢ إلى ص ١٠٤.

(٣) المسند ١٨٥/٢ (ط: المكتب الإسلامي)؛ وقال عنه الحافظ الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه كلام". (مجمع الزوائد ١٦٦/٣)؛ وقال الشيخ الألباني: هذا إسناد لا بأس به في الشواهد، ورجاله ثقات غير ابن لهيعة، فإنه سيء الحفظ، لكن لحديثه شواهد يتقوى الحديث بها. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث ١٦٠٦، ١٣٨/٤).

فائدة أخرى في الحديث:

راعى النبي الكريم ﷺ حال كل من الشاب والشيخ عند الإفتاء، فأفتى كل واحد منهما بما كان ملائما له[١]. وقد عنون الشيخ الألباني على الحديث بقوله: [التفريق بين الشيخ والشاب في الصيام][٢].

٣- ملاحظة مسارة شخص عند الإخبار بتحريم الخمر:

روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ''إن رجلا أهدى رسول الله ﷺ راوية خمر[٣]، فقال له رسول الله ﷺ: ''**هل علمت أنّ الله قد حرّمها؟**''.

قال: ''لا''.

فسارّ إنسانا[٤]، فقال له رسول الله ﷺ: ''**بم ساررته؟**''.

فقال: ''أمرته ببيعها''.

فقال: ''**إنَّ الذي حرّم شربها حرّم بيعها**''.

قال: ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها''[٥].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٣٠ إلى ص ٢٣٢.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٣٨/٤.

(٣) (**راوية خمر**): قربة ممتلئة خمرا. (هامش صحيح مسلم ١٢٠٦/٣).

(٤) (**فسارّ إنسانا، فقال له رسول الله ﷺ: ''بم ساررته؟''**): قال الإمام النووي: ''المسارر الذي خاطبه النبي ﷺ هو الرجل الذي أهدى الراوية كذا جاء مبينا في غير هذه الرواية، وأنه رجل من دوس''. (شرح النووي ٤/١١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر، جزء من رقم الحديث ٦٨ (١٥٧٩)، ١٢٠٦/٣.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لاحظ مسارة الشخص الذي أخبره بتحريم الخمر، وسأله عما قاله لغيره سراً.

و لم يقف ﷺ عند ذلك، بل بيَّن خطأ ما قاله. فصلوات ربي وسلامه عليه.

فائدة أخرى في الحديث:

بدأ ﷺ بالسؤال: **[هل علمت أن الله قد حرمها؟]** ليتعرّف على حاله فيتعامل معه على حسب حاله[1]. وفي هذا الصدد قال الإمام النووي: "لعلّ السؤال كان ليعرف حاله، فإن كان عالما بتحريمها أنكر عليه هديتها وإمساكها وحملها، وعزّره على ذلك. فلما أخبره أنه كان جاهلاً بذلك عذره. والظاهر أن هذه القضية كانت على قرب تحريم الخمر قبل اشتهار ذلك"[2].

٤- ملاحظة أثر ردّ الهدية:

روى الشيخان عن الصعب بن جثامة الليثي رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله ﷺ حمار وحش، وهو بالابواء -أو بودّان[3]- وهو محرم، فردّه، قال صعب رضي الله عنه: "فلما عرف في وجهي ردّه هديتي، قال: "**ليس بنا ردّ عليك، ولكنا حرم**"[4].

ومما نشاهده في الحديث أنه ﷺ لاحظ آثار ردّ الهدية على المهدي، وقد عبّر عن ذلك المهدي بقوله: "فلما عرف في وجهي ردّه هديتي".

---

(١) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٢٢٢ إلى ص ٢٣٢.

(٢) شرح النووي ٤/١١.

(٣) **(بالإبواء أو بودان)**: هما مكانان بين مكة والمدينة. (هامش صحيح مسلم ٨٥٠/٢).

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الهبة، رقم الحديث ٢٥٩٦، ٢٢٠/٥؛ واللفظ له؛ وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، رقم الحديث ٥٠ (١١٩٣)، ٨٥٠/٢.

و لم يقف ﷺ عند هذا، بل أزال ذلك ببيان سبب ردّه الهدية بقوله: "**ليس بنا ردّ عليك، ولكنا حرم**".

سبحان الله! ما أجل خلقه وأعظم تواضعه وألطفه على أصحابه! فصلوات ربي وسلامه عليه.

هذا، وقد ترجم الإمام البخاري على الحديث بقوله:

[باب من لم يقبل الهدية لعلة][1].

وقال الإمام النووي مبيِّناً فوائد الحديث: "وفيه أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها لعذر أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطييباً لقلبه"[2].

٥- ملاحظة آثار التعجب من سرعة الانصراف من الصلاة:

روى الإمام البخاري عن عقبة بن الحارث ﷺ قال: "صليت مع النبي ﷺ العصر، فلما سلّم قام سريعاً دخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته. فقال: "**ذكرت -وأنا في الصلاة- تبراً[3] عندنا، فكرهت أن يمسي -أو يبيت- عندنا، فأمرت بقسمته**"[4].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ لاحظ آثار التعجب على وجوه الصحابة بسبب سرعة انصرافه من بعد الصلاة. و لم يقف ﷺ عند هذا، بل أزال استغرابهم ببيان سبب ذلك.

---

(١) صحيح البخاري ٥/٢٢٠.

(٢) شرح النووي ٨/١٠٧؛ وانظر أيضاً فتح الباري ٤/٣٤.

(٣) (تبراً): بكسر التاء وسكون الباء، الذهب الذي لم يصف و لم يضرب. (انظر: فتح الباري ٢/٣٣٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة، رقم الحديث ١٢٢١، ٣/٨٩.

فخلاصة القول أن نبينا الكريم ﷺ كان يلاحظ آثار أقواله وأفعاله على أصحابه، وكان يزيل ما كان يحدث لديهم من لبس أو إشكال أو استغراب بسبب ذلك. وهذا، على خلاف بعض المدرسين الذين همهم إفراغ ما لديهم من رطب ويابس غافلين أو متغافلين عن آثار ذلك على طلابهم، بل إن بعضهم مثل شريط شُغِّل من بداية المحاضرة، وغُلِّق في نهايتها. لا جعلنا الله تعالى على دربهم، وجعلنا برحمته على صراط نبيه المصطفى ﷺ إنه جواد كريم.

* * *

-٤٣-

افتقاد الطلاب

لقد ثبت في سيرة النبي الكريم ﷺ سؤاله عمن غاب عن مجلسه. ولم يكن يقف عند ذلك؛ بل كان يسعى إلى إزالة العائق عن حضور المجلس. ولا يخفى ما لهذا من تأثير في ائتلاف قلوب المتعلّمين، وإشعارهم بمكانتهم، وحثّهم على المداومة والمواظبة. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- افتقاد أبي هريرة رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لقيني رسول الله ﷺ وأنا جنب، فأخذ بيدي فمشيت معه حتى قعد، فانسللت[1]، فأتيتُ الرحْل[2]، فاغتسلتُ، ثم جئتُ وهو قاعد، فقال: "**أين كنت يا أبا هريرة؟**".

فقلتُ له[3].

فقال: "**سبحان الله! يا أباهريرة! إن المؤمن لا ينجس**"[4].

---

(١) (**فانسَلَلْتُ**): أي ذهبت في خفية. (فتح الباري ٣٩٣/١).

(٢) (**الرحْل**): أي المكان الذي يأوى فيه. (المرجع السابق ٣٩٣/١).

(٣) وفي رواية: قال: "كنت جنباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة". (صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب عَرَق الجنب وأن المسلم لا ينجس، جزء من رقم الرواية ٢٨٣، ٣٩٠/١).

(٤) المرجع السابق، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره، رقم الحديث ٢٨٥، ٣٩١/١.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ افتقد أبا هريرة ﷺ لما انسلّ من مجلسه، فسـأله عن ذلك. و لم يقف ﷺ عند هذا، بل بيّن له أن الجنابة لا تمنع الجلوس في مجلسه.

قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث: ''وفيه استحباب تنبيه المتبوع لتابعه على الصواب، وإن لم يسأله''[١].

فوائد أخرى في الحديث:

إلى جانب ذلك هناك فوائد أخرى في الحديث. ومنها ما يلي:

(أ) أخذه ﷺ بيد تلميذه. قال العلاّمة العيني: ''وفيه جواز أخذ الإمام والعـالم بيد تلميذه، ومشيه معه معتمداً عليه، ومرتفقاً به''[٢].

(ب) استخدامه ﷺ أسلوب المناداة حيث نادى أبا هريرة ﷺ مرتين باسمه[٣].

(ج) شفقته ﷺ ولطفه على تلميذه. ولا يخفى ما للمناداة بالترخيم من دلالـة على الرأفة والرحمة على المنادَى.

٢- افتقاد ثابت بن قيس ﷺ:

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: ''لما نزلت هـذه الآيـة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾. إلى آخر الآية[٤]، جلـس ثابت بن قيس ﷺ في بيته، وقال: ''أنا من أهل النار''. واحتبـس عـن النـبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ ﷺ فقال: ''**يا أبا عمرو! ما شأن ثابت؟ أشتكي؟**''.

قال سعد ﷺ: ''إنه لجاري، وما علمتُ له بشكوى''.

---

(١) فتح الباري ٣٩١/١؛ وانظر أيضاً: عمدة القاري ٢٤٠/٣.

(٢) المرجع السابق ٢٤١/٣. وانظر شواهد أخرى لذلك في هذا الكتاب من ص ٥٩ إلى ص ٦٣.

(٣) انظر شواهد أخرى لذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٤) سورة الحجرات/ الآية ٢.

قال سعد رضي الله عنه: ''إنه لجاري، وما علمت له بشكوى''.

قال: ''فأتاه سعد رضي الله عنه، فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت رضي الله عنه: ''أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار''.

فذكر ذلك سعد رضي الله عنه للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ''**بل هو من أهل الجنة**''[1].

وفي رواية الإمام البخاري: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه، فقال رجل: ''يا رسول الله! أنا أعلم لك علمه''. الحديث[2].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه، وسأل عنه جاره سعد ابن معاذ رضي الله عنه. قال الإمام النووي تعليقا على هذا: ''وفيه أنه ينبغي للعالم وكبير القوم أن يتفقد أصحابه، ويسأل عمن غاب منهم''[3].

ثم إن النبي الكريم ﷺ لم يقف عند السؤال عن ثابت رضي الله عنه، والتعرف على حاله، بل أرسل إليه من يخبره بأن الذي حمله على التخلف عن مجلسه الشريف لم يكن مانعا عن الحضور. ففي رواية الإمام البخاري: ''فقال موسى بن أنس رضي الله عنه[4]: ''فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: ''**اذهب إليه، فقل له: ''إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة**[5].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، رقم الحديث ١٨٧ (١١٩)، ١/١١٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، جزء من الحديث ذي الرقم ٣٦١٣، ٦/٦٢٠.

(٣) شرح النووي ٢/١٣٤.

(٤) **(موسى بن أنس)**: هو ابن أنس بن مالك رضي الله عنه، وراوي الحديث عنه. (انظر: عمدة القاري ١٩/١٨٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، جزء من رقم الحديث ٣٦١٣، ٦/٦٢٠.

٣- افتقاد الغائب عن الحلقة حزناً على ابنه:

روى الإمام النسائي عن معاوية بن قُرَّة عن أبيه رضي الله عنه قال: ''كان نبي الله ﷺ إذا جلس، يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير، يأتيه من خلف ظهره، فَيُقْعِده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه.

ففقده النبي ﷺ، فسأله عن بُنَيِّه، فأخبره أنه هلك، فعزّاه عليه، ثم قال: ''**يا فلان! أيما كان أحب إليك: أن تمتّع به عُمُرَكَ أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدتَّه قد سبقَك إليه، يفتحه لك**''.

قال: ''يا نبي الله! بل يسبقني إلى باب الجنة، فيفتحها لي، لهو أحب إلي''.

قال: ''**فذاك لك**''[(١)].

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ افتقد من غاب عن حلقته؛ وسأل عن سبب غيابه، فتعرّف على ذلك. و لم يقتصر على ذلك، بل سعىٰ إلى إزالة ذلك السبب حيث بشّره أن ابنه سيستقبله عند باب الجنة الذي هو يتوجّه إليه، فيفتحه له. فصلوات ربي وسلامه عليه.

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

---

(١) سنن النسائي، كتاب الجنائز، في التعزية، ١١٨/٤. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن النسائي ٤٤٩/٢). ورواه الأئمة أحمد والحاكم مختصراً. (انظر: المسند، رقم الحديث ١٥٥٩٥، ٣٦١/٢٤؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز ٣٨٤/١)؛ وصحّح الإمام الحاكم إسناده، ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر المرجع السابق ٣٨٤/١؛ والتلخيص ٣٨٤/١)؛ وصحّح إسناده أيضاً محققو المسند. (انظر: هامش المسند ٣٦١/٢٤).

(أ) حضور الطفل في حلقة النبي الكريم ﷺ، و لم ينكر ﷺ على ذلك، بل جاء في رواية أنه ﷺ قال لوالده: "أتحبّه؟".

فقال: "يا رسول الله! أحبّك الله كما أُحِبُّه"[١].

(ب) استخدامه ﷺ أسلوب المناداة[٢].

(ج) استخدامه ﷺ أسلوب الاستفهام حيث قال: "**أيما كان...؟**"[٣].

٤- افتقاد الأنصار:

روى الإمام الحاكم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يتعهّد الأنصار، ويعودهم، ويسأل عنهم"[٤].

فخلاصة الكلام أن نبينا الكريم ﷺ كان يفتقد أصحابه، ويسأل عن أسباب غيابهم، ويسعى إلى إزالتها. فأين معلمو عصرنا من هذا؟ يغيب طالب أسبوعاً بل شهراً، بل أحياناً فصلاً دراسياً كاملاً، فلا يفتقدونه ولا يسألون عنه. فإلى الله المشتكى وهو المستعان.

اللهم اجعلنا جميعاً على صراط نبيك المصطفى ﷺ في التعليم، وفي كل شيء، إنك سميع مجيب.

* * *

(١) المسند، جزء من رقم الحديث ١٥٥٩٥، ٣٦١/٢٤.

(٢) انظر شواهد أخرى لهذا في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٣) انظر شواهد أخرى لهذا في هذا الكتاب من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز، ٣٨٤/١. صحّح الإمام الحاكم إسناده، ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: المرجع السابق ٣٨٤/١؛ والتلخيص ٣٨٤/١).

-٤٤-
معلِّم ميسِّر

إنَّ من أهم ما نجده في سيرة نبينا الكريم ﷺ أنه لم يكن يشقُّ على طلابه، بل كان ييسِّر عليهم، وقد أخبر بذلك بنفسه. فقد روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "**إنَّ الله لم يبعثني معنِّتاً ولا متعنِّتاً**[١]، **ولكن بعثني معلّماً ميسِّراً**"[٢].

ولهذا شواهد كثيرة في سيرته العطرة، ومنها ما يلي:

١- التيسير على ذي ثوب واحد ضيق:

روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فجئت ليلة لبعض أمري[٣]، فوجدته يصلّي، وعليَّ ثوب واحد، فاشتملت به، وصلّيت إلى جانبه.

فلما انصرف قال: "**ما السُّرَى**[٤] **يا جابر**ﷺ**؟**".

---

(١) (**معنِّتاً ولا متعنِّتاً**):[**معنِّتاً**] أي مشدِّداً على الناس، وملزماً إياهم ما يصعب عليهم، [**ولا متعنِّتاً**] أي طالباً زلتهم، وأصل العنت المشقة. (هامش صحيح مسلم ٢/١١٠٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأة لا يكون طلاقاً إلا بالنية، جزء من رقم الحديث ٢٩ (١٤٧٨)، ٢/١١٠٥.

(٣) (**لبعض أمري**): أي لأجل بعض حوائجي، والأمر هو واحد الأمور، لا واحد الأوامر. (عمدة القاري ٤/٦٨.

(٤) (**ما السرى**): أي ما سبب سراك أي سيرك في الليل. (فتح الباري ١/٤٧٢).

فأخبرته بحاجتي، فلما فرغت، قال: ''**ما هذا الاشتمال الذي رأيتُ؟**''.

قلتُ: ''كان ثوب يعني ضاق''[١].

قال: ''**فإن كان واسعاً فالتحِف به، وإن كان ضيِّقاً فاتزر به**''[٢].

وفي رواية مسلم: ''فقام رسول الله ﷺ ليصلِّيَ، وكانت عليّ بردةٍ، ذهبتُ أن أخالف بين طرفَيها،فلم تبلغ بي. وكانت لها ذباذب، فَنَكَّستُها، ثم خالفتُ بين طرفيها، ثم تواقصتُ عليها[٣]. ثم جئت حتى قمتُ عن يسار رسول الله ﷺ.

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ''**يا جابر** ﷺ''.

قلت: ''لبيك يا رسول الله!''.

قال: ''**إذا كان واسعاً فخالف بين طرفَيه، وإذا كان ضيِّقاً فاشدد على حقْوك**[٤]''[٥].

ففي هذا الحديث يسرّ ﷺ على جابر ﷺ إذ بيِّن له أنه لا حاجة -إذا كان الثوب ضيقاً- أن يخالف بين طرفيه، ويُتْعِب نفسه بإمساكه بعنقه، والانحناء عليه، بل يكفيه أن يَتَّزِر به. فصلوات ربي وسلامه عليه.

---

(١) (**كان ثوب**): زاد الإسماعيلي: ''ضيقاً''. (فتح الباري ٤٧٢/١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً، رقم الحديث ٣٦١، ٤٧٢/١.

(٣) (**تواقصتُ عليها**): أي أمسكت عليها بعنقي، وحنيته عليها لئلا تسقط. (انظر: شرح النووي ١٤١/١٨؛ وهامش صحيح مسلم ٢٣٠٥/٤).

(٤) (**فاشدد على حِقْوك**): هو بفتح الحاء وكسرها، وهو معقد الإزار، والمراد هنا أن يبلغ السرّة. (المرجع السابق ٢٣٠٦/٤).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب حديث جابر ﷺ الطويل وقصة أبي اليسر، جزء من رقم الحديث ٧٤(٣٠١٠)، ٢٣٠٥/٤-٢٣٠٦.

فوائد أخرى في الحديث:

وهناك فوائد أخرى في الحديث، ومنها ما يلي:

(أ) تواضعه ﷺ مع أصحابه حيث كان يسمح لأصحابه بالمجيء إليه لحوائجهم في الليل.

(ب) نداؤه ﷺ صاحبه باسمه قبل التعليم، وفيه من التأنيس وجذب الانتباه ما لا يخفى[1].

٢- التيسير على المصلي في أمر السترة:

روى الأئمة أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ''**إذا صلّى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئاً، فإن لم يجد فلينصِب**[2] **عصاً، فإن لم يكن معه عصاً، فليُخطّط خطاً، ثم لا يضرّه ما مرّ أمامه**''[3].

لقد يسَّر النبي الكريم ﷺ على الأمة في أمر السترة حيث قال: ''**فليجعل تلقاء وجهه شيئاً**''. قال العلاّمة العظيم آبادي: ''فيه أن السترة لا تختصّ بنوع، بل كل شيء ينصِبه المصلّي تلقاء وجهه يحصل به الامتثال''[4].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في هذا الكتاب من ص ٥١ إلى ص ٥٨.

(٢) (**فلينصِبْ**): بكسر الصاد أي يرفع أو يقيم. (عون المعبود ٢/٢٧٠).

(٣) المسند ٢/٢٤٩ (ط: المكتب الإسلامي)؛ وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، رقم الحديث ٦٨٥، ٢/٢٧٠؛ واللفظ له؛ وسنن ابن ماجة، أبواب إقامة الصلاة، باب ما يستر المصلي، رقم الحديث ٩٣٠، ١/١٧٠؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب ما يكره للمصلي وما لا يكره، رقم الحديث ٢٣٧٦، ٦/١٣٨. وقال عنه الحافظ ابن حجر: ''أخرجه أحمد وابن ماجه، وصحّحه ابن حبان، و لم يصب من زعم أنه مضطرب، بل هو حسن''. (بلوغ المرام ص ٤٧).

(٤) عون المعبود ٢/٢٧٠.

و لم يقف صلوات ربي وسلامه عليه عند هذا، بل قال: "**فإن لم يكن معه عصا فليخطط**". هذا، وقد ترجم الإمام أبو داود على الحديث بقوله:

[باب الخط إذا لم يجد عصا][١].

وترجم عليه الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر إجازة الاستتار للمصلي في الفضاء بالخط عند عدم العصا والعنزة][٢].

٣- التيسير على من لم يستطع قراءة شيء من القرآن في الصلاة:

روى الإمامان أبو داود وابن حبان عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئا فعلمني ما يجزئني منه".

فقال: "**قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**".

قال: "يا رسول الله! هذا لله[٣] فمالي[٤]؟".

قال: "**قل: اللهم ارحمني وارزقني وعافني واهدني**".

فلما قام، قال هكذا بيده [بيديه]، فقال رسول الله ﷺ: "**أما هذا فقد ملأ يده [يديه] من الخير**"[٥][٦].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، ٢/٢٧٠.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب ما يكره للمصلي وما لا يكره، ٦/١٣٨.

(٣) (**هذا لله**): ما ذكر من الكلمات ذكر لله مختص له أذكره به. (مرقاة المفاتيح ٢/٥٨٣).

(٤) (**فما لي؟**): أي علمني شيئا يكون لي فيه دعاء واستغفار، وأذكره لي عند ربي. (المرجع السابق ٢/٥٨٣).

(٥) (**أما هذا فقد ملأ يده من الخير**): قال ابن حجر المكي: "كناية عن أخذه مجامع الخير بامتثاله لما أمر به". (عون المعبود ٣/٤٣).

(٦) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، رقم الحديث ٨٢٦، ٣/٤٢-٤٣؛ واللفظ له؛ والإحسان ١٨٠٩، و١٨١٠،=

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ يسَّر على من لم يكن قادراً على قراءة شيء من القرآن في الصلاة إذ أمره بأن يقول: سبحان الله والحمد لله...إلخ.

هذا، وقد ترجم عليه الإمام أبو داود بقوله:

[باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة][١].

وذكر الإمام ابن حبان هذا الحديث أكثر من مرة في صحيحه، وترجم عليه مرة بقوله:

[ذكر الإخبار عما يعمل المصلي في قيامه عند عدم قراءة فاتحة الكتاب][٢].

كما ترجم عليه مرة أخرى بقوله:

[ذكر الأمر بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير في الصلاة لمن لا يحسن قراءة فاتحة الكتاب][٣].

تنبيه:

إن هذا الإذن إجراء مؤقت، وليس لجميع الأزمان، لأن من يقدر على تعلُّم هذه الكلمات لا محالة يقدر على تعلُّم الفاتحة، بل تأويله لا أستطيع أن أتعلّم شيئاً من القرآن في هذه الساعة، وقد دخل عليّ وقت الصلاة، فإذا فرغ من تلك الصلاة لزمه أن يتعلّم[٤].

= ٥/١١٦-١١٧. وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر صحيح سنن أبي داود ١/١٥٧)؛ وقال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط: ''إسناده حسن''. (هامش الإحسان ٥/١١٦).

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، ٣/٤١.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة، ٥/١١٤.

(٣) المرجع السابق ٥/١١٦.

(٤) انظر: عون المعبود ٣/٥٣.

٤- التيسير على من نسي صلاةً:

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:"**من نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك**"(١).

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ يسَّر على من نسي الصلاة، وذلك من وجهين: أولهما: أنه يصلّيها إذا ذكرها، وثانيهما: أنه لا كفارة عليه بسبب نسيانه الصلاة. قال الإمام الخطابي في شرح قوله ﷺ:"**لا كفارة لها إلا ذلك**": هذا يحتمل وجهين: أحدهما: أنه لا يكفّرها غير قضائها، والآخر أنه لا يلزمه في نسيانها غرامة ولا صدقة ولا زيادة تضعيف لها، إنما يصلي ما ترك"(٢).

٥- التيسير في كفارة من جامع في رمضان:

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال:"هلكت يا رسول الله! (٣)".

قال:"**وما أهلكك؟**".

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، ولا يعيد إلا تلك الصلاة، رقم الحديث ٥٩٧، ٢/٧٠؛ وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم الحديث ٣١٤ (٦٨٤)، ١/٤٧٧؛ واللفظ له.

(٢) نقلاً عن عمدة القاري ٥/٩٣.

(٣) وفي المسند:"أن أعرابياً جاء يلطم وجهه وينتِف شعره، ويقول: ما أُراني إلا وقد هلكت". (انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبواب ما يبطل الصوم، باب كفارة من جامع في نهار رمضان، جزء من رقم الحديث ١٥٤، ١٠/٨٩). وقال الشيخ أحمد البنا:"والظاهر أنّ هذه الواقعة كانت قبل النهي عن لطم الخدود وحلق الشعر عند المصيبة، أو كانت بعده و لم يبلغ الرجل هذا الحكم. والله أعلم". (بلوغ الأماني ١٠/٨٩).

قال:وقعتُ على امرأتي[١] في رمضان''.

قال:''**هل تجد ما تعتق رقبة؟**''.

قال:''لا''.

قال:''**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**''.

قال:''لا''.

قال:''**فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟**''.

قال:''لا''.

قال:''ثم جلس فَأُتِيَ النبي ﷺ بعَرَق[٢] فيه تمر، فقال:''**تَصدّق بهذا**''.

قال: أفقر منا؟[٣] فما بين لابَتَيْها[٤] أهل بيت أحوج إليه منّا''.

فضحك النبي ﷺ حتى بدتْ أنيابه، ثم قال:''**اذهب فأَطْعِمْه أهلَك**''[٥].

---

(١) (**وقعتُ على امرأتي**):وفي رواية:''أصبتُ أهلي''، وفي رواية أخرى:''وطئتُ امرأتي''.(انظر: فتح الباري ٤/١٦٥).

(٢) (**بعَرَق**): هو بفتح العين والراء، ويقال للعَرَق: الزبيل بفتح الزاء من غير نون، والزنبيل بكسر الزاء وزيادة النون، ويقال له: القفه والمكتل بكسر الميم وفتح التاء. (انظر: شرح النووي ٧/٢٢٥).

(٣) (**أفقر منا**): بنصب أفقر على إضمار فعل تقديره''أتجد أفقر منا'' أو أتعطي''، ويصح رفعه على تقدير ''هل أحد أفقر منا؟''. (انظر: المرجع السابق ٧/٢٢٦).

(٤) (**فما بين لابتيها**): هما الحرتان، والمدينة بين حرتين، والحرة: الأرض الملبسة حجارة سودا. (المرجع السابق ٧/٢٢٦).

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان و لم يكن له شيء فتُصُدِّق عليه فليكفِّر، رقم الحديث ١٩٣٦، ٤/١٦٣؛ وصحيح مسلم، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم،...، رقم الحديث ٨١(١١١١)، ٢/٧٨٠؛ واللفظ له.

ومما نجده في الحديث أنه ﷺ يسِّر على الرجل في أداء الكفارة، فبدأ بعتق رقبة إلى أن وصل إلى إطعام أهل بيته الفقراء مما أعطاه ﷺ من عَرَق فيه تمر. فصلوات ربي وسلامه عليه. ما أرحمه بأمته! وما أحرصه عليهم! جزاه الله تعالى عن الأمة خير الجزاء.

فوائد أخرى في الحديث:

ومن الفوائد الأخرى في هذا الحديث ما يلي:

(أ) رفقه ﷺ بالمتعلّم، والتلطُّف في التعليم(١).

(ب) إعانته ﷺ المُعْسِر من أصحابه في أداء الكفارة. وقد ترجم عليه الإمام البخاري في مقام آخر من كتابه بقوله:

[باب من أعان المعسر في الكفارة](٢).

تنبيه:

قد وقع مثل هذا التيسير من قبل النبي الكريم لسَلَمة بن صَخْر الزُّرَقي ﷺ لما ظاهر من امرأته، ثم وقع بها قبل أن يكفِّر، فرجع إلى قومه بعد ذلك، وقال لهم: "وجدت عندكم الضِّيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة، قد أمر لي بصدقتكم، فادفعوها لي".

قال: "فدفعوها إليَّ"(٣).

* * *

(١) انظر: فتح الباري ١٨٢/٤؛ وعمدة القاري ٣٤/١١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب كفارات الأيمان، ٥٩٦/١١.

(٣) انظر: المسند، رقمي الحديثين ١٦٤١٩و ١٦٤٢١، وقال عن كل منهما الشيخ الأرناؤوط ورفقاؤه: "حديث صحيح بطرقه وشاهده، وهذا إسناد ضعيف". (هامش المسند ٣٤٧/٢٦و٣٤٩)؛ وانظر أيضاً: فتح الباري ١٦٤/٤ حيث جاء فيه: "والظاهر أنهما واقعتان".

-٤٥-

الحث على تعلّم المستطاع المتيسر

لم يشترط نبينا الكريم ﷺ للمتعلّم والتعليم القدر الكبير من العلم، كما لم يشترط لذلك الجودة والإتقان، بل حثّ الناس على تعلُّم ما تيسَّر، وما استطاعوا، كل على قدر طاقته واستطاعته. ومن شواهد ذلك ما يلي:

١- الحث على تعلُّم ما تيسَّر من القرآن الكريم:

روى الإمامان مسلم وابن حبان عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ''خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة[١]، فقال: ''**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحانَ[٢] أو إلى العقيق[٣] فيأتي بناقتين كَومَاوَيْن[٤] في غير إثم ولا قطع رحم؟**''.

فقلنا: ''يا رسول الله! نحبّ ذلك''.

---

١) (**الصفة**): مكان في مؤخر المسجد أعدّ لنزول الغرباء فيه من لا مأوى له، ولا أهل. (مرقاة المفاتيح ٦١٣/٤).

(٢) (**بطحان**): بضم الباء وسكون الطاء، اسم واد بالمدينة، سمِّي بذلك لسعته وانبساطه، من البطح، وهو البسط. (شرح الطيبي ١٦٣٤/٥).

(٣) (**العقيق**): يريد به العقيق الأصغر، وهو واد على ثلاثة أميال، وقيل: على ميلين من المدينة، عليه أموال أهلها. وإنما خصهما بالذكر لأنهما أقرب المواضع التي يُقام فيها أسواق الإبل إلى المدينة. (المرجع السابق ١٦٣٤/٥).

(٤) (**كوماوين**): تثنية كوماء، وهي ناقة عظيمة السنام المشرفة، وإنما ضرب المثل بها، لأنها من خيار مال العرب. (انظر: المرجع السابق ١٦٣٤/٥؛ ومرقاة المفاتيح ٦١٣/٤).

قال:''أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيَعْلَم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقَتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهنّ من الإبل[(١)]''[(٢)].

ففي هذا الحديث حثّ ﷺ على تَعَلُّم ما تيسّر من القرآن الكريم، و لم يشترط لذلك تعلُّم كلّه. وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان بقوله:

[ذكر الحث على تعليم كتاب الله، وإن لم يتعلّم الإنسان بالتمام][(٣)].

٢- تحريض ضعيف القراءة على الاستمرار فيها:

روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت:''قال رسول الله ﷺ: **''الماهر بالقرآن**[(٤)] **مع السفرة**[(٥)] **الكرام البررة**[(٦)]**، والذي يقرأ القرآن**

---

(١) **(ومن أعدادهن من الإبل)**:متعلق بمحذوف تقديره: وأكثر من أربع آيات خير من أعدادهن من الإبل، فخمس آيات خير من خمس إبل، وكذلك الست والسبع إلى ما فوق من الأعداد. ويحتمل أن يكون المعنى: الآيتان خير من ناقتين، ومن أعداد النوق من الإبل، أي الآيات تفضل على مثل عددها من النوق، ومثل عددها من الإبل. (شرح الطيبي ١٦٣٤/٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وتعلُّمه، رقم الحديث ٢٥١(٨٠٣)، ٥٥٢/١؛ واللفظ له؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، رقم الحديث ١١٥، ٣٢١/١.

(٣) المرجع السابق ٣٢١/١.

(٤) **(الماهر بالقرآن)**: الماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف في القراءة، ولا تشق عليه لجودة حفظه وإتقانه. (شرح الطيبي ١٦٣٥/٥).

(٥) **(السفرة)**: جمع سافر، ككاتب وكتبة، وهم الرسل، لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة: الكتبة. (المرجع السابق ١٦٣٥/٥).

(٦) **(البررة)**: المطيعون من البر، وهو الطاعة. (المرجع السابق ١٦٣٥/٥).

ويتــتعتع[١] فيه، وهو عليه شاق[٢]، له أجران''[٣].

ومما لا شك فيه أن لجودة حفظ القرآن الكريم وإتقانه، وإحســان تلاوتــه، وتجويد قراءته منــزلة عظيمة وأهمية كبرى في الإسلام، ولكن من لم يتيسّر له ذلــك فهل يترك قراءة القرآن الكريم؟ لا، ورب الكعبة! لقد حثّ نــبي الرحمــة ﷺ علــى الاستمرار من كان كذلك، وشجَّعه على ذلك مبشِّراً له أن له أجرين. قال الملاّ علــي القاري في شرح قوله ﷺ:''**له أجران**''. ''أي أجر لقراءته، وأجر لتحمّــل مشــقته، وهذا تحريض على تحصيل القراءة''[٤].

* * *

(١) (**يتتعتع فيه**): يتردّد في قراءته، ويتلبّد فيها لسانه لضعف حفظه. (شرح الطيبــي ١٦٣٥/٥).

(٢) (**شاق**): أي شديد يصيبه مشقة. (مرقاة المفاتيح ٦١٨/٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتــتعتع فيه، رقم الحديــث ٢٤٤ (٧٩٨)، ٥٤٩/١-٥٥٠.

(٤) مرقاة المفاتيح ٦١٨/٤.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الخاتمة

الحمد لله الذي وفق العبد المذنب المقصر لإعداد هذه الوريقات المتواضعة حول جانب من جوانب سيرة خليله وحبيبه وقدوتنا محمد النبي المختار صلوات ربي وسلامه عليه، فله الحمد عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما خلق بين ذلك، وعدد ما هو خالق سبحانه وتعالى. وأسأله جل جلاله أن يتقبلها قبولا حسنا ويجعل فيها نفعا وخيرا وبركة لي، وللإسلام والمسلمين،ويعفو عما حصل فيها من تقصير وخطأ إنه جواد كريم.

نتائج البحث:

وقد تجلى بفضل الله تعالى من خلال هذا البحث عدة أمور. ومنها ما يلي:

١- بعث الله تعالى نبينا الكريم ﷺ معلما.

٢- لقد كان صلوات ربي وسلامه عليه شديد الحرص على تعليم الناس الخير، فكان يقوم به في كل وقت ملائم، ومكان مناسب، وقام بتعليم الرجال والنساء، والشباب والأطفال، والأقارب والأصحاب، والأعراب، والمسلمين الجدد، وكان ﷺ يغتنم الفرص والمناسبات للتعليم.

٣-كان ﷺ بالغ الاهتمام بجذب عناية المتعلمين، فقد كان يدنيهم منه أثناء التعليم، وينصتهم، ويقبل عليهم، ويجعلهم يقبلون عليه.

٤- كان ﷺ يسعى إلى إدخال السرور على المتعلّمين، وإيجاد التأنيس والوداد بينه وبينهم، وذلك بترحيبهم، ومناداهم بأسمائهم وكناهم، ومسِّ أعضائهم، وضربهم باليد أو الرجل.

٥- كان ﷺ شديد الاهتمام بتفهيم المتعلّمين كلامه، وتبيين مراده لهم، وترسيخه في أذهانهم. فقد كان ﷺ يوضِّح كلامه ويتأنّى فيه، ويكرّره، ويستخدم الإشارات، ويرسم الأشكال، ويضرب الأمثال، ويستعمل أسلوبي المقارنة والترقيم، كما كان ﷺ يقوم بالتعليم بالفعل.

٦- كان ﷺ يجعل طلابه يشاركونه في الدرس، وذلك باستخدام أسلوب الاستفهام، وطرح المسائل عليهم أثناء التعليم.

٧- كان ﷺ يكنّي عن الأمور الفاحشة والعورات، لكن مع ذلك لم يكن يترك تعليم ما لا بدّ منه بسبب الاستحياء.

٨- كان ﷺ يترك مجال السؤال لأصحابه، ويشجّع على السؤال بالثناء على الجيد منه، وبالإجابة بأكثر مما يُسْأَلُ عنه، كما كان ﷺ يجيب على سبيل التشبيه والمقايسة، وكان يسكت عما لم يكن يعلم، وكان يغضب على التعنت في السؤال.

٩- كان ﷺ يسمح لطلابه بالمراجعة والمناقشة للمعرفة والفهم، والتنبيه له ﷺ إذا نسي أو ذهل عن شيء، كما كان يمنحهم فرصة للتحدُّث بحضرته، كما ثبت إعطاؤه فرصة للتلميذ لترديد الدرس عليه.

١٠- لقد بلغ ﷺ المنتهى أثناء التعامل مع طلابه في التواضع، والرفق، وإيثارهم علي نفسه وأهله، إلا أنه كان يغضب عند صدور خطأ ممن لا يُتوقَّعُ منه، وعند تقصير في فهم من حاذق لبيب.

١١- كان ﷺ يعرف مواهب طلابه، ويراعي أحوالهم عند التعليم، كما كان يكرم فضلاء أصحابه، وكان يلاحظ آثار أقواله وأفعاله عليهم، ويفتقد غائبهم.

١٢- كان ﷺ معلما ميسرا، وكان يحث على تعلم المستطاع المتيسر.

التوصيات:

وأنتهز هذه المناسبة فأوصي بما يلي:

١- أوصي المسلمين في أرجاء العالم، بل أوصي البشرية كلها بالقراءة والنظر والتدبر في سيرة المصطفى ﷺ، فإن لهم فيها رشدا وهداية وسعادة وفلاحا في الدارين إذ جعل الله تعالى فيه أسوة حسنة.

٢- أوصي القائمين على التعليم في أنحاء المعمورة بإقرار مادة [سيرة النبي ﷺ معلما] في كليات التربية.

٣- أوصي نفسي، والمعلمين، والمعلمات في مشارق الأرض ومغاربها للاقتداء بسيرة النبي ﷺ في مجال التعليم فإنه ﷺ خير معلم وجد على الأرض.

وأسأل ربي الحي القيوم الحنان المنان ذا الجلال والإكرام أن يوفقني وجميع العاملين في مجال التعليم للتأسي بالنبي الكريم ﷺ في مجال التدريس، إنه سميع مجيب.

وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١- "**الأحاديث المختارة**" للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ، بدون اسم الناشر.

٢- "**الاحتساب على الأطفال**" لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلام جحرانواله باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣- "**الاحتساب على الوالدين مشروعيته ودرجاته وآدابه**" لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلام جحرانواله باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤- "**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**" للأمير علاء الدين الفارسي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، بتحقيق الشيخ شعيب الارناؤوط.

٥- "**الأدب المفرد**" للإمام البخاري، ط: عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، بترتيب وتقديم أ. كمال يوسف الحوت.

٦- "**إعلام الموقعين عن رب العالمين**" للإمام ابن القيم، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – ط: دار الفكر، بيروت ١٣٩٧هـ.

٧- "**إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجة**" للشيخ محمد علي جانباز، ط: المكتبة القدوسية لاهور، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٨- "**بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**" للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، ط:دار الشهاب بالقاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٩- "**بلوغ المرام من أدلة الأحكام**" للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط:مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

١٠- "**بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليه**" (شرح مختصر صحيح البخاري) المسمّى (جمع النهاية في بدء الخير والنهاية) للإمام ابن أبي جمرة الأندلسي، ط: دار الجيل بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

١١- "**تحفة الأحوذي**" شرح جامع الترمذي للشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٢- ''**الترغيب والترهيب**'' للحافظ المنذري، ط: دار الفكر بيروت، سنة الطبع ١٤٠١هـ، بتحقيق الشيخ مصطفى محمد عمارة.

١٣- ''**تفسير البيضاوي**'' للقاضي ناصر الدين البيضاوي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٤- ''**تفسير التحرير والتنوير**'' للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر تونس، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٣٩٩هـ.

١٥- ''**التفسير الكبير**'' المسمَّى: ب ''**مفاتيح الغيب**'' للعلاّمة فخر الدين الرازي، ط: دار الكتب العلمية طهران، الطبعة الثالثة، بدون سنة الطبع.

١٦- ''**تفسير ابن كثير**'' المسمّى بـ''**تفسير القرآن العظيم**'' للحافظ ابن كثير، ط: دار الفيحاء دمشق ودار السلام الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، بتقديم الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

١٧- ''**تفسير الكشاف**'' المسمَّى بـ''**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التنزيل**'' للعلاّمة أبي القاسم الزمخشري، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

١٨- ''**التلخيص**'' للحافظ الذهبي، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

١٩- ''**جامع الترمذي**'' (المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي)، للإمام أبي عيسى الترمذي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، أو ط: دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٢٠- ''**حاشية السندي على سنن النسائي**'' للشيخ أبي الحسن السندي، ط:دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٢١- ''**الحرص على هداية الناس**'' لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلام جحرانواله باكستان، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.

٢٢- ''**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**'' للعلامة محمود الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٢٣- ''**رياض الصالحين**'' للإمام النووي، ط: دار الفيحاء دمشق ودار السلام الرياض، الطبعة الثالثة عشر ١٤١٢هـ، بتحقيق الشيخين عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق.

٢٤- ''**زاد المسير في علم التفسير**'' للحافظ ابن الجوزي، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
٢٥- ''**سبل السلام شرح بلوغ المرام**'' للعلاّمة محمد الأمير الصنعاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، بتحقيق الشيخ محمد عبد القادر أحمد عطا.
٢٦- ''**سلسلة الأحاديث الصحيحة**''للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط:المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٢٧- ''**سلسلة الأحاديث الضعيفة**'' للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط:المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.
٢٨- ''**السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى**'' لـ فضل إلهي، ط: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٩- ''**سنن الدارمي**'' للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ط: حديث اكادمي فيصل آباد باكستان، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٤هـ.
٣٠- ''**سنن أبي داود**'' (المطبوع مع عون المعبود) للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٣١- ''**السنن الكبرى**'' للإمام البيهقي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٣٢- ''**السنن الكبرى**'' للإمام النسائي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، بتحقيق الشيخ حسن عبد المنعم شلبي.
٣٣- ''**سنن ابن ماجة**'' للإمام أبي عبد الله القزويني ابن ماجة، ط: شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، بتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي.
٣٤- ''**سنن النسائي**'' (المطبوع مع شرح السيوطي وحاشية السندي) للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
٣٥- ''**شرح السنة**'' للإمام البغوي، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ، بتحقيق الشيخين شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش.
٣٦- ''**شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**'' للإمام شرف الدين الطيبي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، بتحقيق د. عبد الحميد هنداوي.

٣٧- "**شرح النووي على صحيح مسلم**" للإمام النووي، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠١هـ.

٣٨- "**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**" للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، ط: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطّار.

٣٩- "**صحيح الأدب المفرد**" للإمام البخاري بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: دار الصديق الجبيل، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٤٠- "**صحيح البخاري**" (المطبوع مع فتح الباري) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٤١- "**صحيح الترغيب والترهيب**" تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٤٢- "**صحيح الجامع الصغير وزيادته**" اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٤٣- "**صحيح ابن خزيمة**" للإمام ابن خزيمة، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، بتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي.

٤٤- "**صحيح سنن الترمذي**" اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، بإشراف الشيخ زهير الشاويش.

٤٥- "**صحيح سنن أبي داود**" صحح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط:مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، بإشراف الشيخ زهير الشاويش.

٤٦- "**صحيح سنن ابن ماجة**" اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، بإشراف الشيخ زهير الشاويش.

٤٧- "**صحيح سنن النسائي**" صحح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط:مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، بإشراف الشيخ زهير الشاويش.

٤٨- "**صحيح مسلم**" للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.
٤٩- "**صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**" للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٠- "**عمدة القارئ**" للعلاّمة بدر الدين العيني، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٥١- "**عون المعبود شرح سنن أبي داود**" للعلاّمة أبي الطيب العظيم آبادي، ط:دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٥٢- "**فتح الباري**" للحافظ ابن حجر، نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٥٣- "**الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل**"، للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا، ط: دار الشهاب القاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٥٤- "**فيض القدير شرح الجامع الصغير**" للعلاّمة عبد الرؤوف المناوي، ط: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.
٥٥- "**الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**" للإمام الكرماني، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
٥٦- "**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**" للحافظ نور الدين الهيثمي، ط:دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٥٧- "**مختصر الشمائل المحمدية**" للإمام الترمذي، اختصره وحقّقه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتبة الإسلامية عمان ومكتبة المعارف الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
٥٨- "**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**" للعلامة الملا علي القاري، ط: المكتبة التجارية مكة المكرمة، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذ صدقي محمد جميل عطار.
٥٩- "**المستدرك على الصحيحين**" للإمام أبي عبد الله الحاكم، ط: دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٦٠- "**المسند**" للإمام أحمد بن حنبل، ط: المكتب الإسلامي، بدون الطبعة وسنة الطبع، [أو: ط: دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ] [أو: ط: مؤسسة الرسالة. بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ].

٦١- "**مسند أبي داود الطيالسي**" ط: دار هجر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، بتحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي.

٦٢- "**مسند أبي يعلى الموصلي**" للإمام أحمد بن علي بن المثنى التميمي، ط: دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، بتحقيق الأستاذ حسين سليم أسد.

٦٣- "**مشكاة المصابيح**" للعلاّمة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ط:المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٦٤- "**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**" للحافظ أحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري ط: دار الجنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، بدراسة وتقديم الأستاذ كمال يوسف الحوت.

٦٥- "**المصنف**" للحافظ ابن أبي شيبة، ط: الدار السلفية بومباي الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، بتحقيق الشيخ مختار أحمد الندوي.

٦٦- "**المصنف**" للإمام عبد الرزاق الصنعاني، ط: المجلس العلمي بجنوب افريقيا، الطبعة الأولى ١٣٩٠، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

٦٧- "**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**" للحافظ أبي العباس أحمد القرطبي، ط: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، بتحقيق الشيخ محي الدين ديب مستو ورفقائه.

٦٨- "**المقالة الحسنى في سنية المصافحة باليد اليمنى**" للعلامة محمد عبد الرحمن المباركفوري، ط: الجامعة الإبراهيمية سيالكوت باكستان، سنة الطبع ١٩٨٠م.

٦٩- "**المنتخب من مسند عبد بن حميد**" تحقيق وتعليق أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، ط: دار بلنسية الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٧٠- "**من صفات الداعية: اللين والرفق**" لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلامججرانواله باكستان، الطبعة الخامسة، سنة الطبع ١٤٢١هـ.

٧١- ''**من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين**'' لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلام جحرانواله باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٧٢- ''**موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**'' للحافظ نور الدين الهيثمي، ط: دار ومكتبة الهلال بيروت، بدون سنة الطبع، بتحقيق الشيخ عبد الرزاق حمزة.

٧٣- ''**نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**'' للحافظ ابن حجر، ط: قرآن محل كراتشي باكستان، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٧٤- ''**النهاية في غريب الحديث والأثر**'' للإمام ابن الأثير، الناشر: المكتبة الإسلامية بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذين طاهر أحمد الزاوي ود. محمود محمد الطناحي.

٧٥- ''**هامش الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**'' للشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٧٦- ''**هامش شرح السنة للبغوي**'' للشيخين محمد زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.

٧٧- ''**هامش صحيح مسلم**'' للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.

٧٨- ''**هامش المسند**'' للشيخ أحمد محمد شاكر، ط: دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ.

٧٩- ''**هامش المسند**'' للشيخ شعيب الأرناؤوط ورفقائه، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٨٠- ''**هامش مسند أبي داود الطيالسي**'' للدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٩هـ.

٨١- ''**هامش مسند أبي يعلى الموصلي**'' للأستاذ حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٨١- ''**هامش مشكاة المصابيح**'' للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٣٩٩هـ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

فهرس المحتويات

المقدمة

٣- تعليم فئات من الناس

٤- انتهاز الفرص والمناسبات للتعليم

٧-الإقبال على المخاطبين وإقبالهم على النبي ﷺ

أ: الإقبال على المخاطَبين:

ب: إقبال الصحابة على النبي ﷺ:

١٠- مس أعضاء المتعلم

١١- ضرب المتعلِّم للتنبيه والتأنيس

١٢- الوضوح والأناة في الكلام

١٣- إعادة الكلام

أولاً: إعادة الكلام بناءً على الطلب:

١٤- استخدام الإشارات

١٥- استخدام الرسم والشكل

١٦- ضرب الأمثال

١٨- أسلوب المقارنة

١٩- الإجمال أولاً ثم التفسير للإجمال بعده

٣٠- أسلوب الاستفهام

٣١- طرح المسائل على المتعلمين

٢٣- الكناية عن الأمور الفاحشة والعورات

٢٣- عدم الاستحياء في تعليم ما يُحْتَاجُ إليه

١- تعليم آداب الخلاء:

٢- بيان حكم المرأة إذا احتلمت:

٣- النهي عن الإتيان في الدبر:

٢٤- السماح بالسؤال

١- السماح بثلاثة أسئلة لابن مسعود ﷺ:

٢- السماح بأربعة أسئلة حول مسألة واحدة:

٣٥- الثناء على السؤال الجيد

٣٦- الإجابة على سبيل التشبيه والمقايسة

٣٧- الإجابة بأكثر مما يُسأل

٣٩- الغضب على التعنت في السؤال

٣٠- السماح بالمراجعة والمناقشة للتعلُّم

١- مراجعة عائشة رضي الله عنها حول عذاب من حُوسِب:

٢- مراجعة عائشة رضي الله عنها حول خسف عامة الناس:

٣- مراجعة الفاروق رضي الله عنه حول العمل بعد القدر:

٤- مراجعة الصحابة حول تخصيص الأمن والاهتداء لمن لم يظلم:

٥- مراجعة النساء حول ما ذُكِر عنهن:

٣١- السماح بالتنبيه له ﷺ

١- تذكير أسامة رضي الله عنه بالصلاة:

٣٢- منح الفرصة للتلميذ بالتحدث بحضرته ﷺ

٣٨- إيثار الطلبة الفقراء على النفس والأهل

١- إيثار أهل الصفة على النفس والأهل في شرب اللبن:

٢- إيثار أهل الصفة على فاطمة وعلي رضي الله عنهما:

٣٩- إدراك مواهب الطلاب

١- بيان ما امتاز به سبعة من الصحابة:

٢- بيان ما اختصّ به أربعة من الصحابة:

٣- بيان كون علي ﷺ أكثر الصحابة علماً:

٤١- تكريم فضلاء الأصحاب

٤٣- افتقاد الطلاب

٤٤- معلِّم مُيسِّر

* * *